



يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

كتاب المسير في علم النفس

في علم النفس

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الخامس

السائدة - الأنعام

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر

زَاكِي الْمَسِيرِ

فِي عِلْمِ النَّفْسِ

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايمل: alshamiya.tr@gmail.com

زاد المسير

في علم النفس

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المؤلف سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الخامس

السائدة - الأنعام

تحقيق وتعليق

مجموعة باحسين

الملك عبدالعزيز آل سعود

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر



سورة المائدة

[بسم الله الرحمن الرحيم]^(١)

قال ابن عباس، والضحاك: هي مدنية^(٢).

وقال مقاتل: نزلت نهارًا وكلها مدنية^(٣).

وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] قال: وقيل: فيها من المكي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٢].

والصحيح أن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت [هذه]^(٤) بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى مكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

(١) البسملة زيادة من (ج).

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحيدي (١/ ١٨٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٤٧) وفيه: سورة المائدة مدنية، نهارية كلها، عشرون ومائة آية كوفية إلا قوله تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإنها نزلت بعرفة.

(٤) زيادة من (م).

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

اختلفوا في المخاطبين بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم المؤمنون من أمتنا، وهذا قول الجمهور.

والثاني: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن جريج.

و﴿بِالْعُقُودِ﴾: العهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، والجماعة.

وقال الزجاج: «العقود»: أوكد العهود^(١).

واختلفوا في المراد بالعهود هاهنا على خمسة أقوال:

أحدها: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحلّ وحرّم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنها عهود الدين كلها، قاله الحسن.

والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحلفُ الذي كان بينهم، قاله قتادة.

والرابع: أنها العهود التي أخذها الله^(٢) على أهل الكتاب من الإيمان

بالنبي محمد ﷺ، قاله ابن جريج. وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتّابين.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/١٣٩).

(٢) لفظ الجلالة ليس في (م).

والخامس: أنها عقود الناس بينهم من بيع ونكاح، أو عقد الإنسان

على نفسه من نذر أو يمين، وهذا قول ابن زيد^(١). [١٧٨/أ]

قوله: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ﴾.

في «بهيمة الأنعام» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها أجنة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت الأمهات، قاله ابن عمر، وابن عباس.

والثاني: أنها الإبل، والبقر، والغنم، قاله الحسن، وقتادة، والسدي.

وقال الربيع: هي الأنعام كلها^(٢).

وقال ابن قتيبة: هي الإبل، والبقر، والغنم، والوحوش كلها^(٣).

والثالث: أنها وحش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش، روي عن ابن عباس، وأبي صالح.

وقال الفراء: بهيمة الأنعام: بقر الوحش، والظباء، والحمير الوحشية^(٤).

(١) قوله: (قول ابن زيد)، ليس في (ج).

(٢) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٧/٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/٨) بلفظ: قَالَ: «الْأَنْعَامُ كُلُّهَا حِلٌّ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا وَحْشِيًّا، فَإِنَّهُ صَيْدٌ، فَلَا يَحِلُّ إِذَا كَانَ مُحَرَّمًا».

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٣٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/٢٩٨).

قال الزجاج: وإنما قيل لها بهيمة، لأنها أبهمت عن أن تميّز، وكل حي لا يميّز فهو بهيمة^(١).

قوله: ﴿إِلَّا مَا يَتَلَبَّسُ عَلَيْكُمْ﴾^(٢).

روي عن ابن عباس أنه قال: هي الميتة وسائر ما في القرآن تحريمه^(٣).

وقال ابن الأنباري: المتلو علينا من المحظور الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾.

قوله: ﴿غَيْرِ مُحْلِي الصَّيْدِ﴾.

قال أبو الحسن الأخفش: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد، فانتصب على الحال^(٤).

وقال غيره: المعنى: أحلت لكم بهيمة الأنعام غير مستحلي اصطيادها، وأنتم حرم.

قال الزجاج: الحُرْم: المُحْرَمون، وواحد الحُرْم: حرام، يقال: رجل حُرَامٌ، وقومٌ حُرْمٌ^{(٥)(٦)}.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٤١ / ٢).

(٢) الآية ليست في (ر).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦ / ٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ: «هِيَ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَزِيرِ، وَمَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ».

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (٢٧١ / ١).

(٥) قوله: (وقوم حُرْم)، ليس في (ر).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٤١ / ٢ - ١٤٢).

قال الشاعر^(١) [من الطويل]:

فَقُلْتُ هَا فِيْنِي إِلَيْكَ فَإِنِّي حَرَامٌ وَإِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ لَيْسَبُ

أي: مُلَبٌّ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الخلق له يحل ما يشاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد على من يريد^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَفِعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قوله: ﴿لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن شُرَيْحَ بْنَ ضُبَيْعَةَ أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِيَّامٌ تَدْعُو؟ فَقَالَ: «إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٣)، وَأَنِّي

(١) البيت للمَضَرَّبِ بْنِ كُغَبٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (١/ ٧٣٠، ٧٣٢)، وَأُمَالِي الْقَالِي (٢/ ١٧١)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (٤/ ١٩٤)، وَبَلَا نِسْبَةٍ فِي الْمَخْصَصِ (٤/ ٢٤٢)، وَجُمْهُرَةُ اللُّغَةِ (ص: ٥٢١، ١٢٥٢)، وَمَقَايِيسُ اللُّغَةِ (٥/ ١٩٩).

(٢) قوله: (على ما يريد)، ليس في (ر).

(٣) قوله: (وحده)، ليس في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

رَسُولُ اللَّهِ»، فقال: إن لي أمراء خلفي أرجع إليهم أشاورهم^(١)، ثم خرج، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ دَخَلَ بِوَجْهِ كَافِرٍ، وَخَرَجَ بِعَقْبِي غَادِرٍ، وَمَا الرَّجُلُ بِمُسْلِمٍ»، فمر شريح بسرح لأهل المدينة، فاستاقه، فلما كان عام الحديبية، خرج شريح إلى مكة معتمرًا، ومعه تجارة، فأراد أهل السرح أن يغيروا عليه كما أغار عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٢).

وقال السدي: اسمه الحطم بن هند البكري^(٣).

قال: ولما ساق السرح جعل يرتجز [من الرجز]:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمَ لَيْسَ بِرَاعِيِ إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ
وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الْوَضَمِ بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ
بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلَامٌ كَالزَّمِ خَدَّلَجُ السَّاقِينَ مَمْسُوحُ الْقَدَمِ

[١٧٨/ب] والثاني: أن ناسًا من المشركين جاءوا يؤثمون البيت يوم الفتح مهلين بعمره، فقال المسلمون: لا ندع هؤلاء بل^(٤) نغير عليهم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾^(٥).

(١) في (ر): (أستأمرهم).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ١٨٩) عن ابن عباس.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣١) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٤) من قول ابن زيد.

قال ابن قتيبة: و«شعائر الله»: ما جعله [الله] ^(١) علماً لطاعته ^(٢).

وفي المراد بها هنا سبعة أقوال:

أحدها: أنها مناسك الحج، رواه الضحاك عن ابن عباس ^(٣).

وقال الفراء: كانت عامّة العرب لا يرون الصفا والمروة من الشعائر ^(٤)، ولا يطوفون بينهما، فقال الله تعالى: لا تستحلوا ترك ذلك ^(٥).

والثاني: أنها ما حرم الله تعالى ^(٦) في حال الإحرام، رواه العوفي عن ابن عباس ^(٧).

والثالث: دين الله كله، قاله الحسن.

والرابع: حدود الله، قاله عكرمة، وعطاء.

والخامس: حرم الله، قاله السّدي.

والسادس ^(٨): الهدايا المشعرة لبيت الله الحرام، قاله أبو عبيدة ^(٩)، والزجاج ^(١٠).

(١) من (ج)، و(ر).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/٨) من طريق ابن جريج، به، بنحوه.

(٤) في (ر): (من شعائر الله).

(٥) انظر: معاني القرآن (١/٢٩٨).

(٦) قوله: (الله تعالى)، ليس في (م).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/٨) بلفظ: «مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ أَنْ تُصَيِّبَهُ وَأَنْتَ مُحَرَّمٌ».

(٨) ليست في (ر).

(٩) انظر: مجاز القرآن (١/١٤٦).

(١٠) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/١٤٢).

والسابع: أنها أعلام الحرم، نهاهم أن يتجاوزوها غير محرمين إذا أرادوا دخول مكة، ذكره الماوردي^(١)، والقاضي أبو يعلى.

قوله: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾.

قال ابن عباس: ﴿لَا تُحِلُّوا﴾ القتال فيه^(٢).

وفي المراد بـ «الشهر الحرام» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ذو القعدة، قاله عكرمة^(٣)، وقتادة^(٤).

والثاني: أن المراد به الأشهر الحرم.

قال مقاتل: كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ كل سنة فيقول: ألا إني قد أحللت كذا، وحرمت كذا^(٥).

والثالث: أنه رجب، ذكره ابن جرير الطبري^(٦).

﴿أَهْدَى﴾: كل ما أهدي إلى بيت الله تعالى من شيء.

(١) انظر: النكت والعيون (٦/٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/٨).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٨/٨) بلفظ: «كَانَ الْمُشْرِكُ يَوْمَئِذٍ لَا يُصَدُّ عَنِ النَّبْتِ، فَأَمَرُوا أَنْ لَا يُقَاتِلُوا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَا عِنْدَ النَّبْتِ».

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٤٨/١) وفيه: «أن أبا ثمامة جنادة بن عوف بن أمية من بني كنانة كان يقوم كل سنة في سوق عكاظ، فيقول: ألا إني قد أحللت المحرم وحرمت صفرا وأحللت كذا وحرمت كذا ما شاء».

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٥/٨).

وفي ﴿الْفَلَكَيْدِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها المقلدات من الهدي، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنها ما كان المشركون يقلدون به إبلهم وأنفسهم^(١) في الجاهلية، ليأمنوا به عدوهم، لأن الحرب كانت قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحُرْم، فمن لقوة مقلدًا نفسه، أو بعيه، أو مشعرًا بُدْنُهُ أو سائِقًا هديًا لم يُتعرض له.

قال ابن عباس: كَانَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسَافِرَ فِي غَيْرِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، قَلَّدَ بَعِيرَهُ مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ، فَيَأْمَنُ حَيْثُ ذَهَبَ^(٢).

وروى مالك بن مغول عن عطاء قال: كانوا يتقلّدون من لحاء شجر الحرم، فيأمنون به إذا خرجوا من الحرم، فنزلت هذه الآية^(٣).

وقال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلّد من السَّمُرِ^(٤)، فلم يعرض له أحد، وإذا رجع تقلّد قلادة شعر، فلم يعرض له أحد^(٥).

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/٨) عن قتادة، نحوه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٨/٨) من طريق وكيع، عن مالك بن مغول، به، بنحوه.

(٤) السَّمُر: شجر الطَّلح، وهو نوع من العضاء، الواحدة: سَمْرَة. انظر: المصباح المنير (١/٢٨٨).

(٥) رواه عبد الرزاق (٤/٢)، وابن جرير الطبري (٣٨/٨) في تفسيرهما، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/٣٥٩)، والجصاص في أحكام القرآن (٣/٢٩٤) من طريق معمر، به، بنحوه.

وقال الفراء: كان أهل مكة يَقلِّدونَ بِلِحَاءِ الشجر، وسائر العرب يُقلِّدونَ بِالوَبَرِ والشعر^(١).

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تستحلُّوا المقلِّدات من الهدى.

والثاني: لا تستحلُّوا أصحاب القلائد.

[١٧٩/أ] والثالث: أن هذا نهْيٌ للمؤمنين أن ينزعوا شيئاً من شجر الحرم، فيتقلِّدوه كما كان المشركون يفعلون في جاهليتهم، رواه عبد الملك عن عطاء. وبه قال مطرف، والربيع بن أنس.

قوله: ﴿وَلَا آمِينَ أَلَيْتَ الْحَرَامَ﴾.

«الآمُ»: القاصد.

و«البيت الحرام»^(٢): الكعبة.

و«الفضل»: الربح في التجارة.

و«الرضوان من الله»: يطلبونه في حجِّهم على زعمهم. ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ [طه: ٩٧].

وقيل: ابتغاء الفضل عام، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة.

قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾.

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٩).

(٢) قوله: (الآمُ: القاصد، والبيت الحرام)، ليس في (ر).

لفظه لفظ الأمر، ومعناه الإباحة، نظيره: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ {الجمعة: ١٠}. وهو يدل على إحرام متقدم.

قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾

روى الوليد عن يعقوب: «يجرمنكم» بسكون النون، وتخفيفها^(١).

قال ابن عباس: لا يحملنكم^(٢).

وقال غيره: لا يدخلنكم في الجرم، كما تقول: آثمته أي: أدخلته في الإثم.

وقال ابن قتيبة: لا يكسبنكم، يقال: فلان جارم أهله، أي: كاسبهم، وكذلك جريمته^(٣).

وقال الهذلي، ووصف عقاباً^(٤) [من الوافر]:

جَرِيْمَةٌ نَاهِضٌ فِي رَأْسِ نَيْقٍ تَرَى لِعِظَامٍ مَا جَمَعَتْ صَلِيْبًا

والناهض: فرخها، يقول: هي تكسب له، وتأثيه بقوته^(٥).

(١) في البحر المحيط (١٦٨/٤) قرأ الحسن، وإبراهيم، وابن وثاب، والوليد عن يعقوب: «يَجْرِمَنَّكُمْ» بسكون النون، جعلوا نون التوكيد خفيفة.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٤/٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٣٩).

(٤) البيت في غريب القرآن (ص: ١٣٩)، وفي شرح أشعار الهذليين (ص: ١٢٠٥)، والمحكم والمحيط (٤١٤/٧)، وتاج العروس (٢٠٤/٣)، ولسان العرب (٥٢٨/١)، (٩٢/١٢)، وبلا نسبة في شرح كتاب سيبويه (٣/٣٦٣).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

و«الشَّنَّان» البغض، يقال: شنته أشنؤه: إذا أبغضته.

وقال ابن الأنباري: «الشَّنَّان»: البغض، و«الشَّنَّان» بتسكين النون: البغيض.

واختلف القراء في نون الشَّنَّان:

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بتحريكها.

وأسكنها ابن عامر.

وروى حفص عن عاصم تحريكها^(١)، وأبو بكر عنه تسكينها.

وكذلك اختلف عن نافع^(٢).

قال أبو علي: «الشَّنَّان»، قد جاء وصفًا، وقد جاء اسمًا، فمن حرَّك، فلأنه مصدر، والمصدر يكثر على فَعْلَان، نحو النَّزَوَان، ومن سَكَّن قال: هو مصدر، وقد جاء المصدر على فَعْلَان، تقول: لويته دينه لَيَّانًا، فالمعنى في القراءتين واحد، وإن اختلف اللفظان^(٣).

واختلفوا في قوله: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾.

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالكسر.

وقرأ الباقر بالفتح^(٤).

(١) من قوله: (وأسكنها ابن عامر)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٤٢)، والحجة (٣/ ١٩٥)، والتيسير (ص: ٩٨)، والمبسوط (ص: ١٨٤).

(٣) انظر: الحجة (٣/ ٢١٠).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٢٤٢)، والحجة (٣/ ٢١٢)، والتيسير (ص: ٩٨)، والمبسوط (ص: ١٨٤).

فمن فتح جعل الصَّد ماضيًا^(١)، فيكون المعنى من أجل أن صدوكم،
ومن كسرهما^(٢)، جعلها للشرط، فيكون الصَّد مترقبًا.

قال أبو الحسن الأخفش^(٣): وقد يكون الفعل ماضيًا مع الكسر،
كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧] وقد
كانت السرقة عندهم قد وقعت^(٤).

وأنشد أبو علي الفارسي [من الطويل]:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَيْمَةً وَلَمْ تَجِدِي مِنْ^(٥) أَنْ تُقَرِّي بِهِ بُدًّا^(٦)

قال ابن جرير: وقراءة مَنْ فتح الألف أبين، لأن هذه السورة نزلت
بعد الحديدية، وقد كان الصَّد تقدم^(٧).

(١) في (م): (وقرأ الباقون بالفتح جعل الصد ماضيًا).

(٢) في (ج): (ومن كسر).

(٣) من قوله: (أن صدوكم، ومن كسرهما)... إلى هنا، ليس في (م).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٢).

(٥) ليست في (ت)، و(ج).

(٦) البيت لزائد بن صعصعة الفقعسي في حاشية الأمي على المغني (١/ ٢٥)، وبلا نسبة

في جواهر الأدب (ص: ٢٠٥)، وشرح شذور الذهب (ص: ٤٤٠)، وشرح شواهد المغني

(ص: ٨٩)، ومغني اللبيب (ص: ٢٦).

(٧) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٥٠).

فعلى هذا في معنى الكلام قولان:

[١٧٩/ب] أحدهما: ولا يحملنكم بغض أهل مكة أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا فيه، فتقاتلوهم، وتأخذوا أموالهم إذا دخلتموه، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: لا يحملنكم بغض أهل مكة^(١)، وصددهم إياكم أن تعتدوا بإتيان ما لا يحل لكم من الغارة على المعتمرين من المشركين، على ما سبق^(٢) في^(٣) نزول الآية.

قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

قال الفراء: ليُعين بعضكم بعضاً^(٤).

قال ابن عباس: البرُّ ما أمرت به، و«التقوى»: ترك ما نهيت عنه^(٥).

فأَمَّا ﴿الْإِثْمِ﴾ فالمعاصي. ﴿وَالْعُدْوَنِ﴾: التَّعَدِّي في حدود الله، قاله عطاء.

(١) في (م): (لا يحملنكم بغض أهل مكة أن يصدوكم عن المسجد الحرام).

(٢) في (ج): (كما سبق).

(٣) ليست في (م).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٠).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٢) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها محكمة.

روي عن الحسن أنه قال: ما نسخ من المائدة شيء. وكذلك قال أبو ميسرة في آخرين قالوا: ولا يجوز استحلال الشعائر، ولا الهدي قبل أوان ذبحه.^(١)

واختلفوا في «القلائد»:

فقال قوم: يحرم رفع القلادة عن الهدي حتى ينحر.

وقال آخرون: كانت الجاهلية تقلد من شجر الحرم، ف قيل لهم: لا تستحلُّوا أخذ القلائد من الحرم، ولا تصدوا القاصدين إلى البيت.

والثاني: أنها منسوخة.

وفي المنسوخ منها أربعة أقوال:

أحدها: أن جميعها منسوخ، وهو قول الشعبي.

والثاني: أنها وردت في حق^(٢) المشركين كانوا يقلدون هداياهم، ويظهرون شعائر الحج من الإحرام والتلبية، فنهي المسلمون بهذه الآية

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٣٥٧/١) من طريق الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة قال: «لَمْ يُنْسَخْ مِنَ الْمَائِدَةِ شَيْءٌ». وانظر: تفسير مجاهد (٣١٧/١).

(٢) ليست في (ج).

عن التعرّض لهم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الشَّرْكَاءَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ {التوبة: ٥} وهذا قول الأكثرين.

والثالث: أن الذي نُسخ قوله: ﴿وَلَا آمَنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ نسخه قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ روي عن ابن عباس، وقتادة^(١).

والرابع: أن المنسوخ فيها^(٢): تحريم الشهر الحرام، وأمنون البيت الحرام: إذا كانوا مشركين، وهدى المشركين إذا لم يكن لهم من المسلمين أمان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْقَسُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ مفسّر في «البقرة»^(٣).

فأما «المنخنقة»:

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ للنحاس (١/ ٣٩٥).

(٢) في (ت)، و(م)، و(ر): (منها).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٧٣).

فقال ابن عباس: هي التي تحتق فتموت^(١).

وقال الحسن، وقتادة^(٢): هي التي تحتق بحبل الصائد^(٣) وغيره.

قلت: والمنخقة حرام كيف وقع ذلك.

قال ابن قتيبة: ﴿وَالْمَوْقُودَةُ﴾: التي تُضْرَبُ حَتَّى تُوقَدُ، أي: تُشْرِفُ على الموت، ثم تترك حتى تموت، وتؤكل بغير ذكاة، ومنه يقال: فلان وقيد، وقد وقذته العبادة^(٤).

﴿وَالْمَرْدِيَّةُ﴾: الواقعة من جبل أو حائط، أو في بئر، يقال: تردى: إذا سقط.
﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: التي تنطحها شاة أخرى أو بقرة، «فعيلة» في معنى «مفعولة».

[١٨٠/أ]

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾: افترسه فأكل بعضه.

وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: «السَّبْعُ» بسكون الباء^{(٥)(٦)}.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٦/٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٥/٨) من طريق معمر، عن قتادة قال: «الَّتِي تَمُوتُ فِي خِنَاقِهَا».

(٣) في (ج): (الصيد).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٠).

(٥) في (ت)، و(م)، و(ج): (وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: السَّبْعُ: بسكون الباء، والمراد ما افترسه فأكل بعضه).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٧)، بإسكان الباء هارون عن أبي عمرو، والمعلّى، عن=

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: إلا ما لحقتم من هذا كله وبه حياة، فذبحتموه.

فأما الاستثناء، ففيه قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله: ﴿وَالْمُنْخِفَةُ﴾.

والثاني: أنه يرجع إلى «ما أكل السبع» خاصة، والعلماء على الأول.

فصل في الذكاة

قال الزجاج: أصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فمنه الذكاء في السن، وهو تمام السن^(١).

قال الخليل: الذكاء: أن يأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهماً تاماً^(٢)، سريع القبول. وذكيت النار، أي: أتممت إشعالها^(٣).

وقد روي عن علي، وابن عباس، والحسن، وقتادة، أنهم قالوا: ما أدركت ذكاته بأن توجد له عينٌ تطرف أو ذنب يتحرك، فأكله حلال.

=عاصم، وفي المحرر الوجيز (١٥١/٢) وقرأ الحسن، والفياض، وطلحة بن سليمان، وأبو حيوة بسكون الباء وهي لغة أهل نجد. وقرأ بذلك عاصم في رواية أبي بكر عنه.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٤٥/٢، ١٤٦).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٤٨/١٠)، ولسان العرب (٢٨٧/١٤).

قال القاضي أبو يعلى: ومذهب أصحابنا أنه إن كان يعيش مع ما به، حل بالذبح، فإن كان لا يعيش مع ما به، نظرت، فإن لم تكن حياته مستقرّة، وإنما حركته حركة المذبوح، مثل أن شُقَّ جوفه، وأُبينت حشوته، فانفصلت عنه، لم يحل أكله، وإن كانت حياته مستقرّة يعيش اليوم واليومين، مثل أن يشق جوفه، ولم تقطع الأمعاء، حل أكله.

ومن الناس من يقول: إذا كانت فيه حياة في الجملة أبيع بالذكاة، والصحيح ما ذكرنا، لأنه إذا لم تكن فيه حياة مستقرّة، فهو في حكم الميت. ألا ترى أن رجلاً لو قطع حُشوة آدمي، ثم ضرب عنقه آخر، فالأول هو القاتل، لأن الحياة لا تبقى مع الفعل الأول.

وفي ما يجب قطعه في الذكاة روايتان:

إحدهما: أنه ^(١) الحلقوم والمريء والعرقان اللذان بينهما الحلقوم والمريء، فإن نقص من ذلك شيئاً لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله.

والثانية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء ^(٢)، وهو ظاهر كلامه في رواية حنبل.

وبه قال الشافعي.

وقال أبو حنيفة: يجزئ قطع الحلقوم ^(٣) والمريء ^(٤) وأحد الودجين.

(١) ليست في (م).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قوله: (يجزئ قطع الحلقوم)، ليس في (ج).

(٤) ليست في (ر).

وقال مالك: يجزئ قطع الأوداج، وإن لم يقطع الحلقوم.

وقال الزجاج: الحلقوم بعد الفم، ومنه موضع النفس، وفيه شعب تتشعب منه في الرئة.

و«المريء»: مجرى الطعام، و«الودجان»: عرقان يقطعهما الذابح.

فأما الآلة التي تجوز بها الزكاة، فهي كل ما أنهر الدم، وفري الأوداج سوى السن والظفر، سواء كانا منزوعين أو غير منزوعين.

[١٨٠/ب] وأجاز أبو حنيفة الزكاة بالمنزوعين.

فأما البعير إذا توحش أو تردى في بئر، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره.

وقال مالك: ذكاته زكاة المقدور عليه.

فإن رمى صيداً فأبان بعضه وفيه حياة مستقرة فذكاه، أو تركه حتى مات جاز أكله، وفي أكل ما بان منه روايتان.

قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

في ﴿النُّصُبِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها أصنام تنصب، فتُعبد من دون الله، قاله ابن عباس، والفراء، والزجاج^(١).

فعلى هذا القول يكون المعنى، وما ذبح على اسم النُّصُب، وقيل لأجلها، فتكون «على» بمعنى «اللام»، وهما يتعاقبان في الكلام، كقوله:

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٦).

﴿فَسَلَّمَ لَكَ﴾ [الواقعة: ٩١] أي: عليك، وقوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشترحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج.

وقرأ الحسن، وخارجة عن أبي عمرو^(١): «على النَّضْب» بفتح النون، وسكون الصاد^(٢).

قال ابن قتيبة: يقال: نُضِبٌ ونُضِبٌ ونَضِبٌ^(٣)، وجمعه أنصاب^(٤).

قوله: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾.

قال ابن جرير: أي: وأن تطلبوا علم ما قسم لكم، أو لم يقسم بالأزلام، وهو استفعلت من القسم^(٥).

قال ابن قتيبة: الأزلام: القداح، واحدها: زَلَمٌ وزُلَمٌ^(٦)^(٧).

والاستقسام بها: أن تضرب بها فتعمل بما يخرج فيها من أمر أو

(١) في (ر): (ابن عمرو)؛ وهو خطأ.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٧) عن الحسن بن صالح بن مسلم بن حي، وأبي عبيدة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٥٣) عن الحسن بن أبي الحسن، والبحر المحيط (٤/ ١٧٢) وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: بِضَمِّ النُّونِ، وَإِسْكَانِ الصَّادِ. وَقَرَأَ عَيْسَى بْنُ عُمَرَ: بِفَتْحَتَيْنِ، وَرُوِيَ عَنْهُ كَالْجُمْهُورِ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ: بِفَتْحِ النُّونِ، وَإِسْكَانِ الصَّادِ.

(٣) ليست في (ر).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٥) انظر: تفسيره (٨/ ٧٢).

(٦) تكررت في (م).

(٧) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

نهي، وكانوا إذا أرادوا أن يقسموا شيئاً بينهم، فأحْبُوا أن يعرفوا قسم كل امرئٍ تعرفوا^(١) ذلك منها، فأخذ الاستقسام من القسم وهو النصيب. قال سعيد بن جبير: الأزلام: حصى بيض، كانوا إذا أرادوا غدوًّا، أو رواحًا، كتبوا في قدحين، في أحدهما: أمرني ربي، وفي الآخر: نهاني ربي، ثم يضربون بهما، فأيهما خرج، عملوا به^(٢).

وقال مجاهد: الأزلام: سهام العرب، وكعاب فارس التي يتقامرون بها.

وقال السدي: كانت الأزلام تكون عند الكهنة^(٣).

وقال مقاتل: في بيت الأصنام.

وقال قوم: كانت سدنة الكعبة^(٤).

قال الزجاج: ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، أو اخرج من أجل نجم كذا^(٥).

قوله: ﴿ذَلِكَمُ فَسَقٌ﴾.

في المشار إليه بذلك قولان:

أحدهما: أنه جميع ما ذكر في الآية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن

(١) في (م): (فعرفوا).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧٣ / ٨) من طريق أبي حصين، به، بنحوه.

(٣) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (١٥ / ٣).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٥٢ / ١).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٤٧ / ٢).

عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

والثاني: أنه الاستقسام بالأزلام، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١).

و«الفسق»: الخروج عن طاعة الله إلى معصيته.

قوله: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾.

في هذا «اليوم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ مكة في حجة الوداع، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

وقال ابن السائب: نزلت ذلك اليوم^(٢)^(٣).

[١٨١/أ]

والثاني: أنه يوم عرفة، قاله مجاهد، وابن زيد.

والثالث: أنه لم يرد يومًا بعينه. وإنما المعنى: الآن يسوا، كما تقول: أنا اليوم قد كبرت، قاله الزجاج^(٤).

قال ابن الأنباري: العرب توقع اليوم على الزمان الذي يشتمل على الساعات والليالي، فيقولون: قد كنت في غفلة، فالיום استيقظت، يريدون: فالآن، ويقولون: كان فلان يزورنا، وهو اليوم يحفونا، ولا يقصدون باليوم قصد يوم واحد.

(١) من قوله: (وبه قال سعيد بن جبير)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) ليست في (ج).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/١٥٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/١٤٨، ١٤٧).

قال الشاعر^(١) [من المتقارب]:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا^(٢) وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

أراد: فزمان لنا، وزمان علينا، ولم يقصد ليوم واحد لا ينضم إليه غيره.

وفي معنى يأسهم قولان:

أحدهما: أنهم يئسوا أن يرجع المؤمنون^(٣) إلى دين المشركين، قاله ابن عباس، والسُّدي.

والثاني: يئسوا من بطلان الإسلام، قاله الزجاج^(٤).

قال ابن الأنباري: وإنما يئسوا من إبطال دينهم لما نقل الله خوف المسلمين إليهم، وأمنهم إلى المسلمين، فعلموا أنهم لا يقدرّون على إبطال دينهم، ولا على استئصالهم، وإنما قاتلوهم بعد ذلك ظناً منهم أن كفرهم يبقى. قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾.

قال ابن جريج^(٥): لا تخشوهم أن يظهروا عليكم^(٦).

(١) البيت للنمر بن تولب في ديوانه (ص: ٣٤٧)، وتخليص الشواهد (ص: ١٩٣)، وحاسة البحري (ص: ١٢٣)، والكتاب (١/ ٨٦).

(٢) قوله: (ويومٌ لنا)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) في (ج): (المسلمون).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٨).

(٥) في (ت)، و(ر): (ابن جريج)!

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٧٩).

وقال ابن السائب: لا تخشوهم أن يظهروا على دينكم، واخشوني في مخالفة أمري^(١).

قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث طارق بن شهاب قال: جاء رجلٌ من اليهود إلى عمرَ فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةُ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَأُوهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لَأَتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فَقَالَ عُمَرُ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالسَّاعَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا»^(٢)، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ^(٣).

وفي لفظ: «نزلت عشية عرفة»^(٤).

قال سعيد بن جبير: عاش رسول الله ﷺ بعد ذلك أحدًا وثمانين يومًا.

فأما قوله: ﴿الْيَوْمَ﴾

ففيه قولان:

أحدهما: أنه يوم عرفة، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنه ليس بيوم معين، رواه عطية عن ابن عباس.

(١) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤ / ١٧٤).

(٢) في (ت): (والمكان الذي نزلت فيه).

(٣) رواه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

(٤) رواها عبد بن حميد (٣٠)، وأحمد (١ / ٣٢٠).

وقد ذكرنا هذا^(١) آنفاً.

وفي معنى «إكمال الدين» خمسة أقوال:

أحدها: أنه إكمال فرائضه وحدوده، ولم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحریم، قاله ابن عباس، والسدي.

فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم شرائع دينكم.

والثاني: أنه بنفي المشركين عن البيت، فلم يحج معهم مشرك عامئذ، قاله سعيد بن جبير، وقتادة.

[١٨١/ب] وقال الشعبي: كمال الدين هاهنا: عزه وظهوره^(٢)، وذُلُّ الشُّرك ودروسه، لا تكامل الفرائض والسنن، لأنها لم تنزل تنزل إلى أن قبض رسول الله ﷺ، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم نصر دينكم^(٣).

والثالث: أنه رفع النسخ عنه. وأما الفروض فلم تنزل تنزل عليه حتى قبض، روي عن سعيد بن جبير^(٤) أيضاً.

والرابع: أنه زوال الخوف من العدو، والظهور عليهم، قاله الزجاج^(٥).

(١) ليست في (ج).

(٢) في (م): (عز ظهوره).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٨٤)، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٣/ ١٧) بلفظ: «نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ وَقِفٌ بِعَرَفَاتٍ، وَقَدْ أَطَافَ بِهِ النَّاسُ، وَتَهَدَّمَتْ مَنَارُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَاسِكُهُمْ، وَاضْمَحَلَّ الشُّرْكُ، وَلَمْ يَطُفْ حَوْلَ الْبَيْتِ عُزَيَّانٌ».

(٤) في (م)، و(ر): (عن ابن جبير).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢/ ١٤٨).

والخامس: أنه أمن هذه الشريعة من أن تنسخ بأخرى بعدها، كما نسخ بها ما تقدمها.

وفي «إتمام النعمة» ثلاثة أقوال:

أحدها: منع المشركين من الحج معهم، قاله ابن عباس، وابن جبير، وقتادة.

والثاني: الهداية إلى الإيمان، قاله ابن زيد.

والثالث: الإظهار^(١) على العدو، قاله السدي.

قوله: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ أي: دعت الضرورة إلى أكل ما حُرِّم عليه.

﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ أي: مجاعة، و«الخمص»: الجوع.

قال الشاعر يذم رجلاً^(٢) [من الطويل]:

يَرَى الْخَمَصَ تَغْذِيًّا وَإِنْ يَلْقَ شَبْعَةً يَيْتَ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ الْهَمِّ مُبْهَمًا

وهذا الكلام يرجع إلى المحرمات المتقدمة من الميتة والدم، وما ذكر معها.

قوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾.

قال ابن قتيبة: غير مائل إلى ذلك، و«الجنف»: الميل^(٣).

(١) في (ت)، و(ر): (بالإظهار).

(٢) البيت؛ لحاتم الطائي في ديوانه (ص: ٢٢٥)، وأساس البلاغة؛ للزخشي (١/ ٢٦٦)، وخزانة الأدب (١٠/ ١٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

وقال ابن عباس^(١)، والحسن، ومجاهد^(٢): غير متعمد لإثم.

وفي معنى «تجانب الإثم» قولان:

أحدهما: أن يتناول منه بعد زوال الضرورة، روي عن ابن عباس في آخرين.

والثاني: أن يتعرض لمعصية في مقصده، قاله قتادة.

وقال مجاهد: من بغى وخرج في معصية، حرم عليه أكله^(٣).

قال القاضي أبو يعلى: وهذا أصح من القول الأول، لأن الآية تقتضي اجتماع تجانب الإثم مع الاضطرار، وذلك إنما يصح في سفر^(٤) العاصي، ولا يصح حمله^(٥) على تناول الزيادة على سد الرَّمق، لأن الاضطرار قد زال.

قال أبو سليمان: ومعنى الآية: فمن اضطر فأكله غير متجانب لإثم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ أي: متجاوز عنه^(٦)، ﴿رَحِيمٌ﴾ إِذْ أَحَلَّ ذَلِكَ لِلْمُضْطَرِّ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ وَانْقُوا

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩٤ / ٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩٥ / ٨) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد، بلفظ: «غَيْرُ مُتَعَمِّدٍ لِإِثْمٍ، قَالَ: إِلَى حَرَمِ اللَّهِ مَا حَرَّمَ، رَخَّصَ لِلْمُضْطَرِّ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ لِإِثْمٍ أَنْ يَأْكُلَهُ مِنْ جَهْدٍ؛ فَمَنْ بَغَى أَوْ عَدَا أَوْ خَرَجَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَهُ».

(٣) انظر: أثر مجاهد المتقدم.

(٤) في (م): (السفر).

(٥) في (م): (ولا يجوز يصح حمله).

(٦) قوله: (أي: متجاوز عنه)، ليس في (ت)، و(ر).

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ [المائدة: ٤].

قوله: ﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أُولَىٰ لَهُمْ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن النبي ﷺ لما أمر بقتل الكلاب، قال الناس: يا رسول الله ماذا أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت هذه الآية. أخرجه أبو عبد الله الحاكم في صحيحه من حديث أبي رافع عن النبي ﷺ^(١).

وكان السبب في أمر النبي ﷺ بقتلها أن جبريل عليه السلام^(٢) استأذن على رسول الله ﷺ فأذن له، فلم يدخل وقال: «إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا^(٣) فِيهِ كَلْبٌ^(٤) أَوْ صُورَةٌ^(٥)»، فنظروا فإذا في بعض^(٦) بيوتهم جرو.

[١٨٢/أ]

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٠٠/٨)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣٣/٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٧٢٥-٥٧٢٦)، والطبراني في الكبير (٩٧١-٩٧٢)، والحاكم في المستدرک (٣٤٠/٢)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٣٩٣/٩)، والواحدي في أسباب النزول (١٩١/١) من طريق أبان بن صالح، عن الققعقاع بن حكيم، عن سلمى أم أبي رافع، عن أبي رافع، عن أبي رافع، قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحَلَّ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَمَرْتَ بِقَتْلِهَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أُولَىٰ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) قوله: (بقتلها أن جبريل عليه السلام)، ليس في (ر).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (م): (صورة كلب)!.

(٥) في (م)، و(ج): (ولا).

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٤٢/٦)، ومسلم (٢١٠٤)، وابن ماجه (٣٦٥١).

(٧) ليست في (م).

والثاني: أن عدي بن حاتم، وزيد الخيل الذي سماه رسول الله: زيد الخير، قالوا: يا رسول الله إنا قومٌ نصيد بالكلاب والبُزاة، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما لا ندرك ذكاته، وقد حرّم الله الميتة، فماذا يحلُّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير^(١).

قال الزجاج: ومعنى الكلام: يسألونك أي شيء أحل لهم؟ قل: أحل لكم الطيبات، وأحل لكم صيد ما علّمتم من الجوارح، والتأويل أنهم سألوا عنه ولكن حذف ذكر صيد ما علمتم^(٢)، لأن في الكلام دليلاً [عليه] (٣) (٤).

وفي ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها المباح من الذبائح.

والثاني: أنها ما^(٥) استطابته العرب^(٦) مما لم يحرم.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٣٢) من طريق عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن عدي بن حاتم، وزيد بن المهلهل الطائنين سألوا رسول الله ﷺ، فقالوا يا رسول الله، قد حرّم الله الميتة، فماذا يحلُّ لنا منها؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَكُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَعْنِي: الذَّبَائِحَ الْحَلَالَ الطَّيِّبَةَ لَهُمْ.

(٢) من قوله: (والتأويل أنهم سألوا عنه)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) زيادة من (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٤٩).

(٥) ليست في (م).

(٦) ليست في (ر).

فأما ﴿الْجَوَارِحُ﴾ فهي^(١) ما صيد به من سباع البهائم والطيور، كالكلب، والفهد، والصقر، والبازي، ونحو ذلك مما يقبل التعليم.

قال ابن عباس: كل شيء صاد فهو جارح^(٢).

وفي تسميتها بـ «الجوارح» قولان:

أحدهما: لكسب أهلها بها.

قال ابن قتيبة: أصل الاجتراح: الاكتساب، يقال: امرأة لا جارح لها، أي: لا كاسب^(٣).

والثاني: لأنها تجرح ما تصيد في الغالب، ذكره الماوردي^(٤).

قال أبو سليمان الدمشقي: وعلامة التعليم أنك إذا دعوته أجاب، وإذا أسدته على الصيد استأسد، ومضى في طلبه، وإذا أمسك أمسك عليك لا على نفسه. وعلامة إمساكه عليك: أن لا يأكل منه شيئاً، هذا في السباع والكلاب، فأما تعليم جوارح الطير فبخلاف السباع، لأن الطائر إنما يُعلَّم الصيد بالأكل، والفهد، والكلب، وما أشبههما يعلمون بترك الأكل، فهذا فرق ما بينهما.

(١) في (ج): (فهو).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الْجَوَارِحَ مُكَلِّينَ﴾ [المائدة: ٤] يَغْنِي بِالْجَوَارِحِ: الْكِلَابُ الصَّوَارِي وَالْفُهُودُ وَالصُّقُورُ وَأَشْبَاهُهَا.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٤) انظر النكت والعيون (٢/ ١٥).

وفي قوله: ﴿مُكَلِّينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أصحاب الكلاب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر، وسعيد بن جبير، وعطاء، والضحاك، والسدي، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة^(١).

قال الزجاج: يقال: رجل مكَلَّب وكَلَّاب، أي: صاحب صيد بالكلاب^(٢)^(٣).

والثاني: أن معنى ﴿مُكَلِّينَ﴾ مُصَرِّين على الصيد، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد.

والثالث: أن ﴿مُكَلِّينَ﴾ بمعنى: معلِّمين. قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما قيل لهم: مكلبين، لأن الغالب من صيدهم إنما يكون بالكلاب.

قال ثعلب: وقرأ الحسن، وأبو رزين: «مُكَلِّينَ»، بسكون الكاف^(٤). يقال: أكلب^(٥) الرجل: كثرت كلابه، وأمشى: كثرت ماشيته، والعرب تدعو الصائد مكَلَّبًا.

(١) انظر: معاني القرآن (٣٠٢/١)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٤٩/٢)، وغريب القرآن (ص: ١٤١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) في المحتسب (٢٠٨/١)، والتحصيل؛ للمهدوي (٤٢٤/١) عن أبي رزين، وفي المحرر الوجيز (١٥٧/٢) عن الحسن، وأبو زيد، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٣٧) ابن مسعود، والحسن، وأبو رزين بن عون.

(٥) في (ر): (كلب).

قوله: ﴿تُعَلِّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾.

قال سعيد بن جبير: تؤدّبونهن لطلب الصيد^(١).

وقال الفراء: تؤدّبونهنّ ألا يأكلن صيدهنّ^(٢).

[١٨٢/ب]

واختلفوا هل إمساك الصائد عن الأكل شرط في صحة التعليم أم لا؟

على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه شرط في كل الجوارح، فإن أكلت، لم تُؤكل^(٣)، روي عن ابن عباس، وعطاء.

والثاني: أنه ليس بشرط في الكل، ويؤكل وإن أكلت، روي عن سعد^(٤) بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي.

والثالث: أنه شرط في جوارح البهائم، وليس بشرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي، والنخعي، والسدي.

وهو أصح لما بيننا أن جارح الطير يعلم على الأكل، فأبيح ما أكل منه، وسباع البهائم تعلم على ترك الأكل، فلم يُبيح ما أكلت منه^(٥).

فعلى هذا إذا أكل الكلب والفهد من الصيد، لم يبيح أكله.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (١٥٧/٢) بلا نسبة.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣٠٢/١).

(٣) في (ر): (لم يؤكل).

(٤) في الأصل، و(ت)، و(ر): «سعيد»، وهو خطأ، وهو على الصواب في بقية النسخ.

(٥) من قوله: (وسباع البهائم) ... إلى هنا، ليس في (ج).

فأما ما أكل منه الصقر والبازي، فمباح، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه.
وقال مالك: يُباح أكل ما أكل منه الكلب، والفهد، والصقر، فإن
قتل الكلب، ولم يأكل، أُبيح.

وقال أبو حنيفة: لا يباح، فإن أدرك الصيد، وفيه حياة، فمات قبل
أن يذكيه، فإن كان ذلك قبل القدرة على ذكاته أُبيح، وإن أمكنه فلم
يذِّكِّه، لم يبيح، وبه قال مالك، والشافعي.

وقال أبو حنيفة: لا يباح في الموضعين.

فأما الصيد بكلب المجوسي، فروي عن أحمد أنه لا يُكره، وهو
قول الأكثرين، وروي عنه الكراهة، وهو قول الثوري لقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ
مِنَ الْجَوَارِحِ﴾^(١) وهذا خطاب للمؤمنين.

قال القاضي أبو يعلى: ومنع أصحابنا الصيد بالكلب الأسود، وإن
كان معلماً، لأن النبي ﷺ أمر بقتله، والأمر بالقتل: يمنع ثبوت اليد،
ويبطل حكم الفعل، فيصير وجوده كالعدم، فلا يباح صيده.

قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

قال الأخفش: «من» زائدة كقوله: ﴿فِيهَا مِنْ بَرٍّ﴾ [النور: ٤٣] ^(٢).

(١) قوله: (من الجوارح)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٦).

قوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيَّهِ﴾.

في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الإرسال، قاله ابن عباس، والسدي، وعندنا أن التسمية شرط في إباحة الصيد.

والثاني: ترجع إلى الأكل فتكون التسمية مستحبة.

قوله: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾.

قال سعيد بن جبير: لا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِلَهِينَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ٥].

قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾.

قال القاضي أبو يعلى: يجوز أن يريد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه الآية، ويجوز أن يريد اليوم الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، وفي قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقيل: ليس بيوم معين.

وقد سبق الكلام في «الطيبات» وإنما كرر إحلالها تأكيداً.

فأما أهل الكتاب، فهم اليهود والنصارى، وطعامهم: ذبائحهم، [١٨٣/أ]

هذا قول ابن عباس، والجماعة.

وإنما أريد بها الذبائح خاصة، لأن سائر طعامهم لا يختلف بمن تولاه من مجوسي وكتابي، وإنما الذكاة تختلف، فلما خصَّ أهل الكتاب بذلك، دل على أن المراد الذبائح، فأما ذبائح المجوس، فأجمعوا على تحريمها. واختلفوا في ذبائح من دان باليهودية والنصرانية من عبدة الأوثان:

فروي عن ابن عباس أنه سُئل عن ذبائح نصارى العرب، فقال: لا بأس بها، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]^(١). وهذا قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وعكرمة، وقتادة، والزهري، والحكم، وحماد.

وروي عن علي، وابن مسعود في آخرين: أن ذبائحهم لا تحل. ونقل الخرقى عن أحمد في نصارى بني تغلب روايتين^(٢): إحداهما: تباح ذبائحهم، وهو قول أبي حنيفة، ومالك. والثانية: لا تباح.

وقال الشافعي: من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن، لم يباح أكل ذبيحته^(٣).

قوله: ﴿وَطَعَامُكُمْ حَلَالٌ لَّهُمْ﴾ أي: وذبائحكم لهم حلال، فإذا اشتروا منا شيئاً كان الثمن لنا حلالاً، واللحم لهم حلالاً.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥١٢) من طريق عكرمة، به، بنحوه.

(٢) انظر: مختصر الخرقى (ص: ١٤٣).

(٣) انظر: الأم (٢/ ٢٥٤).

قال الزجاج: والمعنى: أحل لكم أن تطعموهم^(١).

فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن ذكروا غير اسم الله عليها، وكان هذا ناسخاً لقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

والصحيح أنها [إنما]^(٢) أطلقت إباحة ذبائحهم، لأن الأصل أنهم يذكرون الله فيحمل أمرهم على هذا. فإن تيقناً أنهم ذكروا غيره فلا نأكل^(٣) ولا وجه للنسخ، وإلى هذا الذي قلته ذهب^(٤) علي، وابن عمر، وعبادة، وأبو الدرداء، والحسن في جماعة.

قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

فيهن قولان:

أحدهما: العفاف، قاله ابن عباس.

والثاني: الحرائر، قاله مجاهد.

وفي قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قولان:

أحدهما: الحرائر أيضاً، قاله ابن عباس.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥١).

(٢) زيادة من (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٣) في (م): (لم يؤكل)، وفي (ج): (لم تأكل).

(٤) ليست في (ج).

والثاني: العفاف، قاله الحسن، والشعبي، والنخعي، والضحاك، والسدي.
فعلى هذا القول يجوز تزويج الحرّة منهن والأمة.

فصل

وهذه الآية أباحت نكاح الكتابية.

وقد روي عن عثمان^(١) أنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية.

وعن طلحة بن عبيد الله: أنه تزوج يهودية^(٢).

وقد روي عن عمر، وابن عمر كراهة ذلك.

واختلفوا في نكاح الكتابية الحربية:

فقال ابن عباس: لا تحل^(٣). والجمهور على خلافه.

وإنما كرهوا ذلك، لقوله: ﴿لَا تَحْدُ قَوْمًا يُمُونُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [١٨٣/ب] يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿﴾ {المجادلة: ٢٢}، والنكاح يوجب الودّ.

(١) في (م): (عمر).

(٢) انظر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٠٠٦٠).

(٣) رواه الجصاص في أحكام القرآن (١٧/٢) من طريق عباد بن العوام، عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قَالَ لَا تَحِلُّ نِسَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا كَانُوا حَرْبًا قَالَ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ - إلى قوله - ﴿وَهُمْ صَغُورُونَ﴾.

واختلفوا في نكاح نساء تغلب:

فروي عن عليٍّ عليه السلام الحظر، وبه قال جابر بن زيد، والنخعي.

وروي عن ابن عباس الإباحة.

وعن أحمد روايتان.

واختلفوا في إماء أهل الكتاب:

فروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد: أنه لا يجوز نكاحهن، وبه

قال الأوزاعي، ومالك، والليث بن سعد، والشافعي، وأصحابنا.

وروي عن الشعبي، وأبي مسيرة: جواز ذلك، وبه قال أبو حنيفة.

فأما المجوس:

فالجمهور على أنهم ليسوا بأهل كتاب، وقد شدَّ من قال: إنهم أهل كتاب.

ويبطل قولهم قوله عليه السلام: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(١).

(١) رواه مالك في الموطأ (٤٢)، ومن طريقه الشافعي في مسنده (٤٣٠)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠٠٢٥)، وابن أبي شيبة (١٠٧٦٥)، وابن زنجويه في الأموال (١٢٢)، والبزار في مسنده (١٠٥٦)، وأبو يعلى في مسنده (٨٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٣١٩/٩) بلفظ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ذَكَرَ الْمَجُوسَ فَقَالَ: مَا أَدْرِي كَيْفَ أَضْعُ فِي أَمْرِهِمْ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ». وفي سنده إنقطاع، وانظر: البدر المنير (٦١٧/٧)، والتلخيص الحبير (٣/٣٧٥).

فأما «الأجور»، و«الإحصان»، و«السَّفاح»، و«الأخذان» فقد سبق في «سورة النساء»^(١).

قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾.

سبب نزول هذا الكلام:

أن الله تعالى لما رخص في نكاح الكتابيات قلن بينهن: لولا أن الله تعالى قد رضي علينا، لم يباح للمؤمنين تزويجنا، وقال المسلمون: كيف يتزوج الرجل منا الكتابية^(٢)، وليست على ديننا، فنزلت: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾. رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٣).

وقال مقاتل بن حيان: نزلت فيما أحصن المسلمون من نساء أهل الكتاب، يقول: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر^(٤).

وروى ليث عن مجاهد: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ قال: الإيمان بالله تعالى^(٥).

وقال الزجاج: معنى الآية: من أحل ما حرم الله، أو حرم ما أحله الله فهو كافر^(٦).

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٢٤، ٢٥).

(٢) في (ج): (كيف يتزوج الرجل كتابية).

(٣) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ١٨٦).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٤/ ٢٣)، والبحر المحيط (٤/ ١٨٦).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ١٥٠) من طرق عن مجاهد، بنحوه.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٢).

وقال أبو سليمان: من جحد ما أنزله الله من شرائع الإيمان، وعرفه من الحلال والحرام، فقد حبط عمله المتقدم.

وسمعت الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه^(١) يقول: إنما أباح الله ﷻ الكتابيات، لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن، فحذرنا كجهن من الميل إلى دينهن بقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾.

قال الزجاج: المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]^(٢).

قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: إذا آخيت فأخ أهل الحسب، وإذا اتجرت فاتجر في البر. قال: ويجوز أن يكون الكلام مقدماً ومؤخراً، تقديره: إذا غسلتم وجوهكم، واستوفيتم الطهور، فقوموا إلى الصلاة.

(١) الحسن بن أبي بكر النيسابوري، كان من أصحاب أبي حنيفة، وكانت له معرفة حسنة باللغة وفهم جيد في المناظرة. انظر: المنتظم للمؤلف (٣١ / ١٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٥٢ / ٢).

وللعلماء في المراد بالآية قولان:

أحدهما: إذا قمتم إلى الصلاة محدثين، فاغسلوا، فصار الحدث مضمراً في وجوب الوضوء، وهذا قول سعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، والفقهاء.

والثاني: أن الكلام على إطلاقه من غير إضمار، فيجب الوضوء على كل من يريد الصلاة، محدثاً كان، أو غير محدث، وهذا مروي عن علي عليه السلام، [١٨٤/أ] وعكرمة، وابن سيرين.

ونقل عنهم أن هذا الحكم غير منسوخ.

ونقل عن جماعة من العلماء أن ذلك كان واجباً، ثم نسخ بالسنة. وهو ما روى بريدة أن النبي ﷺ صلى يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد، فقال له عمر: لقد صنعت شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: «عَمْدًا فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ»^(١).

وقال قوم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناها: إذا قمتم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء، فاغسلوا وجوهكم.

(١) رواه أبو عبيد في الطهور (٤٠)، وأحمد في مسنده (١٣٤/٣٨)، والترمذي (١٦)، وابن الجارود في المتقى (١)، والطبري في تفسيره (١٦٠/٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١٢) وغيرهم عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ: يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ، وَصَلَّى الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ فَعَلْتَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ قَالَ: «إِنِّي عَمْدًا فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ».

قوله: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾.

«إلى» حَرْفٌ موضوعٌ للغاية، وقد تدخل الغاية فيها تارة، وقد لا تدخل، فلما كان الحدث يقيناً، لم يرتفع إلا بيقين مثله، وهو غسل المرفقين. فأما الرأس فنقل عن أحمد وجوب مسح جميعه. وهو قول مالك، وروى عنه: يجب مسح أكثره^(١).

وروي عن أبي حنيفة روايتان: إحداهما: أنه يتقدَّر بربع الرأس.

والثانية: بمقدار ثلاثة أصابع.

قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر اللام عطفاً على مسح الرأس.

وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم، ويعقوب^(٢): بفتح اللام عطفاً على الغسل^(٣). فيكون من المقدَّم والمؤخَّر.

قال الزجاج: الرَّجْل من أصل الفخذ إلى القدم، فلما حدَّ الكعبين، عَلِمَ أن الغسل ينتهي إليهما، ويدل على وجوب الغسل التحديد بالكعبين، كما جاء في تحديد اليد «إلى المرافق»، ولم يجئ في شيء من المسح تحديد، ويجوز أن يراد الغسل على قراءة الخفض، لأن التحديد بالكعبين يدل على

(١) في (م): (كثيره).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٤٢)، والحجة (٣/ ٢١٤)، والتيسير (ص: ٩٨)، والمبسوط (ص: ١٨٤).

الغسل، فينشق بالغسل على المسح^(١).

قال الشاعر^(٢) [من الكامل]:

يَا لَيْتَ بَعْلِكَ قَدْ عَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

والمعنى: وحاملًا رُحْمًا.

وقال الآخر^(٣) [من الرجز]:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا

والمعنى: وسقيتها ماءً باردًا.

وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز الجرُّ على الإِتياع، والمعنى: الغسل، نحو قولهم: جُحِرُ ضَبٌّ خَرِبٌ^(٤).

وقال ابن الأنباري: لما تأخّرت الأرجل بعد الرؤوس، نسقت عليها للقرب والجوار، وهي في المعنى نسق على الوجوه كقولهم: جحر ضبٌّ خَرِبٌ، ويجوز أن تكون منسوقة عليها، لأن العرب تسمّي الغسل

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٢-١٥٣).

(٢) البيت بلا نسبة في المحكم والمحيط (١/ ٣٠٦)، ولسان العرب (٨/ ٤٢)، وخزانة الآداب (٩/ ١٤٢).

(٣) البيت بلا نسبة في شرح كتاب سيبويه (١/ ٧٠)، والخصائص (٢/ ٤٣٣)، والإنصاف (٢/ ٥٠١)، وأمثالي ابن الشجري (٣/ ٨٢)، ولسان العرب (٢/ ٢٨٧، ٣/ ٣٦٧) وغمامه: حَتَّى شَتَّتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٧).

مسحًا، لأن الغسل لا يكون إلا بمسح.

وقال أبو علي: مَنْ جَرَّ فُحْجَتَهُ أَنَّهُ وَجَدَ فِي الْكَلَامِ عَامِلِينَ: أَحَدُهُمَا: الْغَسْلَ، وَالْآخَرَ: الْبَاءَ الْجَارَةَ، وَوَجْهَ الْعَامِلِينَ إِذَا اجْتَمَعَا: أَنْ يَحْمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْأَقْرَبِ مِنْهُمَا دُونَ الْأَبْعَدِ، وَهُوَ «الْبَاءُ» هَاهُنَا^(١).

وقد قامت الدلالة على أن المراد بالمسح: الغسل من وجهين:

أحدهما: أن أبا زيد قال: المسح خفيف الغسل، قالوا: تمسحت [١٨٤/ب للصلاة]^(٢).

وقال أبو عبيدة: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾^(٣) [ص: ٣٣]، أي ضربًا، فكان المسح في الآية غسل خفيف^(٤).

فإن قيل: فالمستحب التكرار ثلاثًا؟

قيل: إنما جاءت الآية بالمفروض دون المسنون.

والوجه الثاني: أن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول دون المسوح، فلما وقع التحديد مع المسح، عُلِمَ أَنَّهُ فِي حَكْمِ الْغَسْلِ لِمُوَافَقَتِهِ الْغَسْلَ فِي التَّحْدِيدِ، وَحُجَّةٌ مِنْ نَصْبِ أَنَّهُ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى الْغَسْلِ لِاجْتِمَاعِ فُقُهَاءِ الْأَمْصَارِ عَلَى الْغَسْلِ.

(١) انظر: الحجة (٣/ ٢١٤).

(٢) انظر: الوسيط (٢/ ١٥٩).

(٣) قوله: (والأعناق)، زيادة من (م).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢/ ١٨٣).

قوله: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

«إلى» بمعنى «مع». و«الكعبان»: العظمان الناتئان من جانبي القدم.

قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا﴾ أي: فتطهروا، فأدغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد، [واجتلبت الهمزة توصلاً إلى النطق بالساكن] ^(١).

وقد بين الله ﷻ طهارة الجنب في «سورة النساء» بقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [الآية: ٤٣] وقد ذكرنا هناك الكلام في تمام الآية إلى قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾، و«الحرج»: الضيق، فجعل الله الدين واسعاً حين رخص في التيمم.

قوله: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: يريد أن يطهركم.

قال مقاتل: من الأحداث والجنابة ^(٢).

وقال غيره: من الذنوب والخطايا، لأن الوضوء يكفر الذنوب.

قوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾.

في الذي يتم به النعمة أربعة أقوال:

أحدها: بغفران الذنوب.

قال محمد بن كعب القرظي: حدثني عبد الله بن دارة، عن همران

قال: مررت على عثمان بفخارة من ماء، فدعا بها فتوضأ، فأحسن

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٥٦).

الوضوء ثم قال: لو لم أسمع من رسول الله ﷺ غير مرة أو مرتين أو ثلاثاً ما حدثتكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا تَوَضَّأَ عَبْدٌ فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّاهَا، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الْأُخْرَى». قال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث التمسُّتُ في القرآن؛ فَالْتَمَسْتُ هذا فوجدته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ١-٢] فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت^(١) الآية التي في المائدة: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلْيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ فعلمت أنه لم يتم النعمة عليهم حتى غفر لهم^(٢).

والثاني: بالهداية إلى الإيِّان، وإِكِّمال الدين، وهذا قول ابن زيد.

والثالث: بالرخصة في التيمم، قاله مقاتل^(٣)، وأبو سليمان.

(١) في (ر): (نزلت).

(٢) غريب بهذا اللفظ، رواه ابن المبارك في الزهد كما في زيادات المروزي (٩٠٤)، ومن طريقه الواحدي في الوسيط (١٦٣/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٧٢) من طريق أبي معشر، عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن دارة، به، بنحوه. ونجیح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر المدني ضعيف، وقد اختلط. والحديث في البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦) بلفظ: أَنَّ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ، رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى كَفِّهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، فغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَذْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ، فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ تَحَوُّ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٥٦/١).

والرابع: ببيان^(١) الشرائع، ذكره بعض المفسرين^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: ٧).

قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني النعم كلها. وفي هذا حثٌّ على الشكر.

وفي الميثاق أربعة أقوال:

أحدها: أنه إقرار كل مؤمن بما آمن به.

[١٨٥/أ] قال ابن عباس: لما أنزل الله الكتاب، وبعث الرسول، فقالوا: آمنا، ذكرهم ميثاقه الذي أقرؤا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء^(٣).

والثاني: أنه الميثاق الذي أخذه من بني آدم حين أخرجهم من ظهره، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد.

والثالث: أنه ما وثق على المؤمنين على لسان نبيه ﷺ من الأمر بالوفاء بما أقرؤا به من الإيمان. روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والرابع: أنه الميثاق الذي أخذ من الصحابة على السمع والطاعة في بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، ذكره بعض المفسرين.

(١) في (ج): (تبيان).

(٢) في (ج): (ذكره المفسرون).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٢٠)، والطبراني في الكبير (١٣٠٣١) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

قال مقاتل: اتقوه في نقض الميثاق^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من إيمان وشك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت من أجل كفر قريش أيضًا، وقد تقدّم ذكرهم في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ روى نحو هذا أبو صالح، عن ابن عباس^(٢)، وبه قال مقاتل^(٣).

والثاني: أن قريشًا بعثت رجلًا ليقتل رسول الله ﷺ، فأطلع الله نبيه على ذلك، ونزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول الحسن^(٤).

والثالث: أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية، فهُمُّوا بقتله، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وقتادة^(٥).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٥٧).

(٢) في (ج): (روي نحو هذا عن أبي طلحة عن ابن عباس).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٥٧).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٢/٢٨).

(٥) انظر: البحر المحيط (٤/١٩٧).

ومعنى الآية: كونوا قوامين لله بالحق، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل ﴿أَعْدِلُوا﴾ في الولي والعدو ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: إلى التقوى.

والمعنى: أقرب إلى أن تكونوا متقين، وقيل: هو أقرب إلى اتقاء النار.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١١﴾ [المائدة: ٩، ١٠].

قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾.

في معناها قولان:

أحدهما: أن المعنى: وعدهم أن يغفر لهم ويأجرهم فاكفَى بما ذكر عن هذا المعنى.

والثاني: أن المعنى: وعدهم فقال: لهم مغفرة.

وقد بينا في «البقرة» معنى «الجحيم»^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١١﴾ [المائدة: ١١].

قَوْلُهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾.

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٩).

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن رجلاً من محارب قال لقومه: الا أقتل لكم محمداً، فقالوا: وكيف تقتله؟ فقال: أفتك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وسيفه في حجره، فأخذه، وجعل يهزه، ويهمُّ به، فيكِّبته الله، ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال: «لا»، قال: لا تخافني وفي يدي السيف؟! قال: «يَمْنَعُنِي اللهُ مِنْكَ»، فأغمد السيف، ونزلت هذه الآية، رواه الحسن البصري عن جابر [١٨٥/ب بن عبد الله^(١)].

وفي بعض الألفاظ: فسقط السيف من يده^(٢).

وفي لفظ آخر: فما قال له النبي ﷺ شيئاً ولا عاقبه^(٣).

واسم هذا الرجل: غورث بن الحارث من محارب خصفة.

والثاني: أن اليهود عزموا على الفتك برسول الله ﷺ، فكفاه الله شرهم، قال ابن عباس: صنعوا له طعاماً، فأوحى الله بشأنهم، فلم يأت.

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٦١)، والواحدي في أسباب النزول (١/ ١٩٢) من طريق محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن البصري، به، بنحوه.

(٢) رواه عبد بن حميد (١٠٩٦)، وأحمد (٢٣/ ١٩٣)، وأبو يعلى (١٧٧٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٣١٥)، وابن حبان (٢٨٨٣)، والحاكم في المستدرک (٣/ ٢٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) من طرق عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سليمان بن قيس، عن جابر، بألفاظ متقاربة.

(٣) انظر: المصدر السابق.

وقال مجاهد^(١)، وعكرمة^(٢): خرج إليهم يستعينهم في دية، فقالوا: اجلس حتى نعطيك، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة؟ فقال عمرو بن جحّاش: أنا، فجاء إلى رحي عزيمة ليطرحها عليه، فأمسك الله يده، وجاء جبريل، فأخبره، وخرج، ونزلت هذه الآية.

والثالث: أن بني ثعلبة، وبني محارب أرادوا أن يفتكوا بالنبي ﷺ وبأصحابه، وهم يطن نخلة في غزاة رسول الله ﷺ السابعة، فقالوا: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم، فإذا سجدوا وقعنا بهم، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، وأنزلت صلاة الخوف، ونزلت هذه الآية، هذا قول قتادة^(٤).

والرابع: أنها نزلت في حق^(٥) اليهود حين ظاهروا المشركين على رسول الله ﷺ، هذا قول ابن زيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ

(١) من قوله: (صنعوا له طعاماً) ... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٨/٨) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٠/٨) من طريق ابن جريج، به، بلفظ مطول.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٢/٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٥) ليس في (م).

وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾ [المائدة: ١٢].

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

قال أبو العالية: أخذ الله ميثاقهم أن يخلصوا له العبادة، ولا يعبدوا غيره^(١).
وقال مقاتل: أن يعملوا بها في التوراة^(٢).

وفي معنى النقيب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الضمين، قاله الحسن^(٣). ومعناه: أنه ضمين لتُعرف أحوال من تحت يده، ولا يجوز أن يكون ضميناً عنهم بالوفاء، لأن ذلك لا يصح ضمانه.

وقال ابن قتيبة: هو الكفيل على القوم. والنقابة شبيهة بالعرفاة^(٤).
والثاني: أنه الشاهد، قاله قتادة.

وقال ابن فارس: النقيب: شاهد القوم، وَضَمِينُهُمْ^(٥).

والثالث: الأمين، قاله الربيع بن أنس، واليزيدي.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٣٥ / ٨) من طريق الربيع، به، بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٦١ / ١).

(٣) قوله: (قاله الحسن)، ليس في (ت).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٤٦٦ / ٥).

وهذه الأقوال تتقارب.

قال الزجاج: النقيب في اللغة، كالأمين والكفيل، يقال: نَقَبَ الرجل على القوم نَقْبًا: إذا صار نَقِيًّا عليهم، وصناعته النقابة، وكذلك عَرَفَ عَلَيْهِم: إذا صار عريفًا، ويقال لأول ما يبدو من الحرب: النُّقْبَة، ويجمع النُّقْب والنَّقْب.

وقال الشاعر^(١) [من الكامل]:

مُبَدَّلًا تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ

ويقال: في فلان مناقب جميلة، وكل الباب معناه: التأثير الذي له عُمق ودخول، ومن ذلك نقبت الحائط، أي^(٢): بلغت في النقب آخره، [١٨٦/أ] والنقبة من الحرب: داء شديد الدخول.

وإنما قيل: نقيب، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم^(٣).

ونقل أن الله تعالى أمر موسى وقومه بالسير إلى الأرض المقدسة، وكان يسكنها الجبارون، فقال تعالى: يا موسى اخرج إليها وجاهد من فيها من العدو، وخُذْ من قومك اثني عشر نقيبًا، من كل سبط نقيبًا يكون

(١) البيت؛ لدريد بن الصمة في معجم ديوان الأدب (١/١٥٠)، وتهذيب اللغة (٩/١٦٠)، والمحكم والمحيط (٦/٤٥٠)، ولسان العرب (١/٧٦٦)، وشرح المفصل (٥/٦٥).

(٢) في (م): (إذا).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/١٥٧).

كفيلًا على قومه بالوفاء بما أمروا به، فاختروا النقباء.

وفيما بعثوا له قولان:

أحدهما: أن موسى ﷺ بعثهم إلى بيت المقدس، ليأتوه بخبر الجبارين،
قاله ابن عباس، ومجاهد، والسُّدي.

والثاني: أنهم بعثوا ضمناً على قومهم بالوفاء بميثاقهم، قاله
الحسن، وابن إسحاق.

وفي نبوتهم قولان: أحدهما: أنهم ليسوا بأنبياء.

قوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ في الكلام محذوف. تقديره: وقال الله لهم.

وفي المقول لهم قولان:

أحدهما: أنهم بنو إسرائيل، قاله الجمهور.

والثاني: أنهم النقباء، قاله الربيع، ومقاتل^(١).

ومعنى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بالعون والنصرة.

وفي معنى: ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الإعانة والنصر، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد،
وقتادة، والسُّدي.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

والثاني: أنه التعظيم والتوقير، قاله عطاء، واليزيدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة^(١).

قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٢).

في هذا الإقراض^(٣) قولان:

أحدهما: أنه^(٤) الزكاة الواجبة.

والثاني: صدقة التطوع.

وقد شرحنا في «البقرة» معنى القرض الحسن^(٥).

قوله: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ يشير إلى المشاق ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ قصد الطريق.

قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦)
[المائدة: ١٣].

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ١٥٦) فيه: نصرتموهم وأعتموهم وقرتموهم وأيدتموهم، وغريب القرآن (ص: ١٤١).

(٢) قوله: (قرضاً حسناً)، ليس في الأصل، و(م)، وهو من بقية النسخ.

(٣) في (م): (القرض).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٤٥).

قوله: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فنقضوا، فبنقضهم لعناهم.

وفي المراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها التعذيب بالجزية، قاله ابن عباس.

والثاني: التعذيب بالمسخ، قاله الحسن، ومقاتل^(١).

والثالث: الإبعاد من الرحمة، قاله عطاء، والزجاج^(٢).

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: قَاسِيَةً بالالف، يقال: قست، فهي قاسية^(٣).

وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم^(٤): «قَسِيَّةٌ» بغير ألف [مع تشديد الياء]^{(٥)(٦)}.

لأنه قد يجيء فاعل وفعل، مثل شاهد وشهيد، وعالم وعليم.

و«القسوة»: خلاف اللين والرقة. وقد ذكرنا هذا في «البقرة»^(٧).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٩).

(٣) من قوله: (قرأ ابن كثير) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) قوله: (والمفضل عن عاصم)، ليس في (م).

(٥) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، و(م)، وهو من (ت)، و(ج)، و(ر).

(٦) انظر: السبعة (ص: ٢٤٣)، والحجة (٣/ ٢١٦)، والتيسير (ص: ٩٩)، والمبسوط (١/ ١٨٥)،

وليس فيها رواية المفضل عن عاصم.

(٧) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٧٤).

وفي تحريفهم الكلم ثلاثة أقوال:

أحدها: تغيير حدود التوراة، قاله ابن عباس.

والثاني: تغيير صفة محمد ﷺ، قاله مقاتل^(١).

والثالث: تفسيره على غير ما أنزل، قاله الزجاج^(٢)^(٣).

قوله: ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ مبيّن في «سورة النساء»^(٤).

قوله: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [١٨٦/ب].

«النسيان» هاهنا: الترك عن عمد. و«الحظ»: النصيب.

قال مجاهد^(٥): نسوا كتاب الله الذي أنزل عليهم^(٦).

وقال غيره: تركوا نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم.

وفي معنى ﴿ذُكِّرُوا بِهِ﴾ قولان:

أحدهما: أمروا.

والثاني: أوصوا.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٦١).

(٢) قوله: (قاله الزجاج)، ليس في (ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/١٦٠).

(٤) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٤٦).

(٥) قوله: (قال مجاهد)، ليس في (ج).

(٦) رواه عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٣/٤١).

قوله: ﴿وَلَا نَزَالُ تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾.

وقرأ الأعمش: «على خيانة منهم»^(١).

قال ابن قتيبة: الخائنة: الخيانة. ويجوز أن تكون صفة للخائنين، كما يقال: رجلٌ طاغية، وراويّة للحديث^(٢).

قال ابن عباس: وذلك مثل نقض قريظة عهد رسول الله ﷺ، وخروج كعب بن الأشرف إلى أهل مكة للتحريض على رسول الله، [إلا قليلاً]^(٣) منهم لم ينقضوا العهد، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقيل: بل القليل ممن لم يؤمن.

قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾.

واختلفوا في نسخها على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة، قاله الجمهور.

واختلفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها آية السيف.

والثاني: قوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

[التوبة: ٢٩] الآية^(٤).

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٨) عن ابن محيصن، وفي المحرر الوجيز (٢/ ١٧٠) عن الأعمش.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، و(ت)، وهو من (م)، و(ج)، و(ر).

(٤) قوله: (ولا باليوم الآخر، الآية)، ليس في (ت)، و(م)، و(ج).

والثالث: قوله: ﴿وَأِمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨].

والثاني: أنها نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد، فغدروا، وأرادوا قتل النبي ﷺ فأظهره الله عليهم، ثم أنزل الله هذه الآية، ولم تنسخ. قال ابن جرير^(١): يجوز أن يعفى عنهم في غدره فعلوها، ما لم ينصبوا حرباً، ولم يمتنعوا من أداء الجزية والإقرار بالصغار، فلا يتوجه النسخ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾.

قال الحسن: إنما قال: قالوا: إنا نصارى، ولم يقل: من النصارى، ليدل على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة، وهم الذين تبعوا^(٣) المسيح. وقال قتادة: كانوا بقرية، يقال لها: ناصرة، فسمّوا بهذا الاسم^(٤).

قال مقاتل: أخذ عليهم الميثاق، كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، فتركوا ما أمروا به^(٥).

(١) في الأصل: (ابن جرير)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٥٥).

(٣) في (ت)، و(م)، و(ر): (اتبعوا).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٦٩٦) عن معمر، ومن طريقه رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٤/ ٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦١).

قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ﴾.

قال النضر^(١): هَيَّجْنَا بَيْنَهُمْ^(٢)^(٣).

وقال المؤرّج: حَرَّشْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ^(٤).

وقال الزجاج: أَلْصَقْنَا بِهِمْ ذَلِكَ^(٥)، يقال: غَرِيتُ بِالرَّجُلِ غَرِيًّا - مَقْصُورٌ - إِذَا لَصِقَتْ بِهِ، هَذَا قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ. وَقَالَ غَيْرُ^(٦) الْأَصْمَعِيِّ: غَرِيتُ بِهِ غَرَاءً مَمْدُودٌ، وَهَذَا الْغَرَاءُ الَّذِي يُغَرَى بِهِ إِنَّمَا يَلْصُقُ^(٧) بِهِ^(٨) الْأَشْيَاءُ، وَمَعْنَى أَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ: أَنَّهُمْ صَارُوا فَرَقًا يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٩).

وَفِي الْهَاءِ وَالْمِيمِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمَا تَرَجَعَا إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ^(١٠)، وَالسُّدِّيُّ.

(١) قوله: (النضر)، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) قوله: (بينهم)، ليس في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٣) انظر: الوسيط للواحدي (١٦٨/٢).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في (ج): (أَلْصَقْنَا بِهِمْ عَلَى ذَلِكَ).

(٦) قوله: (غير)، ليس في (ت)، و(ر).

(٧) في (ت): (تَلَصَّقَ).

(٨) ليست في (م).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعراجه (١٦١/٢).

(١٠) ليست في (ج).

والثاني: ترجع إلى النصارى خاصة، قاله الربيع.

[١٨٧/أ] وقال الزجاج: هم النصارى، منهم النسطورية واليعقوبية والملكية، وكل فرقة منهم تعادي الأخرى^(١).

وفي تمام الآية وعيد شديد لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

قوله: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود.

والثاني: اليهود والنصارى.

و«الرسول»: محمد ﷺ.

قوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾.

قال ابن عباس: أخفوا آية الرّجم، وأمر محمد ﷺ وصفته^(٢).

﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ يتجاوز، فلا يخبرهم بكتمانه.

فإن قيل: كيف كان له أن يمسك عن حق كتّموه فلا يبينه؟

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/٢٦٢) من طريق عكرمة، به، بنحوه.

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه كان متلقياً ما يؤمر به، فإذا أمر بإظهار شيء من أمرهم، أظهره، وأخذهم به، وإلا سكت.

والثاني: أن^(١) عقد الذمة إنما كان على أن^(٢) يُقرُّوا على دينهم، فلما كتموا كثيراً مما أمروا به، واتخذوا غيره ديناً، أظهر عليهم ما كتموه من صفته وعلامة نبوته، ليتحقق معجزته عندهم، واحتكموا إليه في الرجم، فأظهر ما كتموا مما يوافق شريعته، وسكت عن أشياء ليتحقق إقرارهم على دينهم.

قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾

قال قتادة: يعني بالنور: النبي محمد ﷺ^(٣).

وقال غيره: هو الإسلام، فأما الكتاب المبين، فهو القرآن.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ يعني: بالكتاب.

و﴿رِضْوَانَهُ﴾: ما رضى به الله تعالى.

(١) ليست في (م).

(٢) قوله: (على أن)، ليس في (م).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٦٨).

و«السُّبُل»، جمع سبيل.

قال ابن عباس: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: دين الإسلام^(١).

وقال السدي: «السلام»: هو الله، و«سبله»: دينه الذي شرعه^(٢).

قال الزجاج: وجائز أن يكون ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طرق السَّلامَة التي مَنْ سلكها سَلِمَ في دينه، وجائز أن يكون «السلام» اسم الله ﷻ، فيكون المعنى: طرق الله ﷻ^(٣).

قوله: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾.

قال ابن عباس: يعني من الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ يعني: الإيمان ﴿يَاذَنِهِ﴾ أي: بأمره ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام^(٤).

وقال الحسن: طريق الحق^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [المائدة: ١٧].

(١) أورده الواحدي في الوسيط (١٦٩/٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٦٥/٨) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعراجه (١٦١/٢).

(٤) أورده الواحدي في أسباب النزول (١٦٩/٢).

(٥) المصدر السابق بلفظ: هو الذي يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة.

قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

قال ابن عباس: هؤلاء نصارى أهل نجران، وذلك أنهم اتخذوه إلهًا^(١).

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فمن يقدر أن يدفع من عذابه شيئًا.

﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: فلو كان إلهًا كما تزعمون لقدّر أن يردّ أمر الله إذا جاءه بإهلاكه أو إهلاك أمّه، ولما نزل أمر الله بأمّه، لم يقدر أن يدفع عنها.

وفي قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ردّ عليهم حيث قالوا للنبي ﷺ: فهات مثله من غير أب.

فإن قيل: لم قال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ولم يقل: وما بينهما؟

[١٨٧/ب]

فالجواب: أن المعنى: وما^(٢) بين هذين النوعين من الأشياء، قاله ابن جرير^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

(١) رواه ابن جرير الطبري (٥/ ٤٦٠)، وابن أبي حاتم (٣٦٠٦) في تفسيرهما، من طريق عطية العوفي، به، بلفظ مطول.

(٢) في (ت): (فما).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٦٧).

قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى﴾.

قال مقاتل: هم يهود المدينة، ونصارى نجران^(١).

وقال السدي: قالوا: إن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل^(٢): إِنَّ وَلَدَكَ بِكَرِي
من الولد، فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم، وتأكل
خطاياهم، ثم ينادي منادٍ: أخرجوا كل مختون من بني إسرائيل^(٣).

وقيل: إنهم لما قالوا: المسيح ابن الله، كان معنى قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ
اللَّهِ﴾ أي: منّا ابن الله.

وفي قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إبطال لدعواهم، لأن الأب لا
يعذب ولده، والحبيب لا يعذب حبيبه، وهم يقولون: إن الله يعذبنا أربعين
يوماً بالنار.

وقيل: معنى الكلام: فلمَ عذب منكم من مسخه قردة وخنزير؟
وهم أصحاب السبت والمائدة.

قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: أنتم كسائر بني آدم تُجَارُونَ
بالإحسان والإساءة.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٦٤).

(٢) في (ت)، و(ر): (بني إسرائيل).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/٢٦٩) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

قال عطاء: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ وهم الموحدون، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ وهم المشركون^(١).

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾.

سبب نزولها:

أن معاذ بن جبل، وسعد بن عباد، وعقبة بن وهب، قالوا: يا معشر اليهود اتقوا الله، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته، فقال وهب بن يهوذا، ورافع: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله بعد موسى من كتاب، ولا أرسل رسولاً^(٢) بشيراً ولا نذيراً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس^(٣).

فأما «الفترة» فأصلها السكون، يقال: فتر الشيء يفتر فتوراً: إذا سكنت حدته، وانقطع عما كان عليه، والطرف الفاتر: الذي ليس بحديد. والفتور: الضعف.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٧٠) بلفظ: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾، قال عطاء: لمن يوحد، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ من لا يوحد.

(٢) ليست في (ر).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٢٧٣) من طريق سعيد بن جبير، أو عكرمة، به، بنحوه.

وفي مدة الفترة بين عيسى ومحمد أربعة أقوال:

أحدها: أنه كان بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سلمان الفارسي، ومقاتل^(١).

والثاني: خمسمائة سنة وستون سنة^(٢)، قاله قتادة^(٣).

والثالث: أربع مائة وبضع وثلاثون سنة، قاله الضحاك.

والرابع: خمسمائة [سنة]^(٤) وأربعون سنة، قاله ابن السائب.

وقال أبو صالح عن ابن عباس ﴿عَلَى فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أي: انقطاع منهم^(٥).

قال: وكان بين ميلاد عيسى، وميلاد محمد ﷺ خمسمائة سنة وتسعة

وتسعون^(٦) سنة، وهي فترة. وكان بعد عيسى أربعة من الرسل، فذلك

قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤].

قال: والرابع لا أدري من هو؟. وكان بين تلك السنين مائة سنة،

وأربع وثلاثون [سنة]^(٧) نبوة وسائرها فترة.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): (قاله مقاتل و قتادة).

(٤) من (ج).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٧٠).

(٦) في (م)، و(ر): (وستون).

(٧) من (ج).

قال أبو سليمان الدمشقي^(١): والرابع، والله أعلم: خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «نَبِيٌّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ»^(٢).

قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾.

قال الفراء: كي لا تقولوا: مثل قوله: ﴿يَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]^(٣).

وقال غيره: لئلا تقولوا، وقيل: كراهة أن تقولوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٠) [المائدة: ٢٠].

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه البزار في مسنده (٥٠٩١)، والطبراني في الكبير (١٢٢٥٠) من طريق محمد بن الصلت، عن قيس بن الربيع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ذَكَرَ خَالِدُ بْنُ سَنَانٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «ذَلِكَ نَبِيٌّ ضَيَّعَهُ قَوْمُهُ». ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٤٩٣)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٤٢١/٢) من طريق سفيان، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، مرسلًا.

قال البزار: وهذا الحديث رواه الثوري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير مرسلًا، وأسنده قيس، ولم نسمع أحدًا يحدث به عن محمد بن الصلت إلا يحيى بن معلى، وإنها يحفظ هذا الحديث من حديث الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٣) انظر: معاني القرآن (٣٠٣/١).

قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، وانطلقوا معه إلى الجبل، جعلهم الله أنبياء بعد موسى وهارون، وهذا قول ابن السائب، ومقاتل^(١).

والثاني: أنهم^(٢) الأنبياء الذين أُرسلوا من بني إسرائيل بعد موسى، ذكره الماوردي^(٣).

وبماذا جعلهم ملوكًا؟ فيه ثمانية أقوال:

أحدها: بالمن والسلوى والحجر.

والثاني: بأن جعل للرجل منهم زوجةً وخادمًا.

والثالث: بالزوجة والخادم والبيت، رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس، وهذا الثالث اختيار الحسن، ومجاهد.

والرابع: بالخادم والبيت^(٤)، قاله عكرمة.

والخامس: بتمليكهم الخدم. وكانوا أول مَنْ ملك الخدم، ومن اتخذ خادمًا فهو ملك، قاله قتادة.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٥).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٤).

(٤) من قوله: (رويت هذه الثلاثة)... إلى هنا، ليس في (ج).

والسادس: بكونهم أحراراً يملك الإنسان منهم نفسه وأهله وماله، قاله السُّدي.

والسابع: بال منازل الواسعة، فيها المياه الجارية، قاله الضحاك.

والثامن: بأن جعل لهم الملك والسلطان، ذكره الماوردي^(١).

قوله: ﴿وَأَتَّكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾.

اختلفوا^(٢) فيمن خوطب بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم قوم موسى، وهذا مذهب ابن عباس، ومجاهد.

قال ابن عباس: ويعني بالعالمين: الذين هم بين ظهرانيهم^(٣).

وفي الذي آتاهم ثلاثة أقوال:

أحدها: المن والسلوى والحجر والغمام، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به.

والثاني: أنه الدار والخادم والزوجة، رواه عطاء عن ابن عباس.

قال ابن جرير: ما أُوتِيَ أحد من النعم في زمان قوم موسى ما أُوتوا^(٤).

(١) انظر: المصدر.

(٢) قوله: (اختلفوا)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٨٢/٨)، والحاكم في المستدرک (٣٤١/٢) من طريق الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس ؓ، في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ قَالَ: جَعَلَ مِنْكُمْ أَنْبِيَاءَ ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾. قَالَ: الْمَرْأَةُ وَالْخَادِمُ ﴿وَأَتَّكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ: الَّذِينَ هُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ يَوْمَئِذٍ. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. ومن طريق الحاكم، رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٢٩٨).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٨٣/٨).

والثالث: كثرة الأنبياء فيهم، ذكره الماوردي^(١).

والثاني: أن الخطاب لأمة محمد ﷺ، وهذا مذهب سعيد بن جبير، وأبي مالك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (١١) [المائدة: ٢١].

قوله: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا﴾.

وقرأ ابن محيصن: «يا قوم» بضم الميم، وكذلك «يا قوم اذكروا [نعمة الله]»^(٢)، و«يا قوم اعبدوا»^(٣).

وفي معنى ﴿الْمُقَدَّسَةَ﴾ قولان:

أحدهما: المطهرة، قاله ابن عباس، والزجاج^(٤).

قال: وقيل للسطل: القُدس، لأنه يتطهر منه، وسُمِّي بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب. وقيل: سَمَّاها مقدَّسة، لأنها طهرت من [١٨٨/ب] الشرك، وجعلت مسكنًا للأنبياء والمؤمنين^(٥).

والثاني: أن المقدَّسة: المباركة، قاله مجاهد.

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٥).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) في المحرر الوجيز (٢/ ١٧٣)، والبحر المحيط (٤/ ٢١٦) والكامل (١/ ٥٣٣) عن ابن محيصن، وفي التحصيل (٢/ ٤٥١)، عن شبل بن عباد، عن ابن كثير.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٥٠).

وفي المراد بتلك الأرض أربعة أقوال:

أحدها: أنها أريحا: رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن زيد.

قال السدي: أريحا هي أرض بيت المقدس^(١).

وروي عن الضحاك أنه قال: المراد بهذه الأرض إيلياء وبيت المقدس^(٢).

قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسى أنه قال: اللهم إني

اخترت من الأنعام الضائنة^(٣)، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بكة

وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس^(٤).

فهذا يدل على أن إيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس.

قال الشيخ رحمه الله^(٥): وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي

[قال]^(٦): إيلياء^(٧) بيت المقدس، وهو معرّب^(٨).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٧٠٧) بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥٧٤).

(٣) مكانها بياض في (ج).

(٤) انظر: عيون الأخبار (٢/٨٩).

(٥) قوله: قال الشيخ رحمه الله، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

(٦) من (ت)، و(م)، و(ر).

(٧) من قوله: (الأرض التي فيها)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٨) انظر: المعرّب (ص: ١٣٩)، والتكملة والذيل (ص: ٣١).

قال الفرزدق^(١) [من الطويل]:

وَبَيْتَانِ بَيْتُ اللَّهِ نَحْنُ وَلَا تُهُ وَبَيْتٌ بِأَعْلَى إِبِلْيَاءِ مُشَرَّفُ

والقول الثاني: أنها الطور وما حوله، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به.

والثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردن، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والرابع: أنها الشام كلها، قاله قتادة.

وفي قوله: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه بمعنى أمركم وفرض عليكم دخولها، قاله ابن عباس، والسُّدي.

والثاني: أنه بمعنى: وهبها الله لكم، قاله محمد بن إسحاق.

وقال ابن قتيبة: جعلها لكم^(٢).

والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكنكم.

فإن قيل: كيف قال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ وقد كتبها لهم؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه إنما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصوا حرَّمها عليهم.

والثاني: أنه كتبها لبني إسرائيل، وإليهم صارت، ولم يعنِ موسى أن

الله كتبها للذين أَمَرُوا بدخولها بأعيانهم.

(١) في ديوانه (٢ / ٣٢)، وفي لسان العرب (١١ / ٤٠)، وجهرة أشعار العرب (١ / ٧٠٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

قال ابن جرير: ويجوز أن يكون الكلام خرج مخرج العموم، وأريد به الخصوص فتكون مكتوبة لبعضهم، وقد دخلها يوشع، وكالب^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَزِدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته.

والثاني: لا ترجعوا إلى الشرك به.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

قال الزجاج: الجبار من الآدميين: الذي يُجبر الناس على ما يريد، يقال: جبار: بَيِّنُ الْجَبَرِيَّةِ وَالْجَبَرِيَّةِ، وَالْجَبَرِيَّةُ بكسر الجيم والباء، وَالْجَبَرَوَةُ وَالْجَبَرَوَةُ والتَّجْبَار والتَّجْبَار والجَبَرَوَات^(٢)^(٣).

وفي معنى وصفه هؤلاء بالجبارين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا ذوي قوة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم كانوا عظام الخلق والأجسام، قاله قتادة.

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٨٧/٨).

(٢) في (ت): (والجبروة)، وفي معاني القرآن وإعرابه: (والجبرة).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٥٦/٣).

والثالث: أنهم كانوا قتالين، قاله مقاتل^(١).

الإشارة إلى القصة^(٢)

[١٨٩/أ] قال ابن عباس: لما نزل موسى وقومه بمدينة الجبارين، بعث اثني عشر رجلاً، ليأتوه بخبرهم، فلقىهم رجل من الجبارين^(٣)، فجعلهم في كسائه، فأتى بهم المدينة، ونادى في قومه، فاجتمعوا، فقالوا لهم: من أين أنتم؟ فقالوا: نحن قوم موسى بعثنا لنأتيه بخبركم، فأعطوهم حبةً من عنبٍ توقر الرجل، وقالوا لهم، قولوا لموسى وقومه: اقدروا قدر فاكهتهم، فلما رجعوا، قالوا: يا موسى إن فيها قومًا جبارين^(٤).

وقال السدي: كان الذي لقيهم، يقال له: عاج، يعني: عوج بن عناق، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حُجرته وعلى رأسه حزمة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. فلما خرجوا قالوا: يا قوم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، فأخذوا الميثاق بينهم على كتمان ذلك، فنكث عشرة، وكتّم رجلان^(٥).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٦٦).

(٢) في (ت): (قصة).

(٣) من قوله: (بعث اثني عشر)... إلى هنا، ليس في (ت).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/٢٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ مطول.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٦٥).

وقال مجاهد: لما رأى النُّبَاءُ الجبارين، وجدوهم يدخل في كمٍّ أحدهم اثنان^(١) منهم، ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الرمانة إذ نزع حبّها خمسة أو أربعة، فرجع النُّبَاءُ كلُّهم^(٢) ينهى سبطه عن قتالهم إلا يوشع^(٣)، وابن يوقنا^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ^٥ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿[المائدة: ٢٣].﴾

قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾

في الرجلين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهما يوشع بن نون، وكالب بن يوقنة، قاله ابن عباس.

وقال مجاهد: ابن يوقنا، وهما^(٥) من النُّبَاءِ^(٦).

والثاني: أنهما كانا من الجبارين فأسلما، روي عن ابن عباس.

(١) في (ج): (اثنا عشر).

(٢) في (ج): (كل منهم).

(٣) قوله: (إلا يوشع)، ليس في (ج).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٧ / ٨) من طريق ابن أبي نجيع، به.

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩٤ / ٨) من طريق منصور، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ:

﴿رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ قَالَ: «يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَكِلَابُ بْنُ يَوْقَنَّا، وَهُمَا مِنَ النَّبَاءِ».

والثالث: أنها كانا في مدينة الجبارين، وهما على دين موسى، قاله الضحاك.
وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، وأيوب:
«يُخَافُونَ» بضم الياء^(١). على معنى أنها كانا من العدو، فخرجا مؤمنين.

وفي معنى «خوفهم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم خافوا الله وحده.

والثاني: خافوا الجبارين، ولم يمنعهم خوفهم قبول الحق.

والثالث: يُخَافُ منهم، على قراءة ابن جبير.

وفيما أنعم به عليهما أربعة أقوال:

أحدها: الإسلام، قاله ابن عباس.

والثاني: الصلاح والفضل واليقين، قاله عطاء.

والثالث: الهدى، قاله الضحاك.

والرابع: الخوف، ذكره ابن جرير عن بعض السلف^(٢).

قوله: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾.

قال ابن عباس: قال الرجلان: ادخلوا عليهم باب القرية فإنهم قد
مُلئوا منارعباً وفرقاً^(٣).

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٣٨) عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وفي
التحصيل (٢/ ٤٥٠) عن سعيد بن جبير، ومجاهد.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٩٧).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٧٣) بلا نسبة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ لَنَا نَدَّخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

قوله: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا﴾.

قال ابن زيد: قالوا له: انظر كما صنع ربك بفرعون وقومه، فليصنع بهؤلاء.

وقال مقاتل: فاذهب أنت وسل ربك النصر^(١).

[١٨٩/ب]

وقال غيرهما: اذهب أنت وليُعنك ربك.

قال ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحبُّ إليَّ مما عُدِلَ به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت رسول الله ﷺ أشرق لذلك وجهه وسرَّ به^(٢).

وقال أنس: استشار رسول الله ﷺ الناس^(٣) يوم خرج إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم^(٤) استشارهم، فأشار عليه عمر فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم، فقالوا: يا رسول الله! لا نقول لك كما قالت بنو

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٧٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٩٥٢).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) ليست في (ج).

إسرائيل لموسى^(١): اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥].

قوله: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾.
فيه^(٣) قولان:

أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه.

والثاني: لا أملك إلا نفسي وإلا أخي، أي: وأملك طاعة أخي، لأن أخاه إذا أطاعه فهو كالمملك له.

وهذا على وجه المجاز، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ»^(٤)، «مَا نَفَعَنِي مَالٌ أَبِي بَكْرٍ»^(٥) فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله.^(٦) يعني: أنني متصرف حيث صرّفتني، وأمرك جائز في مالي.

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٧٩ / ١٩)، والنسائي في الكبرى (٨٣٤٨)، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٦٦ - ٣٨٠٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٧٢١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣١٦ / ٢٠) من طريق حميد الطويل، به، بنحوه.

(٣) ليست في (ت).

(٤) قوله: (مال قط)، ليس في (ج).

(٥) في (ر): (ما نفعني مال كمال أبي بكر).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٤١٤ / ١٢)، وفي فضائل الصحابة (٢٥)، وابن ماجه (٩٤)، والنسائي في الكبرى (٨١١٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٥٩٩)، وابن حبان =



قوله: ﴿فَأَفَرُّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفَاسِقِينَ﴾.

قال ابن عباس: اقض بيننا وبينهم^(١).

وقال أبو عبيدة: باعد، وافصل، وميّز^(٢).

وفي المراد بـ ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: العاصون، قاله ابن عباس.

والثاني: الكاذبون، قاله ابن زيد.

والثالث: الكافرون، قاله أبو عبيدة^(٣).

قال السدي: غضب موسى حين قالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا،

فدعا عليهم، وكانت عجلة من موسى عجلها^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْفَاسِقِينَ﴾ (١٦) [المائدة: ٢٦].

= في صحيحه (٦٨٥٨) وغيرهم من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، مرفوعاً، بنحوه.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠٦ / ٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١ / ١٦٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧٠٧ / ١) من طريق أسباط بن نصر، به، بلفظ مطول.

قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾.

الإشارة إلى الأرض المقدسة. ومعنى تحريمها عليهم: منعهم منها. فأما نصب «الأربعين»، فقال الفراء: هو منصوب بالتحريم، وجائز أن يكون منصوباً بـ «يتيهون»^(١).

وقال الزجاج: لا يجوز أن ينتصب بالتحريم، لأن التفسير^(٢) جاء أنها محرمة عليهم أبداً^(٣).

قال الشيخ رحمه الله^(٤): وقد اختلف المفسرون في ذلك:

فذهب الأكثرون، منهم عكرمة، وقتادة، إلى ما قال الزجاج، وأنها حرمت عليهم أبداً.

قال عكرمة: فإنها محرمة عليهم أبداً يتيهون في الأرض أربعين سنة^(٥).

وذهب قوم منهم الربيع بن أنس أنها حرمت عليهم أربعين سنة^(٦)، [١٩٠/أ] ثم أمروا بالسير إليها، وهذا اختيار ابن جرير قال: إنما نصبت بالتحريم، والتحريم كان عاماً في حق الكل، ولم يدخلها في هذه المدة منهم أحد، فلما انقضت، أذن لمن بقي منهم بالدخول مع ذراريهم^(٧).

(١) انظر: معاني القرآن (١/٣٠٥).

(٢) قوله: (لأن التفسير)، ليس في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/١٥٦).

(٤) في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر): (قلت).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/٣٠٩) بلفظ: «التَّحْرِيمُ لَا مُتَّهَى لَهُ».

(٦) من قوله: (وذهب قوم منهم الربيع)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٨/٣١٤).

قال أبو عبيدة: ومعنى: يتيهون: يحورون^(١) ويضلون^(٢).

الإشارة إلى قصتهم

قال ابن عباس: حرّم الله على الذين عَصَوْا دُخُولَ بيت المقدس، فلبثوا في تيههم أربعين سنة، وماتوا في التيه، ومات موسى وهارون، ولم يدخل بيت المقدس إلا يوشع وكالب^(٣) بأبناء القوم، وناهض يوشع بمن^(٤) بقي معه مدينة الجبارين فافتتحها.

وقال مجاهد: تاهوا أربعين سنة يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا^(٥).

وقال السدي: لما ضرب الله عليهم التيه، ندم موسى على دعائه عليهم، وقالوا له: ما صنعت بنا، أين الطعام؟ فأنزل الله المنّ. قالوا: فأين الشراب؟ فأمر موسى أن يضرب بعصاه الحجر. قالوا: فأين الظلُّ؟ فظلّل عليهم الغمام. قالوا: فأين اللباس؟ وكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان، ولا يتخرّق لهم ثوب، وقُبض موسى ولم يبق أحد ممن أبى دخول قرية الجبارين إلا مات، ولم يشهد الفتح^(٦).

(١) في (ت): (يحوزون).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٠).

(٣) ليست في (م).

(٤) في (ج): (من).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣١٥) من طريق ابن أبي نجیح، به.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٧٠٧) من طريق أسباط بن نصر، به.

وفيه قول آخر: أنه لما مضت الأربعون خرج موسى ببني إسرائيل من التيه، وقال لهم: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] إلى آخر القصة. وهذا قول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد.

وقال ابن جرير الطبري^(١)، وأبو سليمان الدمشقي: وهذا الصحيح، وأن موسى هو الذي فتح قرية^(٢) الجبارين مع الصالحين من بني إسرائيل، لأن أهل السيرة أجمعوا على أن موسى هو قاتل عوج، وكان عوج ملكهم، وكان بلعم بن باعوراء فيمن سباه موسى وقتله، ولم يدخل مع موسى من قدمائهم غير يوشع وكالب، وإنما حرّمت على الذين لم يطيعوا.

وفي مسافة أرض التيه قولان:

أحدهما: تسعة فراسخ، قاله ابن عباس.

قال مقاتل: هذا عرضها، وطولها ثلاثون فرسخًا^(٣).

والثاني: ستة فراسخ في طول اثني عشر فرسخًا، حكاه مقاتل أيضًا^(٤).

قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣٠٨).

(٢) في (ج): (مدينة).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٧).

(٤) انظر: المصدر السابق.

قال الزجاج: لا تحزن على قوم شأنهم المعاصي، ومخالفة الرسل^(١)^(٢).

وقال ابن قتيبة: يقال أسيت على كذا، أي: حزنت، فأنا آسي [أسي]^(٣)^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٥)
[المائدة: ٢٧].

قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ «النبا»: الخبر.

وفي ﴿ابْنَيْ آدَمَ﴾ قولان:

أحدهما: أنهما ابناه لصلبه، وهما قابيل وهايل، قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

[١٩٠/ب]

والثاني: أنهما أخوان من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه، وهذا قول الحسن.

والعلماء على الأول، وهو أصح لقوله: ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١] ولو كان من بني إسرائيل، لكان قد عرف الدفن.

ولأن النبي ﷺ قال عنه: «أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»^(٥).

(١) في (ج): (الأنبياء).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٦٦/٢).

(٣) زيادة من (ت)، و(م)، و(ج).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

(٥) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ =

وقوله: ﴿يَا لِحَقِّ﴾ أي: كما كان.

و«القربان»: فعلان من القرب، وقد ذكرناه في «آل عمران»^(١).

وفي السبب الذي قربا لأجله قولان:

أحدهما: أن آدم عليه السلام كان قد نُهي أن يُنكِحَ المرأةَ أخاها الذي هو توأمها، وأُجيزَ له أن يُنكِحَها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فولدت له ابنة وسيمة، وأخرى دميمة، فقال أخو الدميمة لأخي الوسيمة: أنكحني أختك، وأنكحك أختي، فقال أخو الوسيمة: أنا أحق بأختي، وكان أخو الوسيمة صاحب حرث، وأخو الدميمة^(٢) صاحب غنم، فقال: هلمَّ فلنقرب قرباناً، فأينا تُقبَّلُ قربانه فهو أحقُّ بها، فجاء صاحب الغنم بكبش أبيض أعين أقرن، وجاء صاحب الحرث بصُبرةٍ من طعام، فتُقبَّلُ الكبش^(٣)، فخرنه الله في الجنة أربعين خريفاً، فهو الذي ذبحه إبراهيم، فقتله صاحب الحرث، فولدُ آدم كلهم من ذلك الكافر، رواه سعيد بن جبير^(٤) عن ابن عباس^(٥).

=مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ.

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٨٣).

(٢) في (ج)، و(ر): (الذميمة).

(٣) في (ج): (فتُقبَّلُ من صاحب الكبش).

(٤) في (ج): (جرير)!

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٣٩) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، به، بنحوه.

والثاني: أنهما قَرَّباه من غير سبب. روى العوفي عن ابن عباس^(١) أن ابني آدم كانا قاعدَين يومًا، فقالا: لو قَرَّبنا قربانًا، فجاء صاحب الغنم بخير غنمه وأسمنها، وجاء الآخر ببعض زرعه، فنزلت النار^(٢)، فأكلت الشاة، وتركت الزرع، فقال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أن قربانك تُقْبَل، وأنت خير مني لأقتلَنَّك^(٣).

واختلفوا هل قابيل وأخته وُلدا قبل هابيل وأخته، أم بعدهما؟ على قولين:

وهل كان قابيل كافرًا أو فاسقًا غير كافر؟ فيه قولان:

وفي سبب قبول قربان هابيل قولان:

أحدهما: أنه كان أتقى لله من قابيل.

والثاني: أنه تقرب بخيار ماله، وتقرب قابيل بشر ماله.

وهل كان قربانهما بأمر آدم، أم من قبل أنفسهما؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه كان وآدم قد ذهب إلى زيارة البيت.

والثاني: أن آدم أمرهما بذلك.

وهل قُتل هابيل بعد تزويج أخت قابيل، أم لا؟

(١) من قوله: (والثاني: أنها قرباه)... إلى هنا، ليس في (ت).

(٢) في (ت): (هذه النار).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣١٩).

فيه قولان:

أحدهما: أنه قتله قبل ذلك لثلا يصل إليها.

والثاني: أنه قتله بعد نكاحها.

قوله: ﴿قَالَ لَا قَتْلُكَ﴾.

وروى زيد عن يعقوب: «لأقتلنك» بسكون النون وتخفيفها^(١).

والقاتل: هو الذي لم يُتَقَبَّلَ منه.

[١٩١/أ] قال الفراء: إنما حذف ذكره، لأن المعنى يدل عليه، ومثل ذلك في

الكلام أن تقول^(٢): إذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت، وإذا اجتمع السفيه والحكيم^(٣) حمّد، وإنما كان ذلك، لأن المعنى لا يشكل، فلو قلت: مرّ بي رجل وامرأة فأعنت، وأنت تريد أحدهما، لم يجوز، لأنه ليس هناك علامة تدل على مُرادك^(٤).

وفي المراد بالمتقين قولان:

أحدهما: أنهم الذين يتقون المعاصي، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين يتقون الشرك، قاله الضحاك.

(١) الجمهور على التشديد، وفي البحر المحيط (٢٢٨/٤) عن زيد بن علي، وانظر: المبسوط (١٧٣/١)، والكامل (٥٣٢/١).

(٢) في (ت)، و(ر): (يقول).

(٣) في (ت)، و(ج)، و(ر): (والحليم)، وفي (م): (والحكيم والحليم).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣٠٥/١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَنْبَسُطَ إِلَيْكَ يَدِي لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) [المائدة: ٢٨].

قوله: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ما أنا بمنتصر لنفسي، قاله ابن عباس.

والثاني: ما كنت لأبتدئك، قاله عكرمة.

وفي سبب امتناعه من دفعه عنه قولان:

أحدهما: أنه منعه التخرج مع قدرته على الدفع وجوازه له، قاله ابن عمر، وابن عباس.

والثاني: أن دفع الانسان عن نفسه لم يكن في ذلك الوقت جائزاً، قاله الحسن، ومجاهد.

وقال ابن جرير: ليس في الآية دليل على أن المقتول علم عزم القاتل على قتله، ثم ترك الدفع عن نفسه، وقد ذكر أنه قتله غيلةً، فلا يدعى ما ليس في الآية إلا بدليل^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بِإِنَّمَا يَأْتِي وَإِنَّمَا فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩) [المائدة: ٢٩].

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣٣٠).

قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: إني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي في عنقك، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

والثاني: أن تبوء بإثمي في خطاياي، وإثمك في قتلك لي، وهو مروى عن مجاهد^(١) أيضاً.

قال ابن جرير: والصحيح عن مجاهد القول الأول^(٢).

وقد روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ^(٣) ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دِمَهِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»^(٤).

فإن قيل: كيف أراد هابيل وهو من المؤمنين أن يبوء قابيل بالإثم وهو معصية، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد: إن قتلتنني أردت أن تبوء بالإثم، وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج^(٥).

(١) من قوله: (وقتادة والضحاك)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨ / ٣٣١).

(٣) ليست في (ج).

(٤) تقدم قريباً.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢ / ١٦٧).

والثاني: أن في الكلام محذوفًا، وتقديره: إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك، فحذف «لا» كقوله تعالى: ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوًسًا أَن نَعِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] أي: أن^(١) لا تميد بكم^(٢).

ومنه قول امرئ القيس^(٣): [من الطويل]:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

أراد: لا أبرح. وهذا مذهب ثعلب.

والثالث: أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، [وبطلان أن تبوء بإثمي وإثمك]^(٤). فحذف ذلك، وقامت «أن» مقامه، كقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حب العجل، ذكره والذي قبله ابن [١٩١/ب] الأنباري.

قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ الإشارة إلى مصاحبة النار^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَاصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ

﴿[المائدة: ٣٠]﴾

(١) ليست في (م)، و(ج).

(٢) ليست في (ت)، و(م).

(٣) في ديوانه (ص: ٣٢)، والكتاب (٣/ ٥٠٤)، وشرح أبيات سيويه (٢/ ٢٢٠)، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٣)، وخزانة الأدب (٩/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٤) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، وهو من (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر).

(٥) من قوله: (قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾)... إلى هنا، ليس في (ج).

قوله: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: تابعته على قتل أخيه، قاله ابن عباس.

والثاني: شجَّعته، قاله مجاهد.

والثالث: زَيَّنَتْ له، قاله قتادة.

والرابع: رَخَّصَتْ له، قاله أبو الحسن الأخفش^(١).

والخامس: أَنَّ «طَوَّعَتْ» فَعَّلَتْ من «الطَّوْع»، والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أصول هذا الشجر، وطاع له كذا، أي: أتاه طوعًا، حكاه الزجاج عن المبرد^(٢).

وقال ابن قتيبة: شايعته وانقادت له، يقال: لساني لا يطوع بكذا، أي: لا ينقاد، وهذه المعاني تتقارب^{(٣)(٤)}.

وفي كيفية قتله ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه رماه بالحجارة حتى قتله، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: ضرب رأسه بصخرة وهو نائم، رواه مجاهد عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه.

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٨٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٧).

(٣) في (ت): (وهذه المعنى يتقارب).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٢).

والثالث: رضح رأسه بين حجرين.

قال ابن جريج: لم يدرك كيف يقتله، فتمثل له إبليس، وأخذ طائرًا فوضع رأسه على حجر، ثم شذخه بحجر آخر، ففعل به هكذا، وكان له «هابيل» يومئذ عشرون سنة^(١).

وفي موضع مصرعه ثلاثة أقوال:

أحدها: على جبل ثور، قاله ابن عباس.

والثاني: بالبصرة، قاله جعفر الصادق.

والثالث: عند عقبة جرّاء^(٢)، حكاه ابن جرير الطبري.

وفي قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: من الخاسرين الدنيا والآخرة، فخرانه الدنيا: أنه أسخط والديه، وبقي بلا أخ، وخسرانه الآخرة: أنه أسخط ربه، وصار إلى النار، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه أصبح من الخاسرين الحسنات، قاله الزجاج^(٣).

والثالث: من الخاسرين أنفسهم بإهلاكهم إياها، قاله القاضي أبو يعلى.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٣٨/٨).

(٢) في (ت): (جزاء).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٦٧/٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقَىٰ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَدِّرِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: ٣١).

قوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ﴾.

قال ابن عباس: حمله على عاتقه^(١)، فكان إذا مشى تخطُّ يده ورجلاه في الأرض، وإذا قعد وضعه إلى جنبه حتى رأى غرابين اقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، ثم بحث له الأرض حتى واره بعد أن حمله سنين^(٢).

وقال مجاهد: حمله على عاتقه مائة سنة^(٣).

وقال عطية: حمله حتى أروح^(٤).

وقال مقاتل: حمله ثلاثة أيام^(٥).

وفي المراد بسوأة أخيه قولان:

أحدهما: عورة أخيه.

والثاني: جيفة أخيه.

(١) قوله: (على عاتقه)، ليس في (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٤٢ / ٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بمعناه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٤٣ / ٨) من طريق ليث، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٤٢ / ٨).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١ / ٤٧٠).

قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾.

فإن قيل: أليس الندم توبة، فلم لم تُتقبل^(١) منه؟

فعنه أربعة أجوبة^(٢):

أحدها: أنه يجوز أن لا يكون الندم توبة لمن تقدّمنا، ويكون توبة لهذه الأمة، لأنها خصّت بخصائص لم تشارك فيها، قاله الحسين بن الفضل.

والثاني: أنه ندم على حمله لا على قتله.

والثالث: أنه ندم إذ لم يواره حين قتله.

والرابع: أنه ندم على فوات أخيه، لا على ركوب الذنب.

[١/١٩٢]

وفي هذه القصة تحذير من الحسد، لأنه الذي أهلك قابيل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَ تَهُم رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢) [المائدة: ٣٢].

قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾.

قال الضحاك: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلمًا^(٣).

(١) في (ت)، و(م)، و(ر): (تُقبل).

(٢) في (ر): (أقوال).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/٣٤٨).

وقال أبو عبيدة: من جناية ذلك، ومن جري ذلك^(١).

قال الشاعر^(٢) [من الطويل]:

وَأَهْلُ خِبَاءٍ صَالِحٍ ذَاتُ بَيْنِهِمْ قَدْ اخْتَرَبُوا فِي عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهُ

أي: جانيه وجاره عليهم.

وقال قوم: الكلام متعلق بما قبله، والمعنى: فأصبح من النادمين من أجل ذلك.

فعلى هذا يحسن الوقف هاهنا، وعلى الأول لا يحسن الوقف. والأول أصح.

و﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى: فرضنا.

ومعنى ﴿قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: قتلها ظلماً ولم تقتل نفساً.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [منسوق على نفس المعنى]^(٤)، أي: وبغير^(٥) فساد يستحق به القتل.

(١) انظر: مجاز القرآن (١/١٦٢).

(٢) البيت لخوات بن جبير في تهذيب اللغة (١١/١٣٢)، ومجمل اللغة (١/٨٨)، ومقاييس اللغة (١/٦٤)، ولسان العرب (١١/١٢)، ونُسب لزهير في إيضاح الشواهد (١/٢٩٤)، والبحر المحيط (٤/٢٣٧).

(٣) في (ت): (يقتل).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٥) في (ت)، و(ر): (بغير).

وقيل^(١): أراد بالفساد هاهنا: الشرك.

وفي معنى قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

خمس أقوال:

أحدها: أن عليه إثم من قتل الناس^(٢) جميعًا، قاله الحسن، والزجاج^(٣).

والثاني: أنه يصلى النار بقتل المسلم، كما لو قتل الناس جميعًا، قاله

مجاهد، وعطاء.

وقال ابن قتيبة: يُعَذَّبُ كما يُعَذَّبُ قاتل^(٤) النَّاسِ جميعًا^{(٥)(٦)}.

والثالث: أنه يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعًا،

قاله ابن زيد.

والرابع: أن معنى الكلام: ينبغي لجميع الناس أن يُعينوا ولي المقتول

حتى يُقيدوه منه، كما لو قتل أولياءهم جميعًا، ذكره القاضي أبو يعلى^(٧).

والخامس: أن المعنى: من قتل نبيًا أو إمامًا عادلًا، فكأنما قتل الناس

جميعًا، رواه عكرمة عن ابن عباس.

(١) قوله: (يستحق به القتل. وقيل)، ليس في (ج).

(٢) في (ج): (النفس).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٦٨/٢).

(٤) ليست في (م).

(٥) من قوله: (قاله مجاهد، وعطاء)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٣).

(٧) في (م): (قاله ابن عباس، ذكره القاضي أبو يعلى).

والقول بالعموم أصح.

فإن قيل: إذا كان إثم قاتل الواحد كإثم من قتل الناس جميعاً، دل هذا على أنه لا إثم عليه في قتل مَنْ يقتله بعد قتل الواحد إلى أن يفنى الناس؟

فالجواب: أن المقدار الذي يستحقه قاتل الناس جميعاً معلوم عند الله محدود، فالذي يقتل الواحد يلزمه ذلك الإثم المعلوم، والذي يقتل الاثنين يلزمه مثله، وكلما زاد قتلاً زاده الله إثمًا، ومثل هذا قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فالحسنة معلوم عند الله مقدار ثوابها، فعاملها يعطى بمثل ذلك عشر مرات.

وهذا الجواب عن سؤال سائل^(١) إن قال: إذا كان^(٢) من أحياء نفساً فله ثواب من أحياء الناس، فما ثواب من أحياء^(٣) الناس كلهم؟ هذا كله منقول عن المفسرين.

والذي أراه أن التشبيه بالشيء تقريب منه، لأنه لا يجوز أن يكون إثم قاتل شخصين كإثم قاتل شخص، وإنما وقع التشبيه بـ «كأنها»، لأن جميع الخلائق من [١٩٢/ب] شخص واحد، فالمقتول يتصور منه نشر عدد الخلق كلهم.

وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾.

(١) في (ج): (السائل).

(٢) قوله: (إذا كان)، ليس في (ج).

(٣) قوله: (من أحياء)، ليس في (ج).

خمسة أقوال:

أحدها: استنقذها من هلكة، روي عن ابن مسعود، ومجاهد.

قال الحسن: من أحيّاها من غرق أو حرق أو هلاك^(١).

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: من شدَّ عَضْدَ نبي أو إمامٍ عادِلٍ، فكأنما أحيّا الناس جميعاً^(٢).

والثاني: ترك قتل النفس المحرمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية.

والثالث: أن يعفو أولياء المقتول عن القصاص، قاله الحسن، وابن زيد، وابن قتيبة^(٣).

والرابع: أنه يزجر عن قتلها وينهى.

والخامس: أن يعين الوليَّ على استيفاء القصاص؛ لأن في القصاص حياة، ذكرهما القاضي أبو يعلى.

وفي قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قولان:

أحدهما: فله أجر من أحيّا الناس جميعاً، قاله الحسن، وابن قتيبة^(٤).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٥٤ / ٨) من طريق يونس، به، بلفظ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قَالَ: «الْعَفْوُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ».

(٢) أورده البغوي في تفسيره (٤٢ / ٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٣).

(٤) انظر: المصدر السابق.

والثاني: فعلى جميع الناس شكره كما لو أحياهم، ذكره الماوردي^(١).

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: بني إسرائيل الذين جرى ذكرهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَأُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَأُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في ناسٍ من عُرَيْنَةِ قدموا المدينة، فاجتووها، فبعثهم رسول الله ﷺ في إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبواها ففعلوا، فصَحُّوا، وارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم، فجاء بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمَّر أعينهم، وألقاهم بالحرَّة حتى ماتوا، ونزلت هذه الآية، رواه قتادة عن أنس^(٢)، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي.

والثاني: أن قومًا من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق، فنقضوا العهد، وأفسدوا في الأرض، فخيَّر الله رسوله بهذه الآية:

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢).

(٢) متفق عليه، البخاري (١٥٠٥)، ومسلم (١٦٧١).

إِنْ شَاءَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلَافٍ. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(١)، وبه قال الضحاك^(٢).

والثالث: أن أصحاب أبي بُردة الأسلمي قطعوا الطريق على قوم جاءوا يريدون الإسلام، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٣).

وقال ابن السائب: كان أبو بردة، واسمه هلال بن عويمر، وادع النبي ﷺ على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين لم يُهْج، ومن مر بهلال إلى رسول الله ﷺ لم يُهْج، فمرَّ قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناسٍ من قوم هلال، فَهَدُّوا إِلَيْهِمْ، فقتلوه وأخذوا أموالهم، ولم يكن هلال حاضرًا، فنزلت هذه الآية^(٤).

والرابع: أنها نزلت في المشركين، رواه عكرمة عن ابن عباس^(٥)، وبه [١٩٣/أ] قال الحسن.

واعلم أن ذكر «المحاربة» لله ﷻ في الآية مجاز.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦٠) من طريق هشيم، عن جوير، به.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٥٥)، وتفسير البغوي (١/ ٦٧٤)، والبحر المحيط (٤/ ١١).

(٥) تقدم قول ابن عباس، وأثر عكرمة، والحسن البصري رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٣٦١).

وفي معناها للعلماء قولان:

أحدهما: أنه سباهم محاربين له تشبيهاً بالمحاربين حقيقة، لأن المخالف محارب، وإن لم يحارب. فيكون المعنى: يخالفون الله ورسوله بالمعاصي.

والثاني: أن المراد: يحاربون أولياء الله، وأولياء رسوله.

وقال سعيد بن جبیر: أراد بالمحاربة لله ورسوله الكفر بعد الإسلام^(١).

وقال مقاتل: أراد بها الشرك^(٢).

فأما «الفساد» فهو القتل والجراح وأخذ الأموال، وإخافة السبيل.

قوله: ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُكَلَّبُوا﴾.

اختلف العلماء هل هذه العقوبة على الترتيب، أم على التخيير؟

فمذهب أحمد^(٣) أنها على الترتيب، وأنهم إذا قتلوا، وأخذوا المال^(٤)، أو قتلوا ولم يأخذوا، قُتِلُوا وَصَلُّوا، وإن أخذوا المال، ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن لم يأخذوا المال^(٥)، نُفُوا.

قال ابن الأنباري: فعلى هذا تكون «أو» مبعوضة، فالمعنى: بعضهم يفعل به كذا، وبعضهم كذا، ومثله قوله: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٦٢ / ٨) بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٧٢ / ١).

(٣) في (ج): (الأموال).

(٤) من قوله: (ولم يقتلوا، قطعت أيديهم) ... إلى هنا، ليس في (ج).

[البقرة: ١٣٥] المعنى: قال بعضهم هذا، وقال بعضهم هذا. وهذا القول^(١) اختيار أكثر اللغويين.

وقال الشافعي: إذا قتلوا وأخذوا المال^(٢)، قُتِلُوا وَصُلِبُوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال، قُتِلُوا وَلَمْ يُصَلَّبُوا، وإذا أخذوا المال ولم يَقْتُلُوا، قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَاف^(٣).

وقال مالك: الإمام مخير في إقامة أيِّ الحدود شاء، سواء قتلوا أو لم يقتلوا، أخذوا المال أو لم يأخذوا، والصلب بعد القتل^(٤).

وقال أبو حنيفة، ومالك: يُصَلَّبُ وَيُجْعَلُ بِرِمَحٍ حَتَّى يَمُوتَ.

واختلفوا^(٥) في مقدار زمان الصَّلب:

فعندنا^(٦) أنه يُصَلَّبُ بِمِقْدَارِ مَا يَشْتَهَرُ صَلْبُهُ.

واختلف أصحاب الشافعي، فقال بعضهم: ثلاثة أيام. وهو مذهب أبي حنيفة.

وقال بعضهم: يترك حتى يسيل صديده.

(١) في (ت): (قول).

(٢) قوله: (على عاتقه)، ليس في (ج).

(٣) انظر: الأم (٤/ ٣١٠).

(٤) انظر: الجامع لمسائل المدونة (٦/ ١٢٦).

(٥) في (ج): (واختلف أصحاب الشافعي).

(٦) في (ج): (فعنده).

قال أبو عبيدة: معنى ﴿مَنْ خَلَفَ﴾ أن تُقَطَّعَ يَدُهُ الْيُمْنَى وَرِجْلُهُ الْيُسْرَى، يُخَالَفُ بَيْنَ قِطْعِهِمَا^(١).

فأما «النفي» فأصله الطرد والإبعاد.

وفي صفة نفيتهم أربعة أقوال:

أحدها: إبعادهم من بلاد الإسلام إلى دار الحرب، قاله أنس بن مالك، والحسن، وقتادة، وهذا إنما يكون في حق المحارب المشرك، فأما المسلم فلا ينبغي أن يُضطرَّ إلى ذلك.

والثاني: أن يُطلبوا لِتَقَامَ عليهم الحدود، فَيُبْعَدُوا، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثالث: إخراجهم من مدينتهم إلى مدينة أخرى، قاله سعيد بن جبير.

[١٩٣/ب] وقال مالك: ينفي إلى بلدٍ غير بلده، فيحبس هناك.

والرابع: أنه الحبس، قاله أبو حنيفة وأصحابه.

وقال أصحابنا: صِفَةُ النفي: أن يُشَرَّدَ ولا يترك يأوي في بلد، فكلما حَصَلَ في بلد نُفِيَ إلى غيره.

وفي «الخزي» قولان:

أحدهما: أنه العقاب.

والثاني: الفضيحة.

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ١٦٤).

وهل يثبت لهم حكم المحاربين في مصر، أم لا؟

ظاهر كلام أصحابنا أنه لا يثبت لهم ذلك في مصر، وهو قول أبي حنيفة.

وقال الشافعي، وأبو يوسف^(١): المصر والصحارى سواء، ويعتبر في

المال المأخوذ قدر نصاب، كما يُعتبر في حق السَّارِق، خلافاً للمالك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤].

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾.

قال أكثر المفسرين: هذا الاستثناء في المحاربين المشركين إذا تابوا من

شركهم وحربهم وفسادهم، وآمنوا قبل القدرة عليهم، فلا سبيل عليهم

فيما أصابوا من مال أو دم، وهذا لا خلاف فيه.

فأما المحاربون المسلمون، فاختلّفوا فيهم:

ومذهب أصحابنا: أن حدود الله تسقط عنهم من انحتام القتل

والصلب والقطع والنفي.

فأما حقوق الآدميين من الجراح والأموال، فلا تسقطها التوبة،

وهذا قول الشافعي.

(١) انظر: الأم (٦/١٦٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتٍ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٧) [المائدة: ٣٥، ٣٧].

قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

في ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ قولان:

أحدهما: أنها القربة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والفراء^(١).

وقال قتادة: تقربوا إليه بما يرضيه^(٢).

قال أبو عبيدة: يقال: توسلت إليه، أي: تقربت إليه^(٣)^(٤).

وأنشد^(٥):

إِذَا غَفَلَ الْوَاشُونَ عُدْنَا لِيُضِلَّنَا وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ

(١) انظر: معاني القرآن (٤٨ / ١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٠٤ / ٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) ليست في (م).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١٦٤ / ١).

(٥) البيت لجميل بن عبد الله العذري في الحماسة البصرية (٨٨ / ٢)، وبلا نسبة في مجاز

القرآن (١٦٤ / ١)، وتفسير ابن جرير (٤٠٣ / ٨).

والثاني: المحبة، يقول: تحببوا إلى الله، هذا قول ابن زيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾.

قال ابن السائب: نزلت في طُعْمَة بن أُبَيْرِق، وقد مضت قصته في «سورة النساء»^(١).

و﴿وَالسَّارِقُ﴾: إِنَّمَا سُمِّي سَارِقًا، لَأَنَّهُ يَأْخُذُ الشَّيْءَ فِي خَفَاءٍ، وَاسْتَرَقَ السَّمْعَ: إِذَا تَسَمَّعَ مُسْتَخْفِيًا.

قال المبرد: والسارق هاهنا مرفوع بالابتداء، لأنه ليس القصد منه واحدًا بعينه، وإنما هو، كقولك: مَنْ سَرَقَ فاقطع يده.

وقال ابن الأنباري: وإنما دخلت الفاء، لأن في الكلام معنى الشرط، تقديره: من سرق فاقطعوا يده.

قال الفراء: [وفي قراءة ابن مسعود: «السارقون والسارقات فاقطعوا أيماهما»]^(٢)، وإنما قال: فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا لَأَن كُلَّ شَيْءٍ مُّوَحَّدٌ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ إِذَا ذُكِرَ مُضَافًا إِلَى اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا، جُمِعَ، تقول: قد هُشِمَتْ رُؤُوسُهُمَا وَمَلَأَتْ بَطُونُهُمَا^(٣)، ومثله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]،

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء الآية رقم (١٠٥).

(٢) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، وهو زيادة من (ج).

(٣) ونص العبارة في معاني القرآن (٣٠٦/١): «قد هُشِمَتْ رُؤُوسُهُمَا، وَمَلَأَتْ ظُهُورُهُمَا وَبَطُونُهُمَا ضَرْبًا».

لَوَإِنَّمَا اخْتِيرَ الْجَمْعُ عَلَى الثَّنِيَّةِ، لِأَن أَكْثَرَ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ الْجَوَارِحُ اثْنَيْنِ
 اثْنَيْنِ فِي الْإِنْسَانِ: الْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، وَالْعَيْنَيْنِ، فَلَمَّا جَرَى أَكْثَرُهُ عَلَى هَذَا،
 ذُهِبَ بِالْوَاحِدِ مِنْهُ إِذَا أُضِيفَ إِلَى اثْنَيْنِ مَذْهَبُ الثَّنِيَّةِ، وَقَدْ يَجُوزُ ثَنِيَّتُهُمَا^(١).
 قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ^(٢) [مَنْ الْكَامِلُ]:

فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بِنَوَافِدٍ كَنَوَافِدِ الْعُبْطِ الَّتِي لَا تُرْفَعُ^(٣)

فصل

وهذه الآية اقتضت وجوب القطع على كل سارق، وبينت السُّنَّةُ
 أن المراد به السارقُ لِنَصَابٍ^(٤) مِنْ حِرْزِ مِثْلِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقْضُوا
 الْمُشْرِكِينَ﴾ {التوبة: ٥}، وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ، وَالصَّبِيَّانِ،
 [١٩٤/أ] وَأَهْلِ الصَّوَامِعِ.

وَاخْتُلِفَ فِي مِقْدَارِ النَّصَابِ، فَمَذْهَبُ أَصْحَابِنَا: أَنَّ لِلسَّرْقَةِ نَصَابَيْنِ:
 أَحَدَهُمَا: مِنَ الذَّهَبِ رُبْعُ دِينَارٍ، وَمِنَ الْوَرَقِ ثَلَاثَةُ دِرَاهِمٍ، أَوْ قِيَمَةٌ
 ثَلَاثَةُ دِرَاهِمٍ^(٥) مِنَ الْعُرُوضِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ.

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٦).

(٢) البيت في الدرر (١/ ١٥٨)، وشرح اختيارات الفضل (ص: ١٧٢٦)، وشرح أشعار
 الهذليين (١/ ٤٠)، ولسان العرب (٦/ ٦٥)، وبلا نسبة في معجم الهوامع (١/ ٥١).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، و(م)، و(ت)، و(ر)، وهو زيادة من (ج).

(٤) في (ت): (النصاب).

(٥) قوله: (أو قيمة ثلاثة دراهم)، ليس في (ج).

وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى تبلغ السرقة عشرة دراهم.

وقال الشافعي: الاعتبار في ذلك بربع دينار، وغيره مقوّم به، فلو سرق درهمين قيمتهما ربع دينار، قُطع، فإن سرق نصاباً من التبر، فعليه القطع.

وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى يبلغ ذلك نصاباً مضروباً، فإن سرق^(١) منديلاً لا يساوي نصاباً، في طرفه دينار، وهو لا يعلم، لا يقطع^(٢).

وقال الشافعي: يقطع. فإن سرق ستارة الكعبة، قطع، خلافاً لأبي حنيفة. فإن سرق صبيّاً صغيراً حُرّاً، لم يقطع، وإن كان على الصغير حُلِي. وقال مالك: يقطع بكل حال.

وإذا اشترك جماعة في سرقة نصاب، قطعوا، وبه قال مالك، إلا أنه اشترط أن يكون المسروق ثقیلاً يحتاج إلى معاونة بعضهم لبعض في إخراجه.

وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا قطع عليه بحال ويجب القطع على جاحد العارية عندنا، وبه قال سعيد بن المسيب، والليث بن سعد، خلافاً لأكثر^(٣) الفقهاء.

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ر): (لم يقطع).

(٣) ليست في (م).

فصل^(١)

فأما الحرز، فهو ما جعل للسكنى، وحفظ الأموال، كالمدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس، ويحفظون أمتعتهم بها^(٢)، فكل ذلك حرز، وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده، وسواء سُرق من ذلك وهو مفتوح الباب، أو لا باب له إلا أنه محجّر بالبناء. فأما ما كان في غير بناء ولا خيمة، فإنه ليس في حرز إلا أن يكون عنده من يحفظه.

ونقل الميموني عن أحمد رَحِمَهُ اللهُ: إذا كان المكان مشتركاً في الدخول إليه، كالحمام والخيمة لم يقطع السارق منه، ولم يُعْتَبَرِ الحافظ.

ونُقل عن ابن منصور: لا يقطع سارق الحمام إلا أن يكون على المتاع أجير حافظ.

فأما النَّبَّاش، فقال أحمد في رواية أبي طالب: يقطع، وبه قال مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى.

وقال الثوري، والأوزاعي، وأبو حنيفة: لا يقطع.

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ج): (فيها).

فصل

فأما موضع قطع السارق، فمن مَفْصِلِ الْكَفِّ، ومن مَفْصِلِ الرَّجْلِ.

فأما اليد اليسرى والرجل اليمنى، فروي عن أحمد: لا تقطع، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي حنيفة، وروي عنه: أنها تقطع، وبه قال مالك، والشافعي.

ولا يثبت القطع إلا بإقراره مرتين، وبه قال ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وأبو يوسف.

وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: يثبت بمرة. [١٩٤/ب]

ويجتمع القطع والغرم موسراً كان أو معسراً.

وقال أبو حنيفة: لا يجتمعان، فإن كانت العين باقية أخذها ربهما، وإن كانت مستهلكة، فلا ضمان.

وقال مالك: يضمنها إن كان موسراً، ولا شيء عليه إن كان معسراً.

قوله: ﴿نَكَلًا مِّنَ اللَّهِ﴾.

قد ذكرنا «النكال» في «البقرة»^(١).

قوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٦).

قال سعيد بن جبیر: شديد في انتقامه، حكيم إذا^(١) حكم بالقطع^(٢).

قال الأصمعي: قرأت هذه الآية، وإلى جنبي أعرابي، فقلت: والله غفور رحيم، سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد فأعدت: والله غفور رحيم^(٣)، فقال [الأعرابي]^(٤): ليس هذا كلام الله، فتنبهت، فقلت: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع^(٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ [المائدة: ٣٩، ٤٠].

قوله: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾.

سبب نزولها:

أن امرأة كانت قد سرقت، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟

(١) ليست في (ج).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٨٥) بلا نسبة.

(٣) من قوله: (سهواً، فقال الأعرابي)... إلى هنا، ليس في (ت).

(٤) من (ج)، و(ر).

(٥) انظر: المصدر السابق.

فنزلت هذه الآية^(١). قاله عبد الله بن عمرو^(٢).

وقال سعيد بن جبير: فمن تاب من بعد ظلمه، أي: سرقة، وأصلح العمل، فإن الله يتجاوز عنه، إن الله غفور لما كان منه قبل التوبة، رحيم لمن تاب^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَكَّعُوا لِلْكَذِبِ سَكَّعُوا لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْنُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

(١) رواه أحمد في المسند (٢٣٨/١١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٤١/٨) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن حبي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو قال: سَرَقَتِ امْرَأَةٌ حُلِيًّا، فَجَاءَ الَّذِينَ سَرَقَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَرَقَتْنَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْطَعُوا يَدَهَا الْيُمْنَى» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتِ الْبُيُوتُ مِنْ خَطِيئَتِكَ كَيْفَ وَلَدْنِكَ أُمُّكِ». قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣٩].

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد الله بن لهيعة.

قال ابن كثير: وهذه المرأة هي المخزومية التي سرقت، وحديثها ثابت في الصحيحين، من رواية الزهري، عن عروة، عن عائشة. انظر: تفسير ابن كثير (٣/١١١).

(٢) في (م)، و(ج): (عبد الله بن عمر).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/٥٠).

قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أن النبي ﷺ مرَّ بيهودي وقد حمموه وجلدوه، فقال: «أَهْكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علماءهم فقال: «أَنْشُدْكَ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ﷺ، هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟» قال: لا، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا نترك الشريف، ونُقيمُه على الوضيع، فقلنا: تعالوا نُجْمِعْ على شيء نقيمُه على الشريف والوضيع^(١)، فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ» فأمر به فُرجم، ونزلت هذه الآية، رواه البراء بن عازب^(٢).

والثاني: أنها نزلت في ابن صوريا آمن ثم كفر، وهذا المعنى مروى عن أبي هريرة^(٣).

والثالث: أنها نزلت في يهودي قتل يهودياً، ثم قال: سلوا محمداً فإن كان بُعِثَ بالذِّية، اختصمنا إليه، وإن كان بُعِثَ بالقتل، لم نأته، قاله الشعبي^(٤).

(١) من قوله: (فقلنا: تعالوا نجتمع)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٧٠٠).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤١٤/٨) من طريق الزهري، عن رجل من مزينة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، مرفوعاً، بلفظ مطول، وهو منقطع، انظر: نصب الراية (١٠٢/٤).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٤١٣/٨)، وابن أبي حاتم (٤٥٤٤) في تفسيرهما من طريق زكريا بن أبي زائدة، به، بنحوه.

والرابع: أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباس، ومجاهد^(١).

والخامس: أن رجلاً من الأنصار أشارت إليه قريظة يوم حصارهم: على ماذا نزل؟ فأشار إليهم: أنه الذَّبْح، قاله السدي^(٢).

قال مقاتل: هو أبو لبابة بن عبد المنذر، قالت له قريظة: أنزل [١٩٥/أ] على حُكم سعيد؟ فأشار بيده: أنه الذَّبْح، وكان حليفاً لهم. قال أبو لبابة: فعلمت أي قد خُنتُ الله ورسوله، فنزلت هذه الآية^(٣).

ومعنى الكلام: لا يحزنك مسارعة الذي يُسارعون في الكفر من الذين قالوا آمناً بأفواههم وهم المنافقون، ومن الذين هادوا وهم اليهود.

﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ قال سيويه: هو مرفوعٌ بالابتداء.

قال أبو الحسن الأخفش: ويجوز أن يكون رفعه على معنى: ومن الذين هادوا سماعون للكذب^(٤).

وفي معناه أربعة أقوال:

أحدها: سماعون منك ليكذبوا عليك.

والثاني: سماعون للكذب، أي: قائلون له.

والثالث: سماعون للكذب الذي بذلوه في توراتهم.

(١) قوله: (ومجاهد)، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤١٣/٨) من طريق أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٧٤/١).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢٨١/١).

والرابع: سماعون للكذب، أي قابلون له، ومنه: «سمع الله لمن حمده» أي: قبل.

وفي قوله: ﴿سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ قولان:

أحدهما: يسمعون لأولئك، فهم عيون لهم.

والثاني: سماعون من قوم آخرين، وهم رؤسائهم المبدلون للتوراة.

وفي السَّمَاعِينَ للكذب، وللقوم الآخرين قولان:

أحدهما: أن «السَّمَاعِينَ للكذب» يهود المدينة، والقوم الآخرون الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ^(١) يهود فدك.

والثاني: بالعكس من هذا.

وفي تحريفهم الكلم خمسة أقوال:

أحدها: أنه تغيير حدود الله في التوراة، وذلك أنهم غَيَّرُوا الرَّجْمَ، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: تغيير ما يسمعون من النبي ﷺ بالكذب عليه، قاله الحسن.

والثالث: إخفاء صفة النبي ﷺ.

والرابع: إسقاط القود بعد استحقاقه.

والخامس: سوء التأويل.

(١) قوله: (الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ)، ليس في (م).

وقال ابن جرير: المعنى يُحَرِّفُونَ حَكْمَ^(١) الكلم، فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين بذلك^(٢).

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾.

قال الزجاج: أي من بعد أن وَضَعَهُ اللهُ مَوَاضِعَهُ، فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه^(٣).

قوله: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾.

في القائلين لهذا قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، وذلك أن رجلاً وامرأة من أشrafهم زنيا، وكان حدهما الرِّجْم، فكرهت اليهود رجمهما، فبعثوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن قضائه في الزانين إذا أُحْصِنَا، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فلا تعملوا به، هذا قول الجمهور.

والثاني: أنهم المنافقون. قال قتادة: وذلك أن بني النضير كانوا لا يُعطون قريظة القود إذا قتلوا منهم، وإنما يعطونهم الدية، فإذا قُتِلَ^(٤) قريظة من [بني]^(٥) النضير لم يَرْضُوا إلا بالقود تعزُّزاً عليهم، فقتل بنو [١٩٥/ب].

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٤٢٣/٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٧٥/٢).

(٤) في (ت): (فعلت).

(٥) زيادة من (م)، و(ج).

النضير رجلاً من قريظة عمداً، فأرادوا رفع ذلك إلى النبي ﷺ، فقال رجل من المنافقين: إن قتلكم قتل عمداً، ومتى ترفعوا ذلك إلى محمد خشيتُ عليكم القود، فإن قُبلت منكم الدية فأعطوا، وإلا فكونوا منه على حذر^(١).

وفي معنى ﴿فَاحْذَرُوا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: فاحذروا أن تعملوا بقوله الشديد.

والثاني: فاحذروا أن تُطْلِعُوهُ على ما في التوراة فيأخذكم بالعمل به.

والثالث: فاحذروا أن تسألوه بعدها.

قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾.

في «الفتنة» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها بمعنى الضلالة، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: العذاب، قاله الحسن، وقتادة.

والثالث: الفضيحة، ذكره الزجاج^(٢).

قوله: ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾.

أي: لا تغني عنه، ولا تقدر على استنقاذه. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ من حزنه على مسارعته في الكفر.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٢٦/٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٧٦/٢).

قوله: ﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾.

قال السدي: يعني المنافقين واليهود، لم يُرِدْ أن يطهر قلوبهم من دَنَسِ الكُفْرِ، ووَسَخِ الشُّرْكِ بطهارة الإيمان والإسلام^(١).

قوله: ﴿هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.

أما خزي المنافقين، فبهتك سترهم وإطلاع النبي على كفرهم، وخزي اليهود بفضيحتهم في إظهار كذبهم إذ كتموا الرجم، وبأخذ الجزية منهم.
قال مقاتل: وخزي قريظة بقتلهم وسيبهم، وخزي النضير بإجلائهم^(٢).

قوله تعالى: ﴿سَمْعُوتَ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْسُّخْتِ إِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

قوله: ﴿سَمْعُوتَ لِلْكَذِبِ﴾.

قال الحسن: يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذب عندهم في دعواه، ويأتيهم برشوة فيأخذونها^(٣).

(١) أورده ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٢٨/٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٧٨/١).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٢٨/٨).

وقال أبو سليمان: هم اليهود يسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب^(١)، وليس بنبي، وليس في التوراة رجم، وهم يعلمون كذبهم.

قوله: ﴿أَكْثَلُونَ لِلشُّحِّ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: «الشُّحُّ» مضمومة الحاء مثقلة.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمة «الشُّحُّ»^(٢) ساكنة الحاء خفيفة. وروى خارجة بن مصعب عن نافع: «أَكْثَلُونَ لِلشُّحِّ» بفتح السين وجزم الحاء^(٣).

قال أبو علي: الشُّحُّ والشُّحُّ لغتان، وهما اسمان للشيء المسحوت، وليس بالمصدر، فأما من فتح السين، فهو مصدر سَحَى^(٤)، فأوقع اسم المصدر على المسحوت، كما أوقع الضرب على المضروب في قولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير^(٥).

وفي المراد بـ «السحت» ثلاثة أقوال:

أحدها: الرشوة في الحكم.

(١) في (م): (كاهن).

(٢) من قوله: (السحت مضمومة الحاء مثقلة)... إلى هنا، ليست في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٤٣)، والحجة (٣/ ٢٢١)، والتيسير (ص: ٩٩)، والمبسوط (١/ ١٨٥).

(٤) ليست في (ت).

(٥) انظر: الحجة (٣/ ٢٢٢).

والثاني: الرشوة في الدين، والقولان عن ابن مسعود.

والثالث: أنه كل كسب لا يحل، قاله الأخفش^(١).

قوله: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

[١/١٩٦]

فيمن أريد بهذا الكلام قولان:

أحدهما: اليهوديان اللذان زنيا، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي.

والثاني: رجلان من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر، قاله قتادة.

وقال ابن زيد: كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيري ديتين، وللقرظي دية، لأنه كان من النضير، فقالت قريظة: لا نرضى بحكم حُيي، ونتحاكم إلى محمد، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ الآية^(٢).

فصل

اختلف علماء المفسرين^(٣) في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة، وذلك أن أهل الكتاب كانوا إذا ترفعوا إلى النبي ﷺ كان مخيراً، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] فلزمه الحكم، وزال التخيير، وهذا مروى عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والسدي.

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٦٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٣٨).

(٣) في (ت)، و(م)، و(ج)، و(ر): (التفسير).

والثاني: أنها محكمة، وأن الإمام ونوابه في الحكم مخيرون إذا ترافعوا إليهم، إن شأؤوا حكموا بينهم، وإن شأؤوا أعرضوا عنهم، وهذا مروى عن الحسن، [والسدي]^(١)، والشعبي، والنخعي، والزهري، وبه قال أحمد بن حنبل، وهو الصحيح، لأنه لا تنافي بين الآيتين، لأن إحداهما: خيّر بين الحكم وتركه. والثانية: بينت كيفية الحكم إذا كان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣].
قوله: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ﴾.

قال المفسرون: هذا تعجيب من الله ﷻ لنبيه من تحكيم اليهود إياه بعد علمهم بما في التوراة من حكم ما تحاكموا إليه فيه، وتقريع لليهود إذ يتحاكمون إلى مَنْ يجحدون نبوته، ويتركون حكم التوراة التي يعتقدون صحتها.

قوله: ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: حكم الله بالرجم، وفيه تحاكموا، قاله الحسن.

والثاني: حكمه بالقود^(٢)، وفيه تحاكموا، قاله قتادة.

قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾.

(١) زيادة من (ج).

(٢) في (ر): (والثاني: في حكم العرب).

فيه قولان:

أحدهما: من بعد حكم الله في التوراة.

والثاني: من بعد تحكيمك.

وفي قوله: ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ قولان:

أحدهما: ليسوا بمؤمنين لتحريفهم التوراة.

والثاني: ليسوا بمؤمنين أن حكمك من عند الله لجحدهم نبوتك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْرَوْا بِبَيْعِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية^(١): استفتاء اليهود رسول الله

ﷺ في أمر الزانين، وقد سبق.

و«الهدى»: البيان. فالتوراة مبينة صحة نبوة محمد ﷺ، ومبينة ما

تحاكموا فيه إليه.

و«النور»: الضياء الكاشف للشبهات، والموضح للمشكلات.

(١) في (ر): (سبب نزولها).

وفي «النبين الذين أسلموا» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الأنبياء من لدن موسى إلى عيسى، قاله الأكثرون. [١٩٦/ب]

فعلى هذا القول في معنى «أسلموا» أربعة^(١) أقوال:

أحدها: سلموا لحكم الله، ورضوا بقضائه.

والثاني: انقادوا لحكم الله، فلم يكتموه كما كتم هؤلاء.

والثالث: أسلموا^(٢) أنفسهم إلى الله ﷻ.

والرابع: أسلموا لما^(٣) في التوراة ودانوا بها، لأنه قد كان فيهم من لم يعمل بكل ما فيها كعيسى عليه السلام.

قال ابن الأنباري: وفي «المسلم» قولان:

أحدهما: أنه سُمِّي بذلك لاستسلامه وانقياده لربه.

والثاني: لإخلاصه لربه، من قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] أي: خالصاً له.

والثاني: أن المراد بالنبين نبينا محمد ﷺ، قاله الحسن، والسدي. وذلك حين حكم على اليهود بالرجم، وذكره بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

(١) ليست في (ت).

(٢) في (ت)، و(ر): (سلموا).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

وفي الذي حكم به منها قولان:

أحدهما: الرجم والقود.

والثاني: الحكم بسائرهما ما لم يرد في شرعه ما يخالف.

والثالث: النبي محمد ﷺ، ومن قبله من الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، قاله عكرمة.

قوله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾.

قال ابن عباس: تابوا من الكفر^(١).

قال الحسن: هم اليهود^(٢).

قال الزجاج: ويجوز أن يكون في الآية تقديم وتأخير. على معنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا، يحكم بها النبيون الذين أسلموا^(٣).

فأما «الربانيون» فقد سبق ذكرهم في «آل عمران»^(٤).

وأما «الأخبار» فهم العلماء واحدهم خبر وخبر، والجمع أخبار وحبور.

وقال الفراء: أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد الأخبار: خبر

بكسر الحاء^(٥).

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (٢/ ١٩٠).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٥٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٨).

(٤) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٤٦).

(٥) أورده ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٢).

وفي اشتقاق هذا الاسم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من الحَبَار وهو الأثر الحسن، قاله الخليل^(١).

والثاني: أنه من الحِبر الذي يكتب به، قاله الكسائي^(٢).

والثالث: أنه من الحبر الذي هو الجمال والبهاء، وفي الحديث: «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ»^(٣). أي: جماله وبهاؤه؛ فالعالم بهيُّ بجمال العلم، وهذا قول قطرب.

وهل بين الربانيين والأخبار فرق أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: لا فرق، والكل العلماء، هذا قول الأكثرين، منهم ابن قتيبة، والزجاج^(٤).

وقد روي عن مجاهد أنه قال: «الربانيون»: الفقهاء العلماء، وهم فوق الأخبار^(٥).

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٤/ ٦٩).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) لا أصل له بهذا اللفظ، ولكن جاء عن ابن جرير الطبري (١٩/ ٥٤٨) عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاطْلَعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّهُ عَرَفَهُ مَا عَرَفَهُ، لَقَدْ غَيَّرَتِ النَّارُ حَبْرَهُ وَسَبْرَهُ».

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٧٨).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٣) من طريق ابن أبي نجیح، به.

وقال السدي: «الربانيون»: العلماء، و«الأحبار»: القُرَّاء^(١).

وقال ابن زيد: «الربانيون»: الولاة، و«الأحبار»: العلماء، وقيل:

«الربانيون»: علماء النصارى، و«الأحبار»: علماء^(٢) اليهود^(٣).

قوله: ﴿يَمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: بما استودعوا من كتاب الله وهو التوراة^(٤).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: يحكمون بحكم ما استحفظوا.

والثاني: العلماء بما استحفظوا.

قال ابن جرير: «الباء» في قوله: ﴿يَمَا اسْتَحْفِظُوا﴾ من صلة الأحبار^(٥). [١/١٩٧]

وفي قوله: ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ قولان:

أحدهما: وكانوا على ما في التوراة من الرِّجْم شهداء، رواه أبو

صالح عن ابن عباس.

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٥٢).

(٢) قوله: (وقيل: «الربانيون»: علماء النصارى، و«الأحبار»: علماء)، سقط من (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٥٤) من طريق ابن وهب، به.

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٩٠).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٥٤).

والثاني: وكانوا شهداء لمحمد ﷺ بما قال أنه حق. رواه العوفي عن ابن عباس.

قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، وابن عامر، والكسائي: «واخشون» بغير ياء في الوصل والوقف.

وقرأ أبو عمرو بياء في الوصل، وبغير ياء في الوقف^(١).

وكلاهما حسن، وقد أشرنا إلى هذا في «سورة»^(٢) آل عمران.

ثم في المخاطبين بهذا قولان.

أحدهما: أنهم رؤساء اليهود، قيل لهم: فلا تخشوا الناس في إظهار صفة محمد ﷺ، والعمل بالرجم، واخشوني في كتمان ذلك، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس.

قال مقاتل: الخطاب لليهود المدينة، قيل لهم: لا تخشوا يهود خيبر أن تخبروهم بالرجم، ونعت محمد ﷺ، واخشوني في كتمان^(٣).

والثاني: أنهم المسلمون، قيل لهم: لا تخشوا الناس، كما خشيت اليهود الناس، فلم يقولوا^(٤) الحق، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

(١) انظر: السبعة (ص: ٢٤٣)، والحجة (٢١٨/٣)، والتيسر (ص: ١٠١)، والمبسوط (١/١٨٩).

(٢) ليست في (م)، و(ج)، و(ر).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٧٩).

(٤) في الأصل: (يفعلوا)، والمثبت من بقية النسخ.

قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

في المراد بالآيات قولان:

أحدهما: أنها صفة محمد ﷺ والقرآن.

والثاني^(١): الأحكام والفرائض. والثلث القليل المذكور في «البقرة»^(٢).

فأما قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وقوله بعدها: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

فاختلف العلماء فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في اليهود خاصة، رواه عبيد الله بن عبد الله^(٣) عن ابن عباس، وبه قال قتادة^(٤).

والثاني: أنها نزلت في المسلمين، روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحو هذا المعنى.

والثالث: أنها عامة في اليهود^(٥)، وفي هذه الأمة، قاله ابن مسعود^(٦)، والحسن، والنخعي، والسدي.

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٤١).

(٣) قوله: (بن عبد الله)، ليس في (ج).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٦٠).

(٥) في (م): (والثالث: أنها على العموم وفي اليهود)، وفي (ر): (والثالث: أنهم على العموم في اليهود).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦١) بلفظ مطول.

والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، قاله أبو مجلز^(١).

والخامس: أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، قاله الشعبي^(٢).

وفي المراد بالكفر المذكور في الآية الأولى قولان:

أحدهما: أنه الكفر بالله تعالى.

والثاني: أنه الكفر بذلك الحكم، وليس بكفر ينقل عن الملة.

وفصل الخطاب:

أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له، وهو يعلم أن الله أنزله، كما فعلت اليهود، فهو كافر.

ومن لم يحكم به ميلاً إلى الهوى^(٣) من غير^(٤) جحود، فهو ظالم^(٥) وفاسق.

وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرَّ به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم^(٦).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٥٨/٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٦٢/٨).

(٣) في (ج): (ميلاً إلى اليهود).

(٤) ليست في (ر).

(٥) قوله: (فهو ظالم)، ليس في (م).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٦٧/٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

قوله: ﴿وَكُتِبْنَا﴾ أي: فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿فِيهَا﴾ أي: [١٩٧/ب] في التوراة.

قال ابن عباس: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ فما بالهم يخالفون، فيقتلون النفسين^(١) بالنفس، ويفقتون العينين^(٢) بالعين، وكان على بني إسرائيل القصاص أو العفو، وليس بينهم دية في نفس ولا جرح، فخفف الله عن أمة محمد بالدية^(٣).

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ﴾ ينصبون ذلك كله^(٤)، ويرفعون «والجروح».

(١) في (م)، و(ر): (النفس)!.

(٢) في (م)، و(ر): (العين)!.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٤٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٤) في (م): (مقصود ذلك كله).

وكان نافع، وعاصم، وحمزة^(١) ينصبون ذلك كله^(٢) (٣).

وكان الكسائي يقرأ: «أن النفس بالنفس» نصباً، ويرفع ما بعد ذلك^(٤).

قال أبو علي: وحجته أن الواو لعطف الجمل، لا للاشتراك في العامل، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى، لأن معنى: وكتبنا عليهم: قلنا لهم: النفس بالنفس، فحمل العين على هذا، وهذه حجة من رفع الجروح. ويجوز أن يكون مستأنفاً، لأنه مما كُتب على القوم، وإنما هو ابتداء إيجاب^(٥).

قال القاضي أبو يعلى: وقوله: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ ليس المراد قلع العين بالعين، لتعذر استيفاء المائلة، لأننا لا نقف على الحد الذي يجب قلعه، وإنما يجب فيما ذهب ضوءها وهي قائمة، وصفة ذلك أن تُشدَّ عين القالع، وتُحمى مرآة، فتقدم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوءها. وأما الأنف فإذا قطع المارن، وهو ما لان منه، وتركت قصبته، ففيه القصاص، وأما إذا قطع من أصله، فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن استيفاء القصاص، كما لو قطع يده من نصف الساعد.

وقال أبو يوسف، ومحمد: فيه القصاص إذا استوعب.

(١) في (ج): (وكان عاصم، وحمزة).

(٢) من قوله: (ويرفعون «والجروح»).. إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٢٤٤)، والحجة (٣/ ٢٢٣)، والمبسوط (١/ ١٨٥).

(٤) انظر: الحاشية السابقة.

(٥) الحجة (٣/ ٢٢٣).

وأما الأذن، فيجب القصاص إذا استوعبت، وعرف المقدار.

وليس في عظم قصاص إلا في السن، فإن قلعت قلع مثلها، وإن كُسِرَ بعضها، برد بمقدار ذلك.

وقوله: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

يقتضي إيجاب القصاص في سائر الجراحات التي يمكن استيفاء المثل فيها.

قوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ يشير إلى القصاص ﴿فَهُوَ كَقَارَةٍ لَهُ﴾.

في هاء «له» قولان:

أحدهما: أنها إشارة إلى المجروح، فإذا تصدَّق بالقصاص كُفِّرَ من ذنوبه، وهذا قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والحسن، والشعبي.

والثاني: إشارة إلى الجراح إذا عفا عنه المجروح، كُفِّرَ عنه ما جنى، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل.

وهو محمول على أن الجاني تاب من جنايته، لأنه إذا كان مُصِرًّا فعقوبة الإصرار باقية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٦) [المائدة: ٤٦].

[١٩٩/أ] قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم﴾ أي: وأتبعنا على آثار النبيين الذين أسلموا ﴿بِعِيسَى﴾ فجعلناه يقفوا آثارهم ﴿مُصَدِّقًا﴾ أي: بعثناه ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾^(١) وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا ﴿ليس هذا تكرار للأول، لأنَّ الأول لعيسى، والثاني للإنجيل، لأنَّ عيسى^(٢) كان يدعو إلى التصديق بالتَّوراة، والإنجيل أنزل وفيه ذكر التصديق بالتَّوراة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٧) [المائدة: ٤٧].

قوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ﴾.

قرأ الأكثرون^(٣) بجزم اللام على معنى الأمر، تقديره: وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه.

وقرأ الأعمش، وحمزة بكسر اللام، [وفتح الميم]^(٤) على معنى «كي»^(٥). فكانه قال: وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

(١) ليست في (م)، و(ر).

(٢) قوله: (والثاني للإنجيل، لأنَّ عيسى)، ليس في (ر).

(٣) في (ج): (والأكثرون يقرؤون).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٥) انظر: الحجَّة (٢٢٧/٣)، والتَّيسير (٩٩/١)، والمبسوط (١٨٥/١)، وإعراب القرآن؛

للنحاس (٢٧٠/١)، والمحرم الوجيز (١٩٩/٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: يريد كل كتاب أنزله الله تعالى^(١).

وفي «المهيمن» أربعة أقوال:

أحدها: أنه المؤيمن، رواه التميمي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، والضحاك.

وقال المبرد: «مهيمن» في معنى: «مؤيمن» إلا أن الهاء بدل من الهمزة، كما قالوا: أرقى الماء، وهرقت، وإياك وهياك^(٢).

وأرباب هذا القول يقولون: المعنى: أن القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب، إلا أن ابن أبي نجیح روى عن مجاهد: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال:

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٨٨/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٤٦٩) بلفظ: قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، شَاهِدٌ عَلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، مُصَدِّقًا لَهُمَا ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ يَعْنِي: «أَمِينًا عَلَيْهِ، يَحْكُمُ عَلَى مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ».

(٢) انظر: الزاهر؛ لابن الأنباري (٨٦/١)، وأمالى ابن الشجري (١٢٢/٣).

محمد مؤتمن على القرآن^(١).

فعلى قوله، في الكلام محذوف، كأنه قال: وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه^(٢)، فتكون هاء ﴿عَلَيْهِ﴾ راجعة إلى القرآن.

وعلى غير قول مجاهد يرجع^(٣) إلى الكتب المتقدمة.

والثاني: أنه الشاهد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل.

والثالث: أنه المصدق على ما أخبر عن الكتب، وهذا قول ابن زيد، وهو قريب من القول الأول.

والرابع: أنه الرقيب الحافظ، قاله الخليل^(٤).

قوله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم﴾ يشير إلى اليهود ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إليك في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

قال أبو سليمان الدمشقي^(٥): المعنى: فترجع عما جاءك.

قال ابن عباس: لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحصن.

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣١٠)، ورواه ابن جرير الطبري (٨/ ٤٩٠) من طريق ابن أبي نجيع، عن مجاهد.

(٢) ليست في (م).

(٣) ليست في (ت)، و(ر)، وفي (ج)، و(م): (ترجع).

(٤) انظر: العين (٥/ ١٥٥).

(٥) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

قال مجاهد: «الشَّرْعَةُ»: السُّنَّةُ، و«الْمِنْهَاجُ»: الطَّرِيقُ^(١).

وقال ابن قُتَيْبَةَ: «الشَّرْعَةُ» و«الشَّرِيعَةُ» واحد، و«الْمِنْهَاجُ»: الطَّرِيقُ الواضح^(٢).

فإن قيل: كيف نسق «المنهاج» على «الشَّرْعَةُ» فكلاهما^(٣) بمعنى [واحد]^(٤)؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن بينهما فرقاً من وجهين:

أحدهما: أن «الشَّرْعَةَ» ابتداء الطَّرِيق، و«الْمِنْهَاجُ»: الطَّرِيقُ المستمر،
قاله المبرِّد^(٥).

والثاني: أن «الشَّرْعَةَ» الطَّرِيقُ الذي ربَّما كان واضحاً، وربَّما كان غير واضح، و«الْمِنْهَاجُ»: [الطَّرِيقُ]^(٦) الذي لا يكون إلا واضحاً، ذكره ابن الأنباري^(٧).

[١٩٩/ب]

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣١٠)، ورواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٨/ ٤٩٧) من طريق ابن أبي نجیح، به.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٤٤).

(٣) في (ج)، و(ر): (وكلاهما).

(٤) زيادة من (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزَّجَّاج (٢/ ١٨٥)، وتهذيب اللُّغة؛ للأزهري (١/ ٢٧٠)، ومعاني القرآن؛ للنَّحَّاس (٢/ ٣١٩).

(٦) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٧) انظر: تفسير البحر المحیط؛ لأبي حَيَّان (٤/ ٢٨٤).

فلما وقع الاختلاف بين «الشَّرْعَة» و«الْمِنْهَاج»، حَسُنَ نسق أحدهما على الآخر.

والثَّاني: أن «الشَّرْعَة» و«الْمِنْهَاج» بمعنى واحد، وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين.

قال الخطيئة^(١) [من الطويل]:

أَلَا جَبَذًا هِنْدُ وَأَرْضُ بِهَا هِنْدُ وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ
فنسق البُعد على النَّأي لما خالفه في اللفظ، وإن كان موافقاً له في المعنى، ذكره ابن الأنباري.

وأجاب عنه أربابُ القول الأول، فقالوا: «النَّأي» كلُّ ما قلَّ بعده أو كثر كأنه المفارقة، والبعْدُ إنما يُستعمل فيما كثرت مسافة مفارقه.

وللمفسِّرين في معنى الكلام قولان:

أحدهما: لكلِّ مِلَّةٍ جعلنا شرعةً ومنهاجاً، فلاهل^(٢) التَّوراةِ شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل القرآن شريعة، [و]^(٣) هذا قول الأكثرين.

(١) انظر: ديوان الخطيئة برواية وشرح ابن السكيت (ص: ٧١)، ولسان العرب (٣/ ٢٢٣) (سند)، وفي (١٥/ ٣٠٠) (نأي)؛ والبيت بلا نسبة في شرح المفصل (١/ ٥٤).

(٢) في (ر): (ولأهل).

(٣) زيادة من (ج).

قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسى، وعيسى، ومحمد، فللتوراة شريعة^(١)، وللإنجيل شريعة، وللفرقان^(٢) شريعة، يُحلُّ الله فيها ما يشاء، [ويُحرِّم فيها ما شاء]^(٣)، ويحرِّم ابتلاء^(٤)، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والذين واحد الذي لا يُقبل غيره، التَّوْحِيدُ والإِخْلَاصُ لله الذي جاءت به الرُّسل^(٥).

والثاني: أن المعنى: لكلِّ مَنْ دخل في دين محمَّد جعلنا القرآن شرعة^(٦) ومنهاجًا، هذا قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لجمعكم على الحق.

والثاني: لجعلكم على ملَّةٍ واحدة.

﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿فِي مَاءِ آتَانَكُمْ﴾ من الكتب، وبين لكم من الملل.

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): (وللقرآن).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (بلاء).

(٥) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٩٦/٣)، وابن جرير الطبري (٤٩٣/٨)، وابن

أبي حاتم (٦٤٨٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٦) في (ج): (شريعة).

فإن قيل: إذا كان المعنى بقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾ ﴿نَبِّئْنَا مُحَمَّدًا﴾ مع سائر الأنبياء قبله، فمن المخاطب بقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾؟
فالجواب: أنه خطاب لنبيِّنا، والمراد به سائر الأنبياء والأمم.

قال^(١) ابن جرير: والعرب من شأنها إذا خاطبت غائبًا، فأرادت الخبر عنه أن تغلب المخاطب، فتخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب^(٢).
قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

قال ابن عباس^(٣)، والضَّحَّاك^(٤): هو خطابٌ لأمة محمد ﷺ.
قال مقاتل: و«الخيرات»: الأعمال الصالحة^(٥).

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين.
قال ابن جرير: قد بين ذلك في الدنيا بالأدلة والحجج، وغداً يبيِّنه بالمجازاة^(٦).
قوله تعالى: ﴿وَأَن أٰحْكُمَ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

(١) في الأصل: (قوله)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٤٩٩).

(٣) لم نقف على هذا المعنى عنه.

(٤) رواه سعيد بن منصور في التفسير (٢٢٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٤٩١).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص: ٤٨٢).

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٥٠٠).

قوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

سبب نزولها:

أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد، وعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، [لعلنا]^(١) نفتنه عن دينه، فأتوه، فقالوا: يا محمد، قد عرفت أنا أحرار اليهود وأشرافهم، وأنا إن^(٢) اتبعناك، اتبعك اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة^(٣)، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك، فأبى [أ/٢٠٠] ذلك رسول الله ﷺ، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس^(٤).

وذكر مقاتل: أن جماعة^(٥) من بني النضير قالوا له: هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدنيا^(٦)، كما كنا عليه من قبل، ونبايعك؟ فنزلت هذه الآية^(٧).

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) قوله: (وبين قوم خصومة)، ليس في (ت)، وقوله: (قوم خصومة) ليس في (ر).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٨/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم (٦٤٩٤) في تفسيرهما.

(٥) في (م): (وذكر جماعة).

(٦) في (م)، و(ر)، والنسخة المطبوعة من تفسير مقاتل: (الدِّماء).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص: ٤٨٣).

قال القاضي أبو يعلى: وليس هذه الآية تكراراً لما تقدّم، وإنما نزلت في سبعين^(١) مختلفين^(٢):

أحدهما: في شأن الرّجم.

والأخرى: في التسوية في الديّات حتى^(٣) تحاكموا إليه في الأمرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ أي: يصرفوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

وفيه قولان:

أحدهما: أنّه الرّجم، قاله ابن عباسٍ.

والثاني: شأن القصاص والدماء، قاله مقاتل^(٤).

قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: عن حكمك.

والثاني: عن الإيمان، فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعذبهم ببعض ذنوبهم.

(١) في (ت)، و(ج)، و(ر): (سبعين).

(٢) في (ت)، و(ر): (المختلفين).

(٣) في (ت)، و(ر): (حين).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص: ٣٨٥).

وفي^(١) ذكر البعض^(٢) قولان:

أحدهما: أنه على حقيقته، وإنما^(٣) يصيبهم ببعض^(٤) ما يستحقونه.

والثاني: أن المراد به الكل، كما يُذكر لفظ الواحد ويراد به الجماعة، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ {الطلاق: ١} والمراد: جميع المسلمين.

وقال الحسن: أراد ما عجله من إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة^(٥).

قوله: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَنَسِفُونَ﴾ قال المفسرون: أراد اليهود.

وفي المراد بالفسق هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: الكفر، قاله ابن عباس.

والثاني: الكذب، قاله ابن زيد.

والثالث: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٥٠﴾

[المائدة: ٥٠].

قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْغُونَ﴾

(١) في (ج): (في).

(٢) في (ت)، و(ر): (وفي بعض).

(٣) في (ر): (وأنَّ ما).

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: أحكام القرآن؛ لأبي بكر الجصاص (٩٩ / ٤).

قرأ الجمهور: «يَبْغُونَ»^(١) بالياء، لأن قبله غيبة، وهي قوله تعالى^(٢):
﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

وقرأ ابن عامر^(٣): «تَبْغُونَ»^(٤) بالتاء، على معنى: قل لهم^(٥).

وسبب نزولها:

أن النبي ﷺ لما حكم بالرَّجْم على اليهوديين تعلَّق بنو قريظة ببني
النَّضِير، وقالوا: يا محمد هؤلاء إخواننا، أبونا واحد، وديننا واحد، إذا
قتلوا منا قتيلاً أعطونا سبعين وسقاً من تمر، وإن قتلنا منهم واحداً
أخذوا منا أربعين ومائة وسق، وإن قتلنا منهم رجلاً قتلوا به رجلين،
وإن قتلنا امرأة قتلوا بها رجلاً، فاقض بيننا بالعدل، فقال رسول الله
ﷺ: «لَيْسَ لِبَنِي النَّضِيرِ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَضْلٌ فِي عَقْلِ وَلَا دَمٍ»، فقال بنو
النَّضِير: والله لا نرضى بقضائك، ولا نطيع أمرك، ولناخذنَّ بأمرنا الأول،
فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٦).

(١) قوله: (قرأ الجمهور: يَبْغُونَ)، ليس في (ج).

(٢) قوله: (وهي قوله تعالى)، ليس في (م).

(٣) في (م): (ابن عباس).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: السَّبعة؛ لابن مجاهد (١/٢٤٤)، والحجَّة؛ لأبي علي الفارسي (٣/٢٢٨)،
والمبسوط؛ للنَّيسابوري (١/١٨٦).

(٦) ذكره بمعناه بلا نسبة مقاتل بن سليمان في تفسيره (ص: ٤٨٠) مختصراً، والبغوي في
معالم التنزيل (١/٤٦٥).

قال الزَّجَّاج: ومعنى الآية: أتطلب اليهود حكماً لم يأمر الله به، وهم

أهل كتاب الله، كما تفعل^(١) الجاهلية؟!^(٢). [٢٠٠/ب]

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾ قال ابن عباس: ومن أعدل؟!.

وفي قوله: ﴿لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قولان:

أحدهما: يوقنون بالقرآن، قاله ابن عباس.

والثاني: يوقنون بالله، قاله مقاتل.

وقال الزَّجَّاج: من أيقن تبين عدل الله في حكمه^(٣).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾.

في^(٤) سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي لبابة حين قال لبني قريظة إذ رضوا بحكم

سعد: إنه الذَّبَح، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول عكرمة^(٥).

(١) في (ج)، و(م): (يفعل).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨٠/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨١/٢).

(٤) ليست في (ج)، و(ر).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في التفسير (٥٠٦/٨)، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٩٩/٣).

والثاني: أن عبادة بن الصَّامت قال: يا رسول الله إن لي موالى من اليهود، وإني أبرأ إلى الله من ولاية يهود، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ [إلى الله] ^(١) من ^(٢) ولاية يهود، فنزلت هذه الآية، قاله عطية ^(٣) العوفي ^(٤) ^(٥).

والثالث: أنه لما كانت وقعة أحد خافت طائفة من الناس أن يُدال عليهم الكُفَّار، فقال رجل لصاحبه: أمّا أنا فألحق بفلان اليهودي، فأخذ منه أماناً، أو أتهود معه، فنزلت هذه الآية، قاله السُّدي ^(٦)، ومقاتل ^(٧).
قال الرَّجَّاج: لا تتولَّوهم في الدين ^(٨).

وقال غيره: لا تستنصروا بهم، ولا تستعينوا بهم ^(٩)، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في العون والنصرة.

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) في (ج)، و(م): (عطاء).

(٤) ليست في (ت)، و(ر)، وفي (م): (والعوفي).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٠١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٥٠٤ / ٨).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٠٦ / ٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٠٧) من طريق أحمد بن محمد بن الفضل، عن أسباط بن نصر، به.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص: ٤٨٣).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨١ / ٢).

(٩) ليست في (ت)، و(ج)، و(ر).

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: من يتولَّهم في الدين، فإنه منهم في الكفر.

والثاني: من يتولَّهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

قوله: ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ قال المفسِّرون: نزلت في المنافقين.

ثم لهم في ذلك قولان:

أحدهما: أن اليهود والنصارى كانوا يميرون المنافقين ويقرضونهم فيؤادونهم^(١)، فلما نزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾^(٢) قال المنافقون^(٣): كيف نقطع مودة قوم إن أصابتنا سنة وسَّعوا علينا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

(١) في (ج): (ويؤادونهم).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (م): (كان المنافقون قالوا).

ومن قال: نزلت في المنافقين، ولم يعيّن^(١): مجاهد^(٢)، وقتادة^(٣).

والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ، قاله عطية العوفي^(٤).

وفي المراد بالمرض^(٥) قولان:

أحدهما: أنه الشك، قاله مقاتل^(٦).

والثاني: النفاق، قاله الزجاج^(٧).

وفي قوله: ﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يسارعون في موالاتهم ومناصحتهم، قاله مجاهد، وقتادة.

والثاني: في رضاهم، قاله ابن قتيبة^(٨).

والثالث: في معاونتهم على المسلمين، قاله الزجاج^(٩).

(١) في (ج): (ولم يعيره).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣١٠)، ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥١١)، وابن

أبي حاتم كذلك في تفسيره (٦٥١٩) من طريق ابن أبي نجيع، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥١٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ر): (وفي المرض).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (ص: ٤٨٤).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٨) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

وفي المراد «بالدائرة» قولان:

أحدهما: الجذب والمجاعة، قاله ابن عباس.

قال ابن قتيبة: نخشى أن يدور علينا الدهر بمكروه، يعنون الجذب، فلا يُبَايَعُونَنَا، وَتَمْتَارُ فِيهِمْ فلا يَمِيرُونَنَا^(١)^(٢).

والثاني: انقلاب الدولة لليهود على المسلمين، قاله مقاتل^(٣).

[٢٠١/أ]

وفي المراد بالفتح أربعة^(٤) أقوال:

أحدها: فتح مكة، قاله ابن عباس، والسُّدِّي.

والثاني: فتح قرى اليهود، قاله الضَّحَّاك.

والثالث: نصر النبي ﷺ على مَنْ خالفه، قاله قتادة، والزَّجَّاج^(٥).

والرَّابِع: الفَرَج، قاله ابن قُتَيْبَةَ^(٦).

وفي الأمر أربعة أقوال:

أحدها: إجلاء بني النُّضِير وأخذ أموالهم، وقتل قريظة، وسبي ذراريهم، قاله ابن السَّائِب، ومقاتل.

(١) في (ت): (فلا يبايعوننا، ولا يميروننا)، وفي (ج): (فلا يبايعونا، ولا يميروننا)، وفي (م):

(فلا يبايعونا، ولا يميروننا)، وفي (ر): (فلا يبايعولنا، ولا يميروننا).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٤).

(٤) في (ج): (ثلاثة).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

والثاني: الجزية، قاله السُّدي.

والثالث: الخصب، قاله ابن قُتيبة^(١).

والرابع: أن يأمر النبي ﷺ بإظهار أمر المنافقين وقتلهم، قاله الزجاج^(٢).

وفيما ﴿أَسْرُوا﴾ قولان:

أحدهما: موالاتهم.

والثاني: قولهم: لعلَّ محمدًا لا^(٣) ينصر.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ

حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المائدة: ٥٣].

قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قرأ أبو عمرو، بنصب اللام على معنى^(٤): وعسى أن يقول^(٥).

ورفعه الباقر، فجعلوا الكلام مستأنفا^(٦).

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨١/٢).

(٣) في (ج): (ما).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: السبعة (١/٢٤٥)، والحجة (١/١٣١)، ومعاني القراءات (١/٣٣٣).

(٦) قال أبو علي الفارسي: فالحجة لمن رفع: أنه ابتدأ بالفعل فأعربه بما وجب له بلفظ المضارعة. اهـ. الحجة (١/١٣١-١٣٢).

وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «يقول»، بغير واو، مع رفع اللام، وكذلك في مصاحف أهل مكة والمدينة^(١).

قال المفسرون: لما أجلي رسول الله ﷺ بني النضير، اشتد ذلك على المنافقين، وجعلوا يتأسفون على فراقهم، وجعل المنافق يقول لقريبه المؤمن إذا رآه جاداً في معاداة اليهود: أهذا جزاؤهم منك، طال والله ما أشبعوا بطنك^(٢)؟ فلما قتلت قريظة، لم يطق أحد من المنافقين ستر ما في نفسه، فجعلوا يقولون: أربعمائة حصدوا في ليلة، فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين، قالوا: ﴿أَهْؤُلَاءِ﴾^(٣) يعنون^(٤) المنافقين ﴿الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أغلظوا في الأيمان^(٥).

وقال مقاتل: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ القسم بالله^(٦).

وقال^(٧) الزجاج: اجتهدوا في المبالغة في اليمين ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ على عدوكم^(٨) ﴿حِطَّتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بنفاقهم^(٩).

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٤٥)، ومعاني القراءات (١/ ٣٣٣).

(٢) في (ت): (أشبعوك).

(٣) في (ج): (هؤلاء).

(٤) ليست في (ج).

(٥) أورده الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦٢).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٥).

(٧) في الأصل: (فقال)، والمثبت من بقية النسخ.

(٨) في (م): (عدوهم).

(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: يرتدّ، بإدغام الدال الأولى في الأخرى.

وقرأ نافع، وابن عامر: «يرتدد»، بدالين^(١).

قال الزّجاج: «يرتدد» هو الأصل، لأن الثاني إذا سُكِّنَ مِنَ الْمُضَاعَفِ، ظهر التّضعيف. فأما «يرتدّ» فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وحرّكت الثانية بالفتح، لالتقاء الساكنين^(٢).

قال الحسن: علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ، فأخبرهم أنه سيأتي ﴿يَقُومُوا يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٣).

(١) في (ت): (بالدالين).

(٢) انظر: السبعة (١/٢٤٥)، والحجة (١/١٣٢)، والمبسوط (١/١٨٦)، قال أبو علي الفارسي: يُقْرَأُ بِالْإِدْغَامِ وَالْفَتْحِ، وبالإظهار والجرم. فالحجة لمن أدغم: أنه لغة أهل الحجاز؛ لأنهم يدغمون الأفعال لثقلها كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾، ويظهرون الأسماء لخفتها كقوله: ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾، ليفرّقوا بذلك بين الاسم والفعل. والحجة لمن أظهر: أنه أتى بالكلام على الأصل، ورغب - مع موافقة اللغة - في الثواب إذ كان له بكل حرف عشر حسنات.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/١٨٢).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٢/١٩٩).

وفي المراد بهؤلاء القوم ستة أقوال:

أحدها: أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردّة، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وقتادة، والضّحّاك، وابن جريج.

قال أنس بن مالك: كرهت الصّحابة قتال مانعي الزّكاة، وقالوا^(١): أهل القبلة، فتقلّد أبو بكر سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بُدّاً من [٢٠١/ب] الخروج على أثره^(٢).

والثاني: أبو بكر، وعمر. روي عن الحسن، أيضاً.

والثالث: أنهم قومُ أبي^(٣) موسى الأشعري.

روى عياض الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «هُم قَوْمٌ هَذَا» يَعْنِي: أَبَا مُوسَى^(٤).

والرابع: أنهم أهل اليمن. رواه الضّحّاك عن ابن عبّاس، وبه قال مجاهد.

والخامس: أنهم الأنصار، قاله السّدي.

(١) في (ج): (فقالوا).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/١٩٩).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٢٦١)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٥١٥)، وابن جرير الطّبري في تفسيره (٥٢١/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٣٥)، والطّبراني في الكبير (١٠١٦)، والحاكم في المستدرک (٣٤٢/٢) من طريق شعبة، عن سماك بن حرب، عن عياض، الأشعري، بنحوه.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وقال الحافظ: إسناده رواه ثقات. إتحاف الخيرة (٦/٢٠٥).

والسَّادس: المهاجرون والأنصار، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قال ابن جرير: وقد أنجز الله ما وَعَدَ فأتى بقوم في زمن عمر كانوا أحسن موقعًا في الإسلام ممن ارتدَّ^(١).

قوله: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال علي بن أبي طالب: أَهْلُ رِقَّةٍ عَلَى أَهْلِ دِينِهِمْ، أَهْلُ غِلْظَةٍ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ فِي دِينِهِمْ^(٢).

وقال الزَّجَّاج: معنى «أَذَلَّةٍ»: جانبهم لئِنْ على المؤمنين، لا أنهم أذلاء^(٣).

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ لأن المنافقين يراقبون الكفار، ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله ﷻ أن الصَّحِيحَ الإيمان لا يخاف في الله لومة لائم، ثم أعلم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه، فقال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: محبتهم لله، ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين.

قَوْلُهُ نَعَالَى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۝٥٥﴾

[المائدة: ٥٥، ٥٦].

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٥١٨/٨).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٢٧/٨) من طريق سيف بن عمر، عن أبي روق عطية بن الحارث، عن أبي أيوب، به، بنحوه. وسيف بن عمر التميمي ضعيف جدًا.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨٣/٢).

قوله: ﴿إِنَّمَا وَدَّعَ اللَّهُ رُسُلَهُ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أن عبد الله بن سلام وأصحابه جاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا^(١): «إِنْ قَوْمًا قَدْ أَظْهَرُوا لَنَا الْعَدَاوَةَ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجَالِسَ أَصْحَابَكَ لِبُعْدِ الْمَنَازِلِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَقَالُوا: رَضِينَا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ^(٢)، وَأَذَّنَ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا مَسْكِينٌ يَسْأَلُ^(٣) النَّاسَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ أُعْطَاكَ أَحَدٌ [شَيْئًا]؟»^(٤) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «مَاذَا؟» قَالَ: خَاتَمُ فَضَّةٍ. قَالَ: «مَنْ^(٥) أُعْطَاكَ؟» قَالَ: ذَاكَ الْقَائِمَ، فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أُعْطَانِيهِ^(٦) وَهُوَ رَاكِعٌ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٧)، وَبِهِ قَالَ مُقَاتِلٌ^(٨).

(١) في (ت)، و(م): (فقالوا).

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ت)، و(ر): (يسألون).

(٤) من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٥) في (ت)، و(ر): (ما).

(٦) في (ج): (تصدق).

(٧) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٠) من طريق محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، به، بنحوه. ومحمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب، وجاء في عدة روايات صحيحة أخرى أنها نزلت في علي عليه السلام، أوردها السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠٥).

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٨٦).

وقال مجاهد: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدَّق وهو راعٍ^(١).

والثاني: أن عبادة بن الصَّامت لما تبرَّأ من حلفائه اليهود، نزلت هذه الآية في حقِّه، رواه العوفي عن ابن عباس^(٢).

والثالث: أنها نزلت في أبي بكر الصِّديق ؓ، قاله عكرمة^(٣).

والرَّابع: أنها نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم، قاله الحسن^(٤).
قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنهم فعلوا ذلك في ركوعهم، وهو تصدَّق عليّ ؓ بخاتمه في ركوعه.

والثاني: أن من شأنهم إيتاء الزَّكاة وفعل الرُّكوع. [٢٠٢/أ]

وفي^(٥) المراد بالرُّكوع ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه نفس الرُّكوع على ما روى أبو صالح عن ابن عباسٍ.

(١) رواه ابن جرير الطُّبري في تفسيره (٥٣١/٨) من طريق غالب بن عبيد الله، عن مجاهد. وغالب بن عبيد الله العقيلي الجزري ضعَّفه ابن معين والدارقطني. انظر: ميزان الاعتدال؛ للذهبي (٣٣١/٣).

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (٧٩/٤) من طريق سلمة بن رجاء، عن سلمة بن سابور قال: سمعت عطية العوفي يقول: قال ابن عباسٍ ؓ، فذكره بنحوه. وسلمة بن سابور ضعيف. انظر: ميزان الاعتدال؛ للذهبي (١٩٠/٢).

(٣) أورده أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (٣٠٠/٤).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) في (ت)، و(ر)، (والثاني في).

وقيل: إن الآية نزلت وهم في الرُّكُوع.

والثاني: أنه صلاة التطوُّع بالليل والنَّهار، وإنما أفرد الرُّكُوع بالذكر تشریفًا له، وهذا مروى عن ابن عباسٍ أيضًا.

والثالث: أنه الخضوع والخشوع.

وأشددوا^(١) [من المنسرح]:

لَا تُذِلَّ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرَكَ يَوْمًا وَالْدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ
ذكره الماوردي^(٢).

فأما ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾^(٣).

فقال الحسن: هم جند الله^(٤).

وقال أبو عبيدة: أنصار الله^(٥).

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم المهاجرون والأنصار، قاله ابن عباسٍ.

(١) البيت للأضبط بن قريع السَّعدي، وهو في الشعر والشعراء (١/ ٣٧١)، والبيان والبيان (٣/ ٢٢٣)، والكمال (٢/ ١٠١)، والحماسة الشجرية (١/ ٤٧٤)، وخزانة الأدب (١١/ ٤٥٠-٤٥٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (١/ ١١٤).

(٣) ليست في (ت).

(٤) انظر: تفسير الوسيط؛ للواحدى (٢/ ٢٠٢).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٦٩).

والثاني: الأنصار^(١)، ذكره أبو سليمان^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾.

سبب نزولها:

أن رفاعه بن زيد بن^(٣) التَّابُوت، وسويد بن الحارث كانا قد أظهرنا الإسلام، ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادُّونهما، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس^(٤).

فأما اتَّخَذَهُمُ الدِّينَ هُزُوءًا وَلَعِبًا: فهو إظهارهم الإسلام^(٥) وإخفاؤهم الكفر وتلاعبهم بالدين.

و«الذين أوتوا الكتاب»: اليهود والنصارى، و«الكفار»: عبدة الأوثان.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمة: ﴿وَالْكَفَّارَ﴾^(٦) بالنَّصْبِ على معنى: لَا تَتَّخِذُوا الْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ.

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): (الماوردي).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (٥٣٣/٨) من طريق سعيد بن جُبَيْر، أو عكرمة، به، بنحوه.

(٥) في (ت)، و(ر): (إظهار المسلمين)!

(٦) من قوله: (عبدة الأوثان. قرأ ابن كثير)... إلى هنا، ليس في (م).

وقرأ أبو عمرو والكسائي: «وَالْكُفَّارِ» خفضاً، لقرب الكلام من العامل الجار، وأمال أبو عمرو الألف^(١).

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ أن تولّوهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ

﴿[المائدة: ٥٨]﴾

قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن منادي رسول الله ﷺ كان إذا نادى إلى الصلاة، وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلّوا لا صلّوا، على سبيل الاستهزاء والضحك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب^(٢).

والثاني: أن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا رسول الله ﷺ والمسلمين^(٣) على ذلك، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به^(٤) فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدّعي النبوة، فقد^(٥) خالفت في هذا^(٦) الأذان

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٤٥)، والحجة (١/ ١٣٢)، والتيسير (١/ ١٠٠)، والمبسوط (١/ ١٨٦).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠٠) من قول محمد بن السائب الكلبي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٢٧٥)، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، بنحوه.

(٣) في (ت)، و(ر): (والمسلمون)!.

(٤) في (ج): (لم يُسمع مثله).

(٥) في (ت)، و(ر): (فقال).

(٦) في (ر): (هذه).

الأنبياء قبلك، فما أقبح هذا الصوت، وأسمع^(١) هذا الأمر، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين^(٢).

وقال السُّدِّي: كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حُرِّقَ^(٣) الكاذبُ، فدخلت^(٤) خادمه ذات ليلة بنارٍ وهو نائم، وأهله نيام، فسقطت شِرازةً فأحرقت البيت، فأحترق هو وأهله^(٥).

و«المنادة»: هي الأذان. واتخاذهم إياها هزواً: تضاحكهم وتغامزهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما لهم في إجابة الصلاة، وما عليهم في استهزائهم بها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنۢ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنۢزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنۢزِلَ مِنۢ قَبْلُ وَأَنۢ أَكْثَرُكُمْ فَسِيقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

(١) في (ر): (وما أسمع).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٠١).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) كذا بالأصل وجميع النسخ، وتفسير الطبري وابن أبي حاتم.

(٥) في (ج): (وأحرقته وأهله).

(٦) رواه ابن جرير الطبري (٨/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم (٦٥٥٧) في تفسيرهما من طريق أحمد بن الفضل، عن أسباط بن نصر، به، بنحوه.

قوله: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا﴾.

سبب نزولها:

أن نفرًا من اليهود أتوا رسول الله ﷺ، فسألوه عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنَ الرُّسُلِ، فذكر جميع^(١) الأنبياء، فلما ذكر عيسى، جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم دينًا شرًّا من دينكم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله ابن عباس^(٢).

وقرأ الحسن، والأعمش: «تَتَّقُمُونَ» بفتح القاف^(٣).

قال الرَّجَّاج: يقال: نَقَمْتُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْقَمُ، وَنَقِمْتُ عَلَيْهِ أَنْقَمُ، وَالْأَوَّلُ أَجُود. ومعنى «نقمت»: بالغت في كراهة الشيء، والمعنى: هل تكرهون مِنَّا إِلَّا إِيْمَانَنَا، وَفَسَقَكُمْ، لِأَنَّكُمْ عَلِمْتُمْ أَنَّنا عَلَى حَقٍّ، وَأَنَّكُمْ فَسَقْتُمْ^(٤).
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّعًا عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٦٠) ﴿

[المائدة: ٦٠].

(١) في (ج): (سائر).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٥٩٦/٢)، وابن أبي حاتم (٦٥٥٩) في تفسيرهما من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جُبَيْر، أو عكرمة، به، بنحوه. وعند ابن أبي حاتم عن محمد بن أبي محمد، مرسلًا.

(٣) وهي شاذة كما في مختصر شواذ القرآن؛ لابن خالويه (٣٩)، وانظر: الكامل في القراءات؛ لأبي القاسم الهنلي.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨٦/٢).

قوله: ﴿هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ﴾.

قال المفسرون: سبب نزولها:

قول اليهود للمؤمنين: والله ما علمنا أهل دينٍ أقلَّ حظًّا منكم في الدنيا والآخرة، ولا دينًا شرًّا من دينكم.

وفي قوله: ﴿بَشِّرِ مِّنْ ذَلِكَ﴾ قولان:

أحدهما: بشر من المؤمنين، قاله ابن عباس.

والثاني: بشر مما نقمتم من إيماننا، قاله الزجاج^(١).

فأما «المثوبة» فهي الثواب.

قال الزجاج: وموضع «مَن» في قوله تعالى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾^(٢) إن شئت كان رفعا، وإن شئت كان خفضا، فمن خفض جعله بدلا من «شر»، فيكون المعنى: أنبئكم بمن لعنه الله؟ ومن رفع فبإضمار «هو» كأن قائلًا قال: مَنْ ذلك؟ فقل: هو من لعنه الله^(٣).

قال أبو صالح عن ابن عباس: من لعنه الله بالجزية، وغضب عليه بعبادة العجل، فهم شرُّ مثوبة عند الله^(٤).

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٨٧).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٧).

(٤) لم نهند إليه.

وروي عن ابن عباس أن المسخين من أصحاب السَّبْت: مسخ شُبَّانهم^(١) قردة، ومشايخهم خنازير^(٢).

وقال غيره: «القردة»: أصحاب السَّبْت، و«الخنازير»: كفار مائدة عيسى.

وكان ابن قتيبة يقول: أنا أظن أن هذه «القردة» و«الخنازير»^(٣) هي المسوخ^(٤) بأعيانها توالدت. قال: واستدللت بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ فدخل الألف واللام تدلُّ^(٥) على المعرفة، وعلى أنها القرد^(٦) التي تُعاين، ولو كان أراد شيئاً انقرض ومضى، لقال: وجعل منهم قردة وخنازير، إلا أن يصحَّ حديث أم حبيبة في «المسوخ»، فيكون كما قال عليه السلام^(٧).

قال الشيخ رحمه الله^(٨): وحديث أم حبيبة في «الصَّحِيح» انفرد بإخراجه مسلم، وهو أن رجلاً سأل النَّبِيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، القردة والخنازير هي ممَّا مُسِخ؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ^(٩) لَمْ يَمْسَخْ قَوْمًا، أَوْ يَهْلِكْ قَوْمًا، [١/٢٠٣]

(١) في (ت)، و(ر): (شبابهم)، وفي (ج): (شابههم).

(٢) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٨٥ / ٤)، والواحدي في الوسيط (٢٠٤ / ٢).

(٣) من قوله: (كفار مائدة عيسى)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) في (م): (الشيوخ)!

(٥) في (ت)، و(ج)، و(ر): (يدلُّ).

(٦) في (ج)، و(م): (القردة).

(٧) انظر: تأويل مختلف الحديث (٣٧٣ / ١).

(٨) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (قلت أنا).

(٩) قوله: (إن الله)، ليس في (ج)، و(م)، و(ر).

فَيَجْعَلْ لَهُمْ نَسْلاً، وَلَا عَاقِبَةً، وَإِنَّ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ قَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ»^(١).
وقد ذكرنا في «سورة البقرة» عن ابن عباس زيادة بيان [ذلك]^(٢)،
فلا يلتفت إلى ظن ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾.

فيها عشرون قراءة:

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع، والكسائي:
«وَعَبَدَ» بفتح العين والباء والدال، ونصب تاء «الطَّاغُوتِ»^(٣).

وفيها وجهان:

أحدهما: أن المعنى: وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطَّاغُوتِ.

والثاني: أن المعنى: من لعنه الله وعبد الطَّاغُوتِ.

وقرأ حمزة: «وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ» بفتح العين والدال، وضم الباء،
وخفض تاء الطَّاغُوتِ^(٤).

قال ثعلب: ليس لها وجه إلا أن يجمع فَعَلَ على فَعُلَ^(٥).

(١) رواه الحميدي في مسنده (١٢٥)، وأحمد (٣٩٠ / ١ - ٤٣٣ - ٤٤٥)، ومسلم (٢٦٦٣)،
والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٦٤) واللفظ لأحمد.

(٢) من (ج).

(٣) انظر: السبعة (٢٤٦ / ١)، والحجة (١٣٢ / ١)، والمبسوط (١٨٦ / ١).

(٤) انظر: المحتسب؛ لابن جني (٢١٤ / ١)، وحجة القراءات (٢٣١ / ١).

(٥) في (ر): (قال ثعلب: ليس لها وجه، لا يجمع فعل).

وقال الزَّجَّاج: وجهها أن الاسم بُني على «فَعُل» كما تقول: عَلَّمَ^(١) زيدٌ، وَرَجُلٌ حَدَرٌ، أي: مبالغ في الحَذَرِ. فالمعنى: جعل منهم خَدَمَةَ الطَّاغُوتِ، ومن بلغ في طاعة الطَّاغُوتِ الغاية^(٢).

وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب: «وَعَبَدُوا»، بفتح العين والباء ورفع الدَّال على الجمع، «الطَّاغُوتِ» بالنَّصب^(٣).

وقرأ ابن عَبَّاسٍ، وابن أبي عبلة: «وَعَبَدَ» بفتح العين والباء والدَّال، إلا أنهما كسرا تاء «الطَّاغُوتِ»^(٤).

قال القرَّاء: أرادوا «عبدة» فحذفوا الهاء^(٥).

وقرأ أنس بن مالك: «وَعَبِيدَ» بفتح العين والدَّال^(٦) وبياء بعد الباء وخفض^(٧) تاء «الطَّاغُوتِ».

وقرأ أيوب، والأعمش: «وَعُبَّدَ»، برفع العين ونصب الباء والدَّال مع تشديد الباء، وكسر تاء «الطَّاغُوتِ»^(٨).

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨٨/٢).

(٣) انظر: مختصر في شواذ القرآن؛ لابن خالويه (ص: ٤٠)، والمحاسب (٢١٥/١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢١٢/٢).

(٥) انظر: معاني القرآن (٣١٤/١).

(٦) من قوله: (إلا أنها كسرا تاء)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) في (ج): (وخفضوا).

(٨) انظر: المحاسب؛ لابن جني (٢١٤/١)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢١٢/٢).

وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وابن^(١) السَّمِيفَع: «وعابد» بـالف،
مكسورة الباء مفتوحة الدَّال، مع كسر تاء «الطَّاغُوتِ».

وقرأ أبو العالية، ويحيى بن وثَّاب: «وَعُبْدَ» برفع العين والباء وفتح
الدَّال، مع كسر تاء الطَّاغُوتِ.

قال الزَّجَّاج: هو جمع^(٢) عبيد، وُعُبْد، مثل رغيف^(٣)، ورُغِف^(٤)،
وسرير، وسُرُر، فالمعنى: وجعل منهم عُبْدَ الطَّاغُوتِ^(٥).

وقرأ أبو عمران الجوني، ومورِّق العجلي، والنَّخعي: «وَعُبْدَ» برفع
العين، وكسر الباء مخففة^(٦)، وفتح الدَّال مع ضم تاء «الطَّاغُوتِ».

وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: «وَعَبَّدَ» بفتح العين
والدَّال وتشديد الباء، مع نصب تاء «الطَّاغُوتِ».

وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو نهيك: «وَعَبَّدَ» بفتح العين والدَّال،
وسكون الباء خفيفة مع كسر تاء «الطَّاغُوتِ».

(١) ليست في (م).

(٢) في الأصل، و(ت)، و(ج): (جميع)، والمثبت من معاني القرآن وإعرابه.

(٣) في (ر): (ورغيف) بدلاً من قوله: (مثل رغيف).

(٤) ليست في (ر).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨٨/٢).

(٦) ليست في (ر).

وقرأ قتادة، وهذيل بن شرحبيل: «وَعَبْدَةٌ» بفتح العين والباء والدَّالَّ^(١) وتاء^(٢) في اللفظ منصوبة بعد الدَّالَّ، «الطَّوَاغِيتُ»^(٣) بـالف وواو وياء بعد الغين على الجمع.

وقرأ الضَّحَّاك، وعمرو بن دينار: «وَعُبْدٌ» برفع العين وفتح الباء والدَّالَّ مع تخفيف الباء، وكسر تاء «الطَّاغُوتِ». [٢٠٣/ب]

وقرأ سعيد بن جبَّير، والشَّعْبِي: «وَعَبْدَةٌ» مثل حمزة، إلا أنهما رفعاً تاء «الطَّاغُوتُ».

وقرأ يحيى بن يعمر، والجحدري: «وَعَبْدٌ» بفتح العين ورفع الباء والدَّالَّ مع كسر تاء «الطَّاغُوتِ».

وقرأ أبو الأشهب العطاردي: «وَعُبْدٌ» برفع العين وتسكين الباء ونصب الدَّالَّ، مع كسر تاء «الطَّاغُوتِ».

وقرأ أبو السَّمال: «وَعَبْدَةٌ» بفتح العين والباء والدَّالَّ وتاء في اللفظ بعد الدَّالَّ^(٤) مرفوعة مع كسر تاء «الطَّاغُوتِ»^(٥).

وقرأ معاذ القاري: «وعابدٌ» مثل قراءة أبي هريرة إلا أنه ضمَّ الدَّالَّ.

(١) ليست في (ت).

(٢) في (م): (وبهاء)، وفي (ر): (وتباء).

(٣) في (ج): (طواغيت).

(٤) قوله: (وتاء في اللفظ بعد الدَّالَّ)، ليس في (ر).

(٥) انظر: الكامل في القراءات العشر والزائدة عليها (١/ ٥٣٥).

وقرأ أبو حيوة: «وَعَبَادَ» بتشديد الباء وبألف بعدها مع رفع العين، وفتح الدَّال، [«الطَّاغُوتِ» خفض] ^(١).

وقرأ ابن ^(٢) حَذَلَمَ، وعمر بن فائد ^(٣): «وَعَبَادُ» ^(٤) مثل أبي حيوة إلا أن العين [مفتوحة] ^(٥)، والدَّال مضمومة ^(٦).

وقد سبق ذكر «الطَّاغُوتِ» في «سورة البقرة».

وفي المراد به هاهنا قولان:

أحدهما: الأصنام.

والثاني: الشَّيْطَان ^(٧).

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾.

أي: هؤلاء الذين وصفناهم شرًّا مكانًا من المؤمنين، ولا شر في مكان المؤمنين، ولكن الكلام مبني على كلام الخصم، حين ^(٨) قالوا للمؤمنين: لا نعرف شرًّا منكم، ف قيل: من كان ^(٩) بهذه الصِّفة، فهو شرٌّ منهم.

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٢) في (ج): (أبو).

(٣) في (ت)، و(ج)، و(ر): (قايد).

(٤) ليست في (م).

(٥) زيادة من (ج)، و(م)، و(ر).

(٦) قوله: (والدَّال مضمومة)، ليس في (م).

(٧) في (ج): (الشَّيَاطِين).

(٨) في (ج)، و(م): (حيث).

(٩) ليست في (ج).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (١١) ﴿[المائدة: ٦١].

قوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ (١١).

قال قتادة: هؤلاء ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ، فيخبرونه أنهم مؤمنون بما جاء به (٢)، وهم متمسكون بضلالتهم (٣).

قوله: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ أي: دخلوا كافرين، وخرجوا كافرين، فالكفر معهم في حالتهم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر والنفاق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٢) ﴿[المائدة: ٦٢].

قوله: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ (٤) يعني: اليهود ﴿يُسْرِعُونَ﴾ أي: يبادرون ﴿فِي الْإِثْمِ﴾.

وفيه قولان:

أحدهما: المعاصي، قاله ابن عباس.

والثاني: الكفر، قاله السُّدِّي.

(١) قوله: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾، ليس في (ج).

(٢) قوله: ﴿بِمَا جَاءَ بِهِ﴾، ليس في (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٥٤٧/٨)، وابن أبي حاتم (٦٥٦٤)، في تفسيرهما من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠١/٣) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾، ليس في (ج).

فأما «العدوان» فهو الظُّلم.

وفي «السُّحت» ثلاثة أقوال:

أحدها: الرِّشوة في الحكم.

والثاني: الرِّشوة في ^(١) الدين.

والثالث: الربا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا يَنْهَهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمَا أَكَلِمَةُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٣) [المائدة: ٦٣].

قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ ^(٢).

﴿لَوْلَا﴾ بمعنى: «هَلَا».

و﴿الرَّبَّيُّونَ﴾ مذكورون في «آل عمران» ^(٣).

﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ قد تقدّم ذكرهم في هذه السُّورة.

وهذه الآية من أشدّ الآيات على تاركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الله تعالى جمع بين فاعل المنكر وتارك الإنكار في الذَّم.

قال ابن عباس: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدَّ تَوْبِيخًا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ ^(٤).

(١) قوله: (الحكم. والثاني: الرشوة في)، ليس في (ر).

(٢) من (ج).

(٣) قوله: (في آل عمران)، ليس في (ج).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٥٥١ / ٨) من طريق خالد بن دينار، به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١١٢ / ٣) لأبي الشيخ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدَوْا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في فنحاص اليهودي وأصحابه، قالوا: يد الله مغلولة^(١).

وقال مقاتل: فنحاص وابن صلوبا، وعازر بن أبي عازر^(٢). [٢٠٤/أ]

وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرزق، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد ﷺ وكفروا به، كف عنهم بعض ما كان بسط لهم، فقالوا: يد الله مغلولة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة.

والثاني: أن الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمة، فقالوا: إن الله بخيل، ويده مغلولة فهو يستقرضنا، قاله قتادة.

والثالث: أن النصارى لما أعانوا بختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس، قالت^(٣) اليهود: لو كان الله صحيحاً لمنعنا منه، فيده مغلولة، ذكره قتادة أيضاً.

(١) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧٨/٦) عن عكرمة، عن ابن عباس، بلفظ مطول.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٩٠).

(٣) في (ت): (قالوا).

و«المغلولة»: المسكة المنقبضة.

وبهاذا عَنُوا أنها ممسكة، فيه قولان:

أحدهما: عن العطاء. قاله ابن عباس، وقادة، والفرّاء^(١)، وابن قُتَيْبَة^(٢)، والزَّجَّاج^(٣).

والثاني: ممسكة من عذابنا، فلا يعذبنا إلا تحلة القسم بقدر عبادتنا العجل، قاله الحسن.

وفي قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: غُلَّتْ في جهنم، قاله الحسن.

والثاني: أُمسكت^(٤) عن الخير، قاله مقاتل^(٥).

والثالث: جُعِلُوا بُخْلَاء، فهم أبخل قوم، قاله الزَّجَّاج^(٦).

قال ابن الأنباري: وهذا خبر أخبر الله تعالى به الخلق أن هذا قد نزل بهم، وموضعه نصب على معنى^(٧) الحال. تقديره: قالت اليهود هذا في حال حكم الله بغلّ أيديهم، ولعنته إياهم، ويجوز أن يكون المعنى:

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٨٩).

(٤) في (ج): (مُسكت).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٠).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٠).

(٧) ليست في (ر).

فَعَلَّتْ أَيْدِيهِمْ، ويجوز أن يكون دعاء، معناه: تعليم الله لنا كيف ندعو عليهم، كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾^(١) [الفتح: ٢٧].

وفي قوله: ﴿وَلَعَنُوا مَا قَالُوا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أبعدها من رحمة الله تعالى.

والثاني: عذبوا في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار.

والثالث: مُسخوا قردة وخنازير.

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ لِلْعَنَةِ [لَهُ]»^(٢) أَهْلًا، رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَى الْيَهُودِ بِلَعْنَةِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ»^(٣).

قال الرَّجَّاجُ: وقد ذهب قومٌ إلى أن معنى ﴿يَدُ اللَّهِ﴾^(٤): نعمته، وهذا خطأ^(٥) ينقضه ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فيكون المعنى على قولهم: نعمته، ونعم الله أكبر^(٦) من أن تُحصى^(٧).

(١) في (م): (مؤمنين).

(٢) من (م).

(٣) رواه الواحدى في الوسيط (٢/ ٢٠٦) من طريق نوح بن أبي مريم، عن الكلبي، عن أبي صالح، به، بنحوه، ونوح بن أبي مريم أبو عصمة المروزي، متروك الحديث. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٨٢٧) من طريق عبد الوهاب بن عطاء قال: سمعت الكلبي فذكره، من قوله. والكلبي متروك.

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ت)، و(ر): (خطاب).

(٦) في (ج)، و(ر): (أكثر).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨٩ / ٢).

والمراد بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أنه جواد ينفق كيف يشاء، وإلى نحو هذا ذهب ابن الأنباري.

قال ابن عباس: إن شاء وسَّع^(١) في الرِّزْق، وإن شاء قَتَر.

قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

قال الزَّجَّاج: كلما نزل عليك شيء كفروا به، فيزيد كفرهم^(٢).

و«الطُّغْيَان» هاهنا: الغلوُّ في الكفر. [٢٠٤/ب]

وقال مقاتل: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾ بني النضير ﴿مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ^(٣)﴾ من أمر الرِّجْم والدماء ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٤).

قوله: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾.

فيمن عني بهذا قولان:

أحدهما: اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل.

فإن قيل: أين ذكر النصارى؟

فالجواب: أنه قد تقدَّم في قوله: ﴿لَا نَتَّخِذُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١].

والثاني: أنهم اليهود، قاله قتادة.

(١) في (ج): (أوسع).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٠).

(٣) قوله: (من ربك)، ليس في (ر).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٠).

قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾.

ذِكْرُ إيقاد النَّارِ مِثْلُ ضَرْبٍ لاجتهادهم في المحاربة.

وقيل: إن^(١) الأصل في استعارة اسم النار للحرب أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أخرى أوقدت النار على رؤوس الجبال، والمواقع المرتفعة، ليعلم استعدادهم للحرب، فيتأهب من يريد إعانتهم. وقيل: كانوا إذا تحالفوا على الجد في حربهم، أوقدوا نارا، وتحالفوا.

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: كلما جمعوا لحرب النبي ﷺ فرَّقهم الله.

والثاني: كلما مكروا مكرًا ردَّه الله تعالى.

قوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: بالمعاصي، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: بمحو^(٢) ذكر النبي ﷺ من كتبهم، ودفع الإسلام، قاله الزَّجَّاج^(٣).

والثالث: بالكفر.

والرَّابِع: بالظُّلم، ذكرهما الماوردي.

(١) في (ت)، و(ر): (بأن).

(٢) في (ت)، و(ر): (بمجرد).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٩١/٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذَلَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٦٥) [المائدة: ٦٥].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿ءَامَنُوا﴾ بالله وبرسوله^(١) ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الشُّرْكَ ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ التي سلفت.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْنَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٦) [المائدة: ٦٦].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

قال ابن عباس: عملوا بها فيها^(٢).

وفيما أنزل إليهم من ربهم قولان:

أحدهما: كتب أنبياء بني إسرائيل.

والثاني: القرآن، لأنهم لما خاطبوا به، كان نازلاً إليهم.

قوله: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لأكلوا بقطر السماء، ونبات الأرض، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

(١) في (ج)، و(م): (ورسوله).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/٢٠٨).

والثاني: أن المعنى: لو سَّع عليهم، كما يُقال: فلان في خير من قرنه إلى قدمه، ذكره الفراء^(١)، والزجاج^(٢).

وقد أعلم الله تعالى بهذا أن التقوى سبب في توسعة الرزق كما قال^(٣): ﴿لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

قوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ يعني: من أهل الكتاب، وهم الذين أسلموا منهم، قاله ابن عباس، ومجاهد.

وقال القرطبي: هم الذين قالوا: المسيح عبد الله ورسوله.

و«الاقتصاد»: الاعتدال في القول والعمل من غير غلو^(٤) ولا تقصير.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

[٢٠٥/أ]

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾.

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت على أسباب:

روى الحسن أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِي ضِيقَتْ بِهَا ذُرْعَا وَعَرَفْتُ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُكَذِّبُنِي». وكان رسول الله ﷺ يَهَابُ

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩١).

(٣) في (ت): (يقال).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ر): (علو).

قُرَيْشًا وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(١).

وقال مجاهد: لما نزلت: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: «يَا رَبِّ، كَيْفَ أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا وَخَدِي يَجْتَمِعُ عَلَيَّ النَّاسُ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

وقال مقاتل: لما^(٣) دعا اليهود، وأكثر عليهم، جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحُرِّضَ بِهِ هَذِهِ الْآيَةُ^(٤).

وقال ابن عباس: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحْرَسُ فِيرْسَلُ مَعَهُ أَبُو طَالِبٍ كُلَّ يَوْمٍ رَجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَحْرُسُونَهُ؛ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ، فَقَالَ: «يَا^(٥) عَمَّاهُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَصَمَنِي مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ»^(٦).

وقال أبو هريرة: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فِيهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخَذَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُنِي مِنْكَ^(٧)؟

(١) رواه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (١١٦/٣) مرسلًا، وأورده الواحدي في أسباب النزول (٢٠٢/١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٥٦٨/٨)، وابن أبي حاتم (٦٦١٣) في تفسيرهما.

(٣) في (ج): (لما نزلت).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٩٢/١).

(٥) ليست في (ج).

(٦) رواه الواحدي في أسباب النزول (٢٠٩/٢) من طريق محمد بن العلاء، عن عبد الحميد الحمايني، عن النضر بن عبد الرحمن أبي عمر الخزاز، عن عكرمة، به، بنحوه. والنضر بن عبد الرحمن الخزاز، ضعيف الحديث. انظر: الميزان، للذهبي (٢٦٠/٤).

(٧) هكذا في الأصل، وجميع النسخ: (من يمنعني منك؟).

فقال: «الله»، فنزل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

وقالت عائشة: سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقلت: ما شأنك؟ قال: «أَلَا رَجُلٌ صَالِحٌ يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» فبينما نحن في ذلك إذ سمعت صوت السلاح، فقال: «مَنْ هَذَا؟» فقال: سعد وحذيفة جئنا نحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطة، فنزلت: ﴿وَاللَّهُ يَعَصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبة آدم، وقال: «انصَرِفُوا أَيُّهَا النَّاسُ، فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى»^(٢).

قال الزَّجَّاج: قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ معناه: بلغ جميع ما أنزل إليك، ولا تراقبَنَّ أحداً، ولا تتركَنَّ شيئاً منه مخافة أن ينالك مكروهه، فإن تركت منه شيئاً، فما بلغت^(٣).

(١) رواه مجاهد في تفسيره (٣١٣/١)، وابن أبي شيبة كما في فتح الباري (٩٨/٦)، وابن حبان كما في الموارد (١٧٣٩)، وابن مردويه في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (١٥٥/٣) من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، به، بنحوه، وإسناده حسن. ويشهد له ما في صحيح البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣) من حديث جابر رضي الله عنه، بلفظ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي».

(٢) بهذا السياق أورده الواحدي في أسباب النزول (٢٠٢/١)، ورواه أحمد (٤٢/١٨)، ومسلم في صحيحه (٢٤١٠)، والترمذي (٣٧٥٦)، والنسائي في الكبرى (٨١٦٠) إلى قول عائشة رضي الله عنها: فَأَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَةً. وليس فيه ذكر حذيفة رضي الله عنه، وله طرق وألفاظ أخرى عن عائشة رضي الله عنها، انظر: الدر المنثور (١١٨/٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٩٢/٢).

قال ابن قُتَيْبَةَ: يدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُّكَ﴾^(١).

وقال ابن عَبَّاسٍ: إن كُتِمَتْ آيَةٌ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِي^(٢).

وقال غيره: المعنى: بَلِّغْ جَمِيعَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ جَهْرًا، فَإِنْ أَخْفَيْتَ شَيْئًا مِنْهُ لَخَوْفِ أَذَى يَلْحَقُكَ، فَكَأَنَّكَ مَا بَلَّغْتَ شَيْئًا.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكِسَائِيُّ: «رِسَالَتُهُ» عَلَى التَّوْحِيدِ.

وقرأ نافع «رِسَالَاتِهِ» عَلَى الْجَمْعِ^(٣).

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُّكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

قال ابن قُتَيْبَةَ^(٤): أَيِ يَمْنَعُكَ مِنْهُمْ.

و«عَصَمَهُ اللَّهُ»: مَنَعَهُ الْعَبْدَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَيُقَالُ: طَعَامٌ لَا يَعِصُّمُ، أَيِ: لَا يَمْنَعُ مِنَ الْجُوعِ^(٥).

فإن قيل: فأين ضمان العصمة وقد شُجَّ جبينه، وكسرت رباعيته،

[٢٠٥/ب] وَبُلِّغَ فِي أَذَاهُ؟

(١) انظر: المسائل والأجوبة (١/٢٢٢).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبْرِيُّ (٨/٥٦٨)، وابن أبي حاتم (٦٦١٢) في تفسيرهما، من طريق علي ابن أبي طلحة، عن ابن عَبَّاسٍ.

(٣) انظر: السَّبْعَةُ (١/٢٤٦)، والحَجَّةُ (١/١٣٣)، والمبسوط (١/١٨٦).

قال أبو علي: فالحجة لمن وُحِّدَ: أَنَّهُ جَعَلَ الْخُطَابَ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَالْحَجَّةُ لِمَنْ جَمَعَ: أَنَّهُ جَعَلَ كُلَّ وَحْيٍ رِسَالَةً. اهـ.

(٤) قوله: (قال ابن قُتَيْبَةَ)، ليس في (ج).

(٥) انظر: غريب القرآن؛ لابن قُتَيْبَةَ (١/١٤٥).

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسر وتلفِ الجملة، فأما عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة^(١).

والثاني: أن هذه الآية نزلت بعد ما جرى عليه ذلك، لأن «المائدة» من^(٢) أو آخر ما نزل^(٣).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لا يهديهم إلى الجنة.

والثاني: لا يعينهم على بلوغ غرضهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨].

قوله: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾.

سبب نزولها:

أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها حق؟ قال: «بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها، فأنا

(١) ليست في (ر).

(٢) في (ج): (في).

(٣) في (ر): (من أو آخر مائدة ما نزل)!.

بَرِيءٌ مِنْ أَخْدَانِكُمْ». فقالوا: نحن على الهدى، ونأخذ بما في أيدينا، ولا نؤمن بك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس^(١).

فأما ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ فالمراد بهم اليهود والنصارى.

وقوله: ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لستم على شيء من الدين الحق^(٣) حتى تقيموا^(٤) التوراة والإنجيل، وإقامتهما: العمل بما فيهما، ومن ذلك الإيمان بمحمد ﷺ.

وفي الذي أنزل إليهم من ربهم قولان قد سبقا، وكذلك باقي الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيِّئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ أَمْرِ يَوْمٍ وَآلِ يَوْمٍ آخِرٍ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّيِّئُونَ﴾.

قد ذكرنا تفسيرها في «البقرة»، وكذلك اختلفوا في إحكامها ونسخها كما بينا هناك.

فأما رفع «الصَّابِئِينَ» فذكر الزَّجَّاج عن البصريين، منهم الخليل، وسيبويه أن قوله: ﴿وَالصَّيِّئُونَ﴾ محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٧٢ / ٨) من طريق عكرمة، أو سعيد بن جبيرة، به، وفيه قصة.

(٢) في (ت)، و(ج)، و(ر): (أهل).

(٣) في (ج): (والحق).

(٤) في (ت)، و(ر): (يقيموا).

والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.
والصَّابِثُونَ والنَّصَارَى كذلك أيضًا^(١).
وأنشدوا^(٢) [من الوافر]:

وَالْأَفَاعِلُ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ
بُغَاةٍ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقِ

المعنى: فاعلموا^(٣) أنا بُغَاةٌ ما بقينا في شقاق، وأنتم أيضًا كذلك.
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا
كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٠) ﴿

[المائدة: ٧٠].

قوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾

قال مقاتل: أخذ ميثاقهم في التَّوراة بأن يعملوا بما فيها^(٤).

قال ابن عباس: كان فيمن كُذِّبُوا: محمد وعيسى، وفيمن قُتِلُوا:
زكريا ويحيى^(٥) صلوات الله عليهم.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٢).

(٢) البت لبشر بن أبي خازم في ديوانه (ص: ١٦٥)، والإنصاف (١/ ١٩٠)، وتخليص
السواهد (ص: ٣٧٣)، وخزانة الأدب (١٠/ ٢٩٣-٢٩٧)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ١٤).

(٣) م: قوله: (أنا وأنتم بغاة) ... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٦٢).

(٥) انظر: المصدر السابق.

قال الزَّجَّاج: فأما التَّكْذِيب، فاليهود والنَّصارى يشتركون فيه. وأما القتل فيختصُّ^(١) اليهود^(٢) (٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٧١) [المائدة: ٧١].

قوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿تَكُونَ﴾ بالنصب.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «تَكُونُ» بالرفع.

ولم يختلفوا في رفع «فِتْنَةٌ»^(٤).

قال^(٥) مَكِّي بن أبي طالب: من رفع جعل «أن» مخففة من الثقيلة، فأضمر^(٦) معها «الهاء»، وجعل «حسبوا» بمعنى: أيقنوا، لأن «أن» للتأكيد، والتأكيد لا يجوز إلا مع اليقين. والتقدير: أنه لا يكون فِتْنَةٌ. ومن نصب جعل «أن» هي النَّاصِبَةُ للفعل، وجعل «حسبوا» بمعنى: ظنوا. ولو كان قبل «أن» فعلٌ لا يصلح للشك، لم يجوز أن تكون إلا مخففة من الثقيلة، ولم يجوز نصب الفعل بها، كقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ [طه: ٨٩]، و﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠]^(٧).

(١) في (ت)، و(ر): (فتختص).

(٢) في (م): (باليهود).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٤).

(٤) انظر: السبعة (١/ ٢٤٧)، والحجة (٣/ ٢٤٦)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

(٦) في (ت)، و(م)، و(ر): (وأضمر).

(٧) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٣٣٣).

وقال أبو علي: الأفعال ثلاثة:

فعلٌ يدلُّ على ثبات الشيء واستقراره، نحو العلم واليقين.

وفعلٌ يدلُّ على خلاف الثبات والاستقرار.

وفعلٌ يجذب إلى هذا مرة، وإلى هذا أخرى.

فما كان معناه العلم، وقعت بعده «أن» الثقيلة، لأن معناها ثبوت

الشيء واستقراره، كقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ اللَّهَ عِلْمًا﴾ [العلق: ١٤].

وما كان على غير وجه الثبات والاستقرار نحو: أطمع وأخاف وأرجو،

وقعت بعده «أن» الخفيفة، كقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾^(١) [البقرة: ٢٢٩]، ﴿تَخَافُونَ أَنَّ يَخْطِفَكُمْ النَّاسُ﴾^(٢) [الأنفال: ٢٦]، ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠] ﴿أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ [الشعراء: ٨٢].

وما كان متردداً بين الحالين مثل: حسبت وظننت، فإنه يجعل تارة

بمنزلة العلم، وتارة بمنزلة^(٣) أرجو وأطمع، وكلتا القراءتين في ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ قد جاء بها التنزيل.

(١) قوله: (حدود الله)، ليس في (م)، و(ر).

(٢) من (ج).

(٣) ليست في (ر).

فمثل مذهب من نصب: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَتَغَلَّهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُقُونَا﴾^(١) [العنكبوت: ٤]، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ [العنكبوت: ٢].

ومثل مذهب مَنْ رفع: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمُ﴾ [المؤمنون: ٥٥]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾^(٢) [الزخرف: ٨٠]^(٣).

قال ابن عباس: ظنُّوا أن الله لا يعذبهم، ولا يبتليهم بقتلهم^(٤) الأنبياء، وتكذيبهم الرُّسل^(٥).

قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾.

قال الزَّجَّاج: هذا^(٦) مثل تأويله: أنهم لم يعملوا بما سمعوا ورأوا من الآيات، فصاروا كالعمي الصَّمِّ^(٧)^(٨).

قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

(١) في (ر) تقدّمت هذه الآية على التي قبلها.

(٢) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٣) انظر: الحجّة (٣/ ٢٤٦-٢٤٩).

(٤) سقطت من (ت)، و(ر).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢١١).

(٦) ليست في (ت)، و(ر).

(٧) في (ج): (والصَّم).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٥).

فيه قولان:

أحدهما: رفع عنهم البلاء، قاله مقاتل^(١).

وقال غيره: هو^(٢) ظفرهم بالأعداء، وذلك مذكور في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٦].

والثاني: أن معنى «تاب عليهم»: أرسل إليهم محمداً ﷺ يعلمهم أن الله قد تاب عليهم إن آمنوا وصدقوا، قاله^(٣) الزجاج^(٤).

وفي قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ قولان:

أحدهما: لم يتوبوا بعد رفع البلاء، قاله مقاتل^(٥).

والثاني: لم يؤمنوا بعد بعثة محمد ﷺ، قاله الزجاج^(٦).

قوله: ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ أي: عمي وصم كثير منهم، كما تقول: جاءني قومك أكثرهم^(٧).

قال ابن الأنباري: هذه الآية^(٨) نزلت في قوم كانوا على الكفر قبل

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ت)، و(ر): (قال).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٥).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٤).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٥).

(٧) في (ت)، و(ر): (أكثر منهم!).

(٨) ليست في (ج).

أن يبعث رسول الله ﷺ، فلما بعث كذبوه بغيا وحسداً، وقدروا أن [هذا الفعل]^(١) لا يكون موبقاً لهم، وجانياً عليهم، فقال الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: ظنوا ألا يقع بهم^(٢) فتنة في الإصرار على الكفر، فعموا وصموا بمجانبة الحق. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عرّضهم للتوبة بأن [٢٠٦/ب] أرسل محمداً ﷺ وإن لم يتوبوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ بعد بيان الحق بمحمد، ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ فخصّ بعضهم بالفعل الأخير، لأنهم لم يجتمعوا كلهم على خلاف رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، قالوا ذلك^(٣).

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ أي: وقد كان المسيح قال لهم وهو بين أظهرهم: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾.

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) ليست في (ج).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٦٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

قال مجاهد: هم النصارى^(١).

قال وهب بن منبه: لما وُلد عيسى لم يبق صنمٌ إلا خَرَّ لوجهه، فاجتمعت الشياطين إلى إبليس، فأخبروه، فذهب فطاف أقطار الأرض، ثم رجع، فقال: هذا المولود الذي^(٢) وُلد من غير ذكر، أردت أن أنظر إليه، فوجدت الملائكة [و]^(٣) قد حَفَّتْ بأُمِّه، فليَتَخَلَّفْ عندي اثنان من مردتكم، فلما أصبح خرج بهما في صورة الرجال، فأتوا مسجد بني إسرائيل وهم يتحدثون بأمر عيسى، ويقولون: مولود من غير أب. فقال إبليس: ما هذا ببشر، ولكنَّ الله أحبُّ أن يتمثَّلَ في امرأة ليختبر العباد، فقال أحد صاحبيه: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أحبُّ^(٤) أن يتَّخِذَ ولدًا. وقال الثالث: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أراد أن يجعل إلهًا في الأرض، فألقوا هذا الكلام على ألسنة النَّاسِ، ثم تفرَّقوا، فتكلَّم به النَّاسُ^(٥).

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٨ / ٥٨١)، وابن حاتم (٦٦٤٤) في تفسيرهما.

(٢) ليست في (ر).

(٣) من (ج).

(٤) في (ج): (أراد).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٥ / ٣٤٢)، وابن المنذر (٣٨٧) في تفسيرهما بلفظ مختصر.

وقال محمد بن كعب: لَمَّا رُفِعَ عيسى عليه السلام اجتمع مائة من علماء بني إسرائيل، وانتخبوا منهم أربعة:

فقال أحدهم: عيسى هو الله كان في الأرض ما بدا له، ثم صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ، لَأَنَّهُ لَا يَحْيِي الْمَوْتَى وَلَا يَهْرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ إِلَّا اللَّهُ.

وقال الثاني: ليس كذلك، لَأَنَّا قَدْ عَرَفْنَا عيسى، وَعَرَفْنَا أُمَّه، وَلَكِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ.

وقال الثالث: لَا أَقُولُ كَمَا قُلْتُمَا، وَلَكِنْ جَاءَتْ بِهِ أُمُّهُ مِنْ عَمَلٍ غَيْرِ صَالِحٍ^(١).

فقال الرَّابِعُ: لَقَدْ قُلْتُمْ قَوْلًا قَبِيحًا، وَلَكِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ^(٢)، فَخَرَجُوا، فَاتَّبَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ^(٣) عُنُقَ مِنَ النَّاسِ^(٤).

قال المفسِّرون: ومعنى الآية: أَنَّ النَّصَارَى قَالَتْ: الْإِلَهِيَّةُ مُشْرَكَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَعِيسَى وَمَرْيَمَ، وَكُلُّ^(٥) وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَهٌ. وَفِي الْآيَةِ إِضْمَارٌ، فَالْمَعْنَى: ثَلَاثُ آلِهَةٍ، فَحُذِفَ ذِكْرُ الْآلِهَةِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى مَفْهُومٌ، لَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ مَنْ قَالَ: هُوَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ^(٦)، وَلَمْ يَرُدَّ الْآلِهَةُ، لَأَنَّهُ مَا مِنْ اثْنَيْنِ إِلَّا وَهُوَ ثَالِثُهُمَا، وَقَدْ دَلَّ عَلَى الْمَحْذُوفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾.

(١) فِي (م): (مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ صَالِحٍ).

(٢) فِي (ت)، وَ(ر): (وَكَلِمَتُهُ، وَرَسُولُهُ).

(٣) لَيْسَتْ فِي (ر).

(٤) رَوَاهُ بِمَعْنَاهُ ابْنُ الْمُنْذَرِ فِي تَفْسِيرِهِ كَمَا فِي الدُّرِّ الْمَشْهُورِ (٣/ ١٢٢).

(٥) فِي (ت)، وَ(ر): (فَكُلُّ).

(٦) مِنْ قَوْلِهِ: (آلِهَةٌ، فَحُذِفَ ذِكْرُ الْآلِهَةِ)... إِلَى هُنَا، لَيْسَ فِي (ت)، وَ(ر).

قال الزَّجَّاج: ومعنى ﴿ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ﴾: أنه أحد ثلاثة^(١) (٢).

ودخلت «من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾ للتوكيد.

و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ هم المقيمون على^(٣) هذا القول. [٢٠٧/أ]

وقال ابن جرير: المعنى: لِيَمَسَّنَّ الَّذِينَ [كفروا]^(٤) يقولون: المسيح

هو الله، والذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكل كافر [قد]^(٥) يسلك سبيلهم، عذاب أليم^(٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿﴾ [المائدة: ٧٤].

قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾.

قال الفراء: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ

مُتَنَبِّهُونَ^(٧)﴾ [المائدة: ٩١]^(٨).

(١) قوله: (أنه أحد ثلاثة)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٩٦/٢).

(٣) سقطت من (ج).

(٤) زيادة من (ج)، و(م).

(٥) زيادة من (ر).

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٥٨٠/٨).

(٧) في (ج): (مسلمون).

(٨) انظر: معاني القرآن (٢٠٢/١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَاقُوتَانِ الطَّعَامُ أَنْظَرُ كَيْفَ بُنِيَتْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْتُ أَنْ يُؤْفَكُونَ﴾ (٧٥) [المائدة: ٧٥].

قوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾.

فيه ردٌّ على اليهود في تكذيبهم رسالته، وعلى النصارى في ادّعائهم إلهيته.

والمعنى: أنه ^(١) ليس بإله، وإنما حكمه حكم من سبقه من الرسل.

وفي قوله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ ردٌّ على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة.

قال الزَّجَّاج: و«الصِّدِّيقَةُ»: المبالغة في الصِّدْق، وصديق «فِعْلِيل» من أبنية المبالغة، كما تقول: فلانٌ سَكَّيت، أي: مبالغ في السُّكُوت ^(٢).

وفي قوله: ﴿كَأَنَا يَاقُوتَانِ الطَّعَامُ﴾ قولان:

أحدهما: أنه بيَّن أنها يعيشان بالغذاء، ومن لا يُقيمه إلا أكل الطَّعام فليس بإله، قاله الزَّجَّاج ^(٣).

والثاني: أنه نبّه بأكل الطَّعام على عاقبته، وهو الحدث، إذ لا بد لأكل الطَّعام من الحدث، قاله ابن قُتَيْبَةَ ^(٤).

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٦-١٩٧).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٦-١٢٧).

قال: وقوله: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ من أطف ما يكون من الكناية^(١).

و﴿يُؤَفِّكُونَ﴾: يُصرفون عن الحقَّ ويُعدّلون، يقال: أطفك الرجل عن كذا: إذا عدّل [به]^(٢) عنه، وأرض مأفوك: محرومة المطر والنبات، كأنّ ذلك صُرف عنها وعدّل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

قوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

قال مقاتل: قل لنصارى نجران: أتعبدون من دون الله، يعني عيسى [ابن مريم]^(٣)، ما لا^(٤) يملك لكم ضرّاً في الدنيا، ولا نفعاً في الآخرة^(٥)^(٦).

﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولهم: «المسيح ابن الله»، و«ثالث ثلاثة»، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمقاتلهم.

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) من (ت)، و(ر).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٤) في (ر): (ولا) بدلاً من: (ما لا).

(٥) قوله: (في الآخرة)، ليس في (ت)، و(ر).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧).

قوله: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ﴾.

قال مقاتل: هم نصارى نجران^(١).

والمعنى: لا تغلوا في دينكم، فتقولوا [على الله]^(٢) غير الحق في عيسى.

وقد بينا معنى «الغلو» في آخر سورة «النساء».

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾.

قال أبو سليمان الدمشقي^(٣): من قبل أن يضلوا^(٤).

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم رؤساء الضلالة من اليهود^(٥).

والثاني: رؤساء اليهود والنصارى، والآية خطاب للذين كانوا في

عصر نبينا ﷺ، أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٩٦).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٤) في (ت)، و(ر): (تضلوا).

(٥) في (م): (رؤساء اليهود من الضلالة).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) [المائدة: ٧٨].

قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾

في لعنهم قولان:

أحدهما: أنه نفس اللعن، ومعناه المباحة من الرحمة.

قال ابن عباس: لعنوا على لسان داود، فصاروا قردة، ولعنوا^(١) على لسان عيسى في الإنجيل^(٢).

قال الزجاج: وجائز أن يكون داود وعيسى أعلمًا أن محمدًا نبيٌّ، ولعنا من كفر به^(٣). [٢٠٧/ب]

والثاني: أنه المسخ، قاله مجاهد، لعنوا على لسان داود؛ فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى؛ فصاروا خنازير^(٤).

وقال الحسن، وقتادة: لعن أصحاب السَّبْتِ على لسان داود، فإنهم لما اعتدوا، قال داود: اللَّهُمَّ العنهم، واجعلهم آيةً، فمُسَخَّو قردة.

(١) ليست في (ج).

(٢) رواه بنحو هذا اللفظ: ابن جرير الطبري (٥٨٨/٨)، وابن أبي حاتم (٦٦٦٤) في تفسيرهما، من قول أبي مالك الغفاري.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٩٨/٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٥٨٧/٨)، وابن أبي حاتم (٦٦٦٤) في تفسيرهما.

ولعن أصحاب المائدة على لسان عيسى، فإنهم لما أكلوا منها ولم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت، فجعلوا خنازير^(١). [قوله تعالى]^(٢): ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ أي: ذلك اللعن بمعصيتهم لله تعالى في مخالفتهم أمره [ونبيه]^(٣)، وباعتدائهم في مجاوزة ما حده لهم. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

قوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾.

التَّناهي: تفاعل من التَّهَي، أي: كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكر.

وذكر المفسرون في هذا المنكر ثلاثة أقوال:

أحدها: صيد السمك يوم السبت.

والثاني: أخذ الرشوة في الحكم.

والثالث: أكل الربا، وأثمان الشحوم.

وذكر المنكر منكراً يدلُّ على الإطلاق، ويمنع هذا الحصر، ويدلُّ على ما قلنا: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا رَأَى أَخَاهُ عَلَى الذَّنْبِ نَهَاَهُ عَنْهُ تَعْذِيرًا، فَإِذَا كَانَ الْغَدُ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٨٨/٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. وانظر: التفسير الوسيط؛ للواحدى (٢/٢١٥).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ر)، وفي (ج)، و(م): (قوله).

(٣) زيادة من (ج).

(٤) ليست في (ج).

رَأَى مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَكْبَلَهُ^(١) وَخَلِيطَهُ وَشَرِيكَهُ^(٢)، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ بِقُلُوبٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ^(٣).

قوله: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: اللام دخلت للقسم والتوكيد، والمعنى: لبس شيئاً فعلهم^(٤).
قوله تَعَالَى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٥) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ^(٦)﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

قوله: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾.

في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم المنافقون، روي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد.

والثاني: أنهم اليهود، قاله مقاتل في آخرين^(٥).

(١) في (ت)، و(ر): (وكيله).

(٢) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (وشريه).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٥٨٨/٨)، وابن أبي حاتم (٦٦٦١) في تفسيرهما، وأبو يعلى في مسنده (٥٠٣٥) من طريق أبي عبيدة، به، بنحوه.

وهو عند أحمد (٢٥٠/٦)، والترمذي (٣٠٤٧)، وابن ماجه (٤٠٠٦) بلفظ مقارب.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعراجه (١٩٩/٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٨٩/١).

فعلى هذا القول انتظام الآيات ظاهر، وعلى الأول يرجع الكلام إلى قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٢].

وفي الذين كفروا قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله أرباب القول الأول.

والثاني: أنهم مشركو العرب، قاله أرباب [هذا] ^(١) القول الثاني.

قوله: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: بسما قدموا لمعادهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون ^(٢) «أن» ^(٣) في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل: هو أن سخط الله عليهم ^(٤) ^(٥).

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُكَ ذَلِكَ يَأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ^(٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ^(٨٣)﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

(١) من (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): (تكون).

(٣) ليست في (م).

(٤) من قوله: (قال الزَّجَّاج) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١٩٩/٢).

قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلق بها في النجاشي وأصحابه.

قال سعيد بن جبّير: بعث النجاشي قومًا إلى رسول الله ﷺ، فأسلموا،

فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها، وسنذكر قصّتهم فيما بعد^(١). [٢٠٨/أ]

قال الزّجاج: واللام في^(٢) ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ لام القسم، والنون دخلت

تفصيل بين الحال والاستقبال، و﴿عَدَاوَةً﴾ منصوب على التمييز، واليهود

ظاهروا المشركين على المؤمنين حسدًا للنبي ﷺ^(٣).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: عبدة الأوثان.

فأما ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ فهل هذا عامٌّ في كلّ النصارى أم

خاصٌّ؟^(٤)

فيه قولان:

أحدهما: أنه خاصٌّ.

ثم فيه قولان^(٥):

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٩٤) من طريق عبد الواحد بن زياد، عن خصيف، به، بنحوه.

(٢) سقطت من (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٩).

(٤) قوله: (فهل هذا عامٌّ في كلّ النصارى أم خاصٌّ؟)، ليس في (م).

(٥) قوله: (أحدهما: أنه خاص...) إلى هنا، ليس في (م).

أحدهما: أنه أراد النّجاشيّ وأصحابه لما أسلموا، قاله ابن عبّاس، وابن جُبَيْر.
والثاني: أنهم قوم من النّصارى كانوا متمسّكين بشريعة عيسى، فلما
جاء محمد ﷺ؛ أسلموا، قاله قتادة.

والقول الثاني: أنه عامٌّ.

قال الزّجاج^(١): يجوز أن يراد به النّصارى لأنهم كانوا أقلّ مظاهرّة
للمشركين من اليهود^(٢).

قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا﴾

قال الزّجاج: «القُسُّ» و«القِيس»^(٣) من رؤساء النّصارى^(٤).

وقال قطرب: القِيس: العالم بلغة الرّوم^(٥).

فأما «الرّهبان»: فهم العبّاد أرباب الصّوامع.

قال ابن فارس^(٦): التّرهّب: التّعبد^(٧).

(١) ليست في (ج).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٠٠).

(٣) في (ت)، والمطبوع من كتاب معاني القرآن؛ للزّجاج: (والقيس).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: التّفسير الوسيط (٢/٢١٧).

(٦) في (ج): (قال ابن عبّاس)!

(٧) انظر: مقاييس اللّغة (٢/٤٤٧).

فإن قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسيسين ورهباناً وليس ذلك من أمر شريعتنا؟

فالجواب: أنه مدحهم بالتمسك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرهبانية مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد ﷺ.

قال القاضي أبو يعلى: وربما ظنَّ جاهلٌ في أن هذه الآية مدحاً للنصارى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح مَنْ آمن منهم، ويدلُّ عليه ما بعد ذلك، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود.

قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لا يتكبرون عن اتباع الحق.

قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾

قال ابن عباس: لما حضر أصحاب الرسول ﷺ بين يدي النجاشي، وقرأوا القرآن، سمع ذلك القسيسون والرهبان، فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهَبَانًا﴾^(١) إلى قوله: ﴿الشَّاهِدِينَ﴾^(٢).

وقال سعيد بن جبير: بعث النجاشي من خيار أصحابه ثلاثين رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، فبكوا ورقوا [له]^(٣)، وقالوا:

(١) من (ت)، و(ر).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٥٩٥) من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ مطول.

(٣) من (ج).

نعرف والله، وأسلموا، وذهبوا إلى النجاشي فأخبروه فأسلم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآية^(١).

وقال السُّدِّي: كانوا اثني عشر رجلاً سبعة من القيسيين، وخمسة [٢٠٨/ب] من الرُّهبان، فلما قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، بكوا وآمنوا، فنزلت هذه الآية فيهم^(٢).

قوله^(٣): ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع من يشهد بالحق.

وللمفسرين في المراد بـ ﴿الشَّاهِدِينَ﴾ هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: محمد وأُمَّته، رواه علي بن أبي طلحة، وعكرمة عن ابن عباس.

والثاني: أصحاب محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: الذين يشهدون بالإيمان، قاله الحسن.

والرابع: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزجاج^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٤) فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦) [المائدة: ٨٤، ٨٦].

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٦٠٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٦٠١).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٠).

قوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: لامهم قومهم على الإيذان، فقالوا هذا^(١).

وفي ﴿الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أصحاب رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس.

والثاني: رسول الله ﷺ وأصحابه، قاله ابن زيد.

والثالث: المهاجرون الأولون، قاله مقاتل.

قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس: ثواب المؤمنين^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) [المائدة: ٨٧، ٨٨].

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ، منهم عثمان بن مظعون، حرّموا اللحم والنساء على أنفسهم، وأرادوا جَبَّ أنفسهم ليتفرّغوا للعبادة، فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ أَوْمَرْ بِذَلِكَ»، ونزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس^(٣).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (١١٨/٢) عن جماعة من المفسرين.

(٢) انظر: المصدر السابق (١١٩/٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦١١/٨).

وروى أبو صالح عن ابن عباس^(١)، قال: كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد [بن الأسود]^(٢)، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذرٍّ، وعمار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواثقوا على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُتِّي فَلَيْسَ مِنِّي» ونزلت هذه الآية^(٣). قال السُّدِّي: كان سبب عزمهم على ذلك أن رسول الله ﷺ جلس يوماً، فلم يزداهم على التخويف، فرقَّ النَّاسُ، وبكوا، فعزم هؤلاء على ذلك، وحلفوا على ما عزموا عليه^(٤).

وقال عكرمة: إن عليَّ بن أبي طالب، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد، وسالمًا^(٥) مولى أبي حذيفة في أصحابه، تبتَّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المُسْوَح^(٦)، وحرَّموا طَيِّبَاتِ الطَّعَامِ واللِّبَاسِ^(٧)، إلا ما يأكل ويلبس أهل السَّيَاحَةِ من بني إسرائيل، وهمُّوا بالاختصاص، وأجمعوا لقيام اللَّيْلِ وصيام النَّهَارِ، فنزلت هذه الآية^(٨).

(١) قوله: (وروى أبو صالح عن ابن عباس)، ليس في (م).

(٢) زيادة من (ج).

(٣) انظر: الدر المنثور (٣/ ١٤٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٦٠٩) بلفظ مطول.

(٥) في (ج): (وسلمان).

(٦) الْمُسْوَحُ بِالْكَسْرِ: الْبِلَاسُ بِكَسْرِ الْمُوحَّدَةِ وَتَفْتَحُ، ثَوْبٌ مِنَ الشَّعْرِ غَلِيظٌ، كَذَا فِي التَّهْذِيبِ، وَالْجَمْعُ: الْمُسْوَحُ انظر: ناج العروس (٧/ ١٢٢) مادة (مسح)، والمصباح المنير (٢/ ٥٧١) مادة (مسح).

(٧) في (ج): (وحرَّموا الطَّيِّبَاتِ واللِّبَاسِ).

(٨) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٦١٢).

والثاني: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: إني إذا أكلت من هذا اللحم، أقبلت على النساء، وإني حرّمته عليّ، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس^(١).

والثالث: أن ضيفاً نزل بعبد الله بن رواحة، ولم يكن حاضراً، فلما [٢٠٩/أ] جاء^(٢)، قال لزوجته: هل أكل الضيف؟ فقالت: انتظرتك. فقال: حبست ضيفي من أجلي؟! طعامك عليّ حرام. فقالت^(٣): وهو عليّ حرام إن لم^(٤) تأكله، فقال الضيف: وهو عليّ حرام إن لم^(٥) تأكلوه^(٦)، فلما رأى ذلك ابن رواحة قال: قرّبي طعامك، كلوا بسم الله، ثم غدا إلى النبي ﷺ، فأخبره بذلك فقال^(٧): «أَحْسَنْتَ». ونزلت هذه الآية، وقرأ حتى بلغ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ رواه عبد الرحمن بن زيد عن أبيه^(٨).
فأما «الطّيّبات» فهي اللذيزات التي تشتهيها النفوس ممّا أبيع.

(١) رواه ابن جرير الطبري (٦١٣/٨)، وابن أبي حاتم (٦٦٨٧) في تفسيرهما من أبي عاصم الضحاك بن مخلد، عن عثمان بن سعيد، عن عكرمة، به، بنحوه.

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (م): (فقال).

(٤) ليست في (ج).

(٥) ليست في (ج).

(٦) في (ت)، و(ر): (تأكله).

(٧) في (ت)، و(ر): (وقال).

(٨) رواه ابن جرير الطبري (٦١٣/٨)، وابن أبي حاتم (٦٦٩٢) في تفسيرهما من طريق يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد، به، بنحوه.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ خمسة أقوال:

أحدها: لا تجبوا أنفسكم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم.

والثاني: لا تأتوا ما نهى الله عنه، قاله الحسن.

والثالث: لا تسيروا بغير سيرة المسلمين من ترك النساء، وإدامة الصيام، والقيام، قاله عكرمة.

والرابع: لا تحرموا الحلال، قاله مقاتل^(١).

والخامس: لا تغصبوا الأموال المحرمة، ذكره الماوردي^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُنَّ أَوْ مَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٨٩).

قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

سبب نزولها:

أنه لما نزل قوله: ﴿لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس^(٣).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٤٩٩).

(٢) انظر: تفسير النكت والعيون (٢/٥٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/٦١٦).

وقد سبق ذكر «اللغو» في «سورة البقرة».

قوله: ﴿بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَنَ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿عَقَدْتُمُ الْأَيْمَنَ﴾^(١) بغير ألف، مشددة القاف.

قال أبو عمرو: معناها: وكُدتُم.

وقرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «عَقَدْتُم» خفيفة بغير ألف^(٢)، واختارها^(٣) أبو عبيد^(٤).

قال ابن جرير^(٥): معناها: أوجبتموها على أنفسكم^(٦).

وقرأ ابن عامر: «عاقدتُم» بألف، مثل «عاهدتُم»^(٧).

قال القاضي أبو يعلى: وهذه القراءة المشددة لا تحتل إلا عقد قول^(٨)، فأما المخففة، فتحتمل عقد القلب، وعقد القول.

(١) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) من قوله: (معناها: أوجبتموها) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ج): (اختارها).

(٤) انظر: السبعة (١/ ٢٤٧)، والحجّة (١/ ١٣٤)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٥) في (ج): (ابن جُبَيْر)!

(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٦١٦).

(٧) انظر: السبعة (١/ ٢٤٧)، والحجّة (١/ ١٣٤)، والمبسوط (١/ ١٨٧).

(٨) في (م): (لا تحتل على قول).

وذكر المفسرون في معنى الكلام قولين:

أحدهما: ولكن يؤخذكم بما عقدتم عليه قلوبكم^(١) في التَّعَمُّدِ لليمين، قاله مجاهد.

والثاني: بما عقدتم عليه قلوبكم أنه كذب، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله: ﴿فَكَفَّرْتُمُ﴾ قال ابن جرير^(٢): الهاء عائدة على «ما» في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ﴾^(٣).

فصل

فأما إطعام المساكين:

فروي عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، والحسن في آخرين: أن لكل مسكين مُدَّ بُرٍّ، وبه قال مالك، والشافعي.

وروي عن عمر، وعلي، وعائشة في آخرين: لكل مسكين نصف صاع من بُرٍّ.

قال عمر، وعائشة: أو^(٤) صاعاً من تمر. وبه قال أبو حنيفة.

[٢٠٩/ب] ومذهب أصحابنا في جميع الكفارات التي فيها إطعام، مثل كفارة اليمين، والظَّهَار، وفدية الأذى، والمفْطَرة في قضاء رمضان: مُدُّ بُرٍّ، أو نصف صاع تمر أو شعير.

(١) زاد في (م) هنا: (أنه كذب)!.

(٢) في (ج): (ابن جبيرة)!.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦١٨/٨).

(٤) ليست في (ج).

وَمِنْ شَرَطِ صَحَّةِ الْكُفَّارَةِ:

تمليك الطعام للفقراء، فإن غداهم وعشاهم، لم يجزئه، وبه قال سعيد بن جبّير، والحكم، والشافعي.

وقال الثوري، والأوزاعي: يجزئه، وبه قال أبو حنيفة، ومالك.

ولا يجوز صرف مُدَيْن إلى مسكين واحد، ولا إخراج القيمة في الكفارة، وبه قال الشافعي.

وقال أبو حنيفة: يجوز.

قال الزّجاج: وإنما وقع لفظ التذكير في المساكين، ولو كانوا إناثاً لأجزأ، لأن الم أغلب في كلام العرب التذكير^(١).

وفي قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: من أوسطه في القدر، قاله عمر، وعلي، وابن عباس، ومجاهد.

والثاني: من أوسط أجناس الطعام، قاله ابن عمر، والأسود، وعبيدة، والحسن، وابن سيرين.

وروي عن ابن عباس قال: كان^(٢) أهل المدينة للحرّ من القوت أكثر ما للمملوك، ولل كبير أكثر مما للصغير، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ ليس بأفضله ولا بأخسّه^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٢).

(٢) ليست في (ج)، و(ر).

(٣) انظر: أحكام القرآن؛ للجصاص (٤/ ١١٨)، ولفظه: «كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ قُوتٌ، وَكَانَ لِلْكَبِيرِ أَكْثَرُ مِمَّا لِلصَّغِيرِ، وَلِلْحُرِّ أَكْثَرُ مِمَّا لِلْمَمْلُوكِ».

وفي ﴿كُسُوْتُهُمْ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: أنها ثوبٌ واحدٌ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وطاوس، وعطاء، والشافعي.

والثاني: ثوبان، قاله أبو موسى الأشعري، وابن المسيب، والحسن، وابن سيرين، والضحاك.

والثالث: إزار ورداء وقميص، قاله ابن عمر.

والرابع: ثوب جامع كالملحفة، قاله إبراهيم النخعي.

والخامس: كسوة تجزئ فيها الصلاة، قاله مالك.

ومذهب أصحابنا: أنه إن كسا الرجل، كساه^(١) ثوبًا، والمرأة ثوبين، درعًا وخمارًا، وهو أدنى ما تجزئ فيه الصلاة.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو الجوزاء ويحيى بن يعمر: «أو كُسُوْتُهُمْ» بضم الكاف.

وقد قرأ^(٢) سعيد بن جبير وأبو العالية وأبو نبيك ومعاذ القاري: «أو كِاسُوْتُهُمْ» بهمزة مكسورة مفتوحة الكاف مكسورة^(٣) التاء والهاء.

وقرأ ابن السَّمِيعِ^(٤) وأبو عمران الجوني مثله، إلا إنها فتحة الهمزة^(٥).

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ر): (وقرأ).

(٣) في (ت)، و(ر): (بكسرة).

(٤) قوله: (وقرأ ابن السَّمِيعِ)، ليس في (ت)، و(ر).

(٥) انظر: المحتسب؛ لابن جنِّي (١/٢١٨)، والمختصر في شواذ القرآن (ص: ٤٠) والمحرر =

قال الشيخ رحمه الله^(١): ولا أرى هذه القراءة جائزة؛ لأنها تسقط أصلاً من أصول الكفارة^(٢).

قوله: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ تحريرها: عتقها. والمراد بالرقبة: جملة الشخص.

واتفقوا على اشتراط إيمان الرقبة في كفارة القتل لموضع النص.

واختلفوا في إيمان الرقبة المذكورة في هذه الكفارة على قولين:

أحدهما: أنه شرط، وبه قال الشافعي، لأن الله تعالى قيد بذكر الإيمان في كفارة القتل، فوجب حمل المطلق على المقيد.

والثاني: ليس بشرط، وبه قال أبو حنيفة. [٢١٠/أ]

وعن أحمد رحمه الله في إيمان الرقبة المعتقة في كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة الجماع، والمنذورة: روايتان.

قوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾.

اختلفوا فيما إذا لم يجد، صام، على خمسة أقوال:

أحدها: أنه إذا لم يجد درهمين صام، قاله الحسن.

والثاني: ثلاثة دراهم، قاله سعيد بن جبيرة.

=الوجيز (٢/ ٢٣٠)، والبحر المحيط (٤/ ٣٥٣).

(١) قوله: (قال الشيخ رحمه الله)، ليس في (ج)، و(م).

(٢) هذه العبارة كلها ليست في (ت)، و(ر).



والثالث: إذا لم يجد^(١) إلا قَدَرَ ما يُكْفِّرُ به، صام، قاله قتادة.

والرابع: ما تبي درهم، قاله أبو حنيفة.

والخامس: إذا لم يكن له إلا قدر قوته وقوت عائلته^(٢) يومه وليلته، قاله أحمد، والشافعي رحمهما.

وفي تنابع الثلاثة أيام، قولان:

أحدهما: أنه شرط، وكان أبي^(٣)، وابن مسعود^(٤) يقرآن: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات». وبه قال ابن عباس، ومجاهد، وطاوس، وعطاء، وقاتدة، وأبو حنيفة، وهو قول أصحابنا.

والثاني: ليس بشرط، ويجوز التفريق، وبه قال الحسن، ومالك.

وللشافعي فيه^(٥) قولان.

قوله: ﴿ذَلِكَ كَفَّرَةُ آيَمِنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ فيه إضمار تقديره: إذا حلقتم

وحنثتم.

(١) من قوله: (درهين صام، قال الحسن)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) في (ت)، و(م)، و(ر): (عياله).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٦٥٢/٨)، وابن أبي داود في المصاحف (١/١٦٥)، والحاكم في المستدرک (٣٠٣/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٦١٠٣)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١/٢٩٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٦٥٢/٨) وغيرهم.

(٥) ليست في (م).

وفي قوله: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أقبلوا منها، ويشهد له قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وأنشدوا^(١) [من الطويل]:

قَلِيلُ الْأَلْيَا حَافِظٌ لِيَمِينِهِ

والثاني: احفظوا أنفسكم من الحنث فيها.

والثالث: راعوها لكي تؤدّوا الكفارة عند الحنث فيها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن سعد بن أبي وقاص أتى نفرًا من المهاجرين والأنصار، فأكل عندهم، وشرب الخمر قبل أن تُحَرَّمَ، فقال: المهاجرون خير من الأنصار، [فتنازعوا في ذلك]^(٢)، فأخذ رجلٌ لحِيَّ جمل فضربه [به]^(٣)،

(١) البيت لكثير عزة في ديوانه (ص: ٣٢٥)، وبلا نسبة في لسان العرب (١٤ / ٤٠) (ألا)، ومجمل اللغة (١ / ٢٠٣).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٣) من (م).

فجذع أنفه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه^(١).

وقال سعيد بن جبّير: صنع رجل من الأنصار صنيعاً، فدعا سعد بن أبي وقاص، فلما أخذت فيهم الخمرة^(٢) افتخروا واستبوا^(٣)، فقام الأنصاري إلى حُتي بعير^(٤)، فضرب به رأس سعد، فإذا الدّم على وجهه، فذهب سعد يشكو إلى النبي ﷺ، فنزل^(٥) تحريم الخمر في قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿تَفْلِحُونَ﴾^(٦).

والثاني: أن عمر بن الخطّاب قال^(٧): اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت التي في «البقرة»، فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي^(٨) في «النساء» ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [الآية: ٤٣] فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت^(٩) هذه الآية،

(١) رواه ابن جرير الطبري (٦٥٩ / ٨).

(٢) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (الخمر).

(٣) ليست في (ج).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر): (جمل).

(٥) في (ت): (فنزلت).

(٦) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٧) ليست في (م).

(٨) ليست في (ت)، و(ر).

(٩) من قوله: (التي في النساء)... إلى هنا، ليس في (ج).

رواه أبو ميسرة عن عمر^(١).

والثالث: أن ناساً من المسلمين شربوها، فقاتل بعضهم بعضاً، وتكلموا بما لا يرضاه الله من القول، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي [٢١٠/ب] طلحة عن ابن عباس.

والرابع: أن قبيلتين من الأنصار شربوا^(٢)، فلما ثملوا عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا جعل الرجل [منهم]^(٣) يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان!، والله لو كان بي رؤوفاً ما^(٤) صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبّير عن ابن عباس^(٥).

وقد ذكرنا «الخمير» و«الميسر» في «البقرة»^(٦).

وذكرنا في «النَّصَب» في أوّل هذه السّورة قولين، وهما اللذان ذكرهما المفسّرون في الأنصاب، وذكرنا هناك «الأزلام».

(١) رواه أحمد (٥٣/١)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠)، وفي الكبرى (٥٠٣١)، وابن جرير الطّبري في تفسيره (٦٥٧/٨)، وابن المنذر في تفسيره (١٧٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٣٥١) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة عمرو بن شراحبيل، به.

(٢) في (م): (الخمير شربوا).

(٣) زيادة من (م).

(٤) في (ت)، و(ر): (فما).

(٥) رواه ابن جرير الطّبري في تفسيره (٦٦٠/٨).

(٦) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٩).

فأما «الرَّجَسُ»:

فقال الزَّجَّاجُ: هو اسمٌ لكلِّ ما استُغْدِرَ من عمل، يقال: رَجَسَ الرَّجُلُ يَرْجُسُ، وَرَجَسَ يَرْجَسُ: إذا عمل عملاً قبيحاً، و«الرَّجَسُ» بفتح الراء: شدة الصَّوت، فكأن الرَّجَسَ، العملُ الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال: رعدُ رَجَّاسٍ: إذا كان شديد الصوت^(١).

قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانَ﴾.

قال ابن عباسٍ: من تزيين الشَّيْطَانِ^(٢).

فإن قيل: كيف نُسِبَ إليه، وليس من فعله؟

فالجواب: أن نسبته إليه مجاز، وإنما نسب إليه، لأنه هو الداعي إليه، والمزيّن له، ألا ترى أن رجلاً لو أغرى رجلاً بضرب رجل، لجاز أن يقال له: هذا من عملك.

قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: اتركوه. واشتقاقه في اللُّغة: كونوا جانباً منه^(٣).

فإن قيل: كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوه؟

فالجواب: أن الهاء عائدةٌ على الرَّجَسِ، والرَّجَسِ واقعٌ على الخمر،

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٠٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٧٦١) عن ابن جُبَيْر.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٠٥).

والميسر، والأنصاب^(١)، والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه، ومنبى^(٢) عنه، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ [المائدة: ٩١، ٩٢].

قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ (٣).

أما ﴿الْخَمْرِ﴾ فوقوع العداوة والبغضاء فيها على نحو ما ذكرنا في سبب نزول الآية من القتال والمهارة.

وأما «الميسر»:

فقال قتادة: كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيُفْقَرُ ويبقى حزينًا سلبًا، فينظر إلى ماله في يد غيره، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء^(٤).

قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه لفظ استفهام، ومعناه الأمر. تقديره: انتهوا.

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(م)، و(ر): (ومنبى).

(٣) قوله: ﴿فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، ليس في (ت).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/ ٦٦٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

قال الفرّاء: ردّد عليّ أعرابيٌّ: هل أنت ساكتٌ؟ [هل أنت ساكتٌ؟] ^(١)، وهو يريد: اسكت، اسكت ^(٢) ^(٣).

والثاني: أنه استفهام، لا بمعنى الأمر.

ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد هذه الآية، ويقولون: إنها لم تُحرّمها ^(٤)، إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فقال بعضنا: انتهينا، وقال بعضنا: لم تنته، فلما نزلت: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣] حرّمت، لأن «الإثم» اسمٌ للخمر. [وأنشدوا ^(٥)] (من الوافر):

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ذَلَّ عَقْلِي كَذَلِكَ الْإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ ^(٦)

وهذا القول ليس بشيء، والأوّل أصحّ ^(٧).

قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمَرَكم ﴿وَأَحْذَرُوا﴾ خلافهما ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا﴾ محمد ^(٨) ﴿أَلْبَلَغُ الْمَعِينِ﴾ وهذا

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر)، وليست في الأصل، ولا في معاني القرآن؛ للفرّاء.

(٢) في (ج): (اسكت)، مرة واحدة دون تكرار.

(٣) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٥٤).

(٤) في (ت)، و(ر): (لم تُحرّم).

(٥) بلا نسبة في الزّاهر (٢/ ٢١)، ولسان العرب (٦/ ١٢)، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦١).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٧) قوله: (والأوّل أصحّ)، ليس في (ت)، و(ر).

(٨) ليست في (ج).

وعيدٌ لهم، كأنه قال: فاعلموا أنكم قد استحققتُم العقاب لتوليكم.
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣)
 [المائدة: ٩٣].

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾.
 سبب نزولها:

أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ ماتوا وهم يشربون الخمر، إذ كانت مباحة، فلما حرمت قال ناس: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم^(١) يشربونها؟! فنزلت هذه الآية، قاله البراء بن عازب^(٢).

و«الجُنَاح»: الإثم.

وفيهما^(٣) طعموا ثلاثة^(٤) أقوال:

أحدها: ما شربوا من الخمر قبل تحريمها، قاله ابن عباس، والجمهور.
 قال ابن قتيبة: يقال: لم أطعم خُبْزًا ولا ماءً ولا نومًا^(٥)^(٦).

(١) من قوله: (يشربون الخمر، إذ كانت)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٥٠-٣٠٥١)، وأبو يعلى في مسنده (١٧١٩)، وابن جرير الطبري (٦٦٧/٨)، وابن أبي حاتم (٦٧٧٥) في تفسيرهما.

(٣) في (ت)، و(ر): (فيه).

(٤) في (ج): (فيه).

(٥) قوله: (ولا نومًا)، ليس في (ت)، و(ر).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/١٤٥).

قال الشاعر^(١) [من الطويل]:

فَإِنْ شَتَّ حَرَمْتُ^(٢) النَّسَاءَ سِوَاكُمْ وَإِنْ شَتَّ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاحًا^(٣) وَلَا بَرْدًا

النَّقَاحُ: الماء البارد^(٤) الذي ينقخ الفؤاد ببرده^(٥)، والبرد: النوم^(٦).

والثاني: ما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر.

والثالث: ما طعموا من المباحات.

وفي قوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: اتقوا بعد التحريم، قاله ابن عباس.

والثاني: اتقوا المعاصي والشُّرك.

والثالث: اتقوا مخالفة الله في أمره.

وفي قوله: ﴿وَأَمَّنُوا﴾ قولان:

أحدهما: آمنوا بالله ورسوله.

(١) البيت للعرجي في ديوانه (ص: ١٠٩)، ولسان العرب (٣/ ٦٥-٨٥)، والتنبيه والإيضاح

(١/ ٢٩٢، ٢/ ١٠)، وتاج العروس (٧/ ٣٦١).

(٢) سقطت من (ج).

(٣) في (ج): (نقاحًا)!

(٤) ليست في (ج).

(٥) قوله: (البارد الذي ينقخ الفؤاد ببرده)، ليس في (م).

(٦) قوله: (الماء البارد الذي ينقخ الفؤاد ببرده)، ليس في (ت)، و(ر).

(٧) قوله: (والبرد: النوم)، ليس في (ج).

والثاني: آمنوا بتحريمها.

قوله: ﴿وَعِمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال مقاتل: أقاموا على الفرائض^(١).

قوله: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾.

في هذه التقوى المعادة أربعة أقوال:

أحدها: أن المراد خوف الله ﷻ.

والثاني: أنها تقوى الخمر والميسر بعد التحريم.

والثالث: أنها الدوام على التقوى.

والرابع: أن التقوى الأولى مخاطبة لمن شربها قبل التحريم، والثانية

لمن شربها بعد التحريم.

قوله: ﴿وَأَمِنُوا﴾.

في هذا الإيذان المعاد قولان:

أحدهما: صدقوا بجميع ما جاء به محمد ﷺ.

والثاني: آمنوا بما يجيء من الناسخ والمنسوخ.

قوله: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا﴾.

في هذه التقوى الثالثة أربعة أقوال:

أحدها: اجتنبوا العود إلى الخمر بعد تحريمها، قاله ابن عباس.

(١) هذه العبارة كلها ليست في (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٠٣).

والثاني: اتقوا ظلم العباد.

والثالث: توقّوا الشُّبهات.

والرابع: اتقوا جميع المحرّمات.

وفي الإحسان قولان:

أحدهما: أحسنوا العمل بترك شربها بعد التحريم، قاله ابن عباس.

والثاني: أحسنوا العمل بعد تحريمها، قاله مقاتل^(١).

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ لَكُمْ ءَلَهُمُ الصِّيدُ تَنَالُهُ ءَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ

لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ مَخَافَتِهِ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعَدَّيْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ لَكُمْ ءَلَهُمُ الصِّيدُ﴾ [٢١١/ب]

قال المفسّرون: لما كان عام الحديبية، وأقام النبي ﷺ بالتَّعْظِيم، كانت

الوحوش والطّير تغشاهم في رحالهم، وهم محرّمون، فنزلت هذه الآية،

ونها عنها ابتلاءً.

قال الزّجاج: اللام في ﴿لَبِئْسَ لَكُمْ ءَلَهُمُ الصِّيدُ﴾ لام القسم، ومعناه: لنختبرن^(٢)

طاعتكم من معصيتكم^(٣).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٠٣).

(٢) في (ت)، و(ر): (ليختبرن).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٠٦).

وفي «من» قولان:

أحدهما: أنها للتبعض.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أنه عنى صيد البرّ دون صيد البحر.

والثاني: أنه لما عنى الصيد ما داموا في الإحرام كان ذلك بعض الصيد.

والثاني: أنها لبيان الجنس، كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾

[الحج: ٣٠].

قوله: ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾.

قال مجاهد: الذي تناله اليد: الفراخ والبيض، وصغار الصّيد،
والذي تناله الرّماح: كبار الصّيد^(١).

قوله: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾.

قال مقاتل: ليرى الله ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ ولم يره، فلا يتناول الصّيد وهو
محرم ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾ فأخذ الصّيد عمداً بعد النهي للمحرم عن قتل الصّيد
﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يوسع بطنه وظهره جلداً، ويسلب ثيابه^(٢).

(١) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٣١٥)، وابن جرير الطّبري (٨/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٦٧٨٦) في تفسيرهما من طريق بن أبي نجیح، به.

(٢) انظر: البحر المحيط؛ لأبي حيّان (٤/ ٣٦٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاقِتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥].

قوله: ﴿لَاقِتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾.

بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ هذه الآية من أي وجه تقع ^(١) البلوى، وفي أي زمان، وما على من قتله بعد النهي.

وفي قوله: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: وأنتم محرمون بحج أو عمرة، قاله الأكثرون.

والثاني: وأنتم في الحرم، يقال: أحرم: إذا دخل في الحرم، وأنجد: إذا أتى نجداً.

والثالث: الجمع بين القولين.

قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن يتعمد قتله ذاكرًا لإحرامه، قاله ابن عباس، وعطاء.

والثاني: أن يتعمد قتله ناسيًا لإحرامه، قاله مجاهد.

(١) في (ج): (يقع).

فأما قتله خطأ، ففيه قولان:

أحدهما: أنه كالعمد، قاله عمر، وعثمان، والجمهور.

قال الزهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في الخطأ^(١).

يعني: ألحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الضَّبْعُ صَيْدٌ^(٢) وَفِيهِ كَبْشٌ إِذَا قَتَلَهُ الْمُحْرِمُ»^(٣).

وهذا عامٌّ في العامد والمخطئ^(٤).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٧٨/٨) من طريق هشيم، عن بعض أصحاب الزهري، به.

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه أحمد (٢٩٧/٣)، والدارمي (١٩٤٢)، وأبو داود (٣٨٠١)، والترمذي (١٧٩١-٨٥١)، والنسائي (٢٨٣٦)، وفي الكبرى (٤٨١٦-٣٨٠٥)، وابن ماجه (٣٢٣٦)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٦٤٥) من طرق عن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي، عن عبد الرحمن بن عبدالله ابن أبي عمار، عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: سَأَلْتُ جَابِرًا، فَقُلْتُ: الضَّبْعُ أَكْلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَصَيْدٌ هِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَسَمِعْتَ ذَاكَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ.

ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٦٤٨)، والحاكم في المستدرک (٦٢٣/١)، والبيهقي في الكبرى (٢٩٢/١٠) من طريق حسان بن إبراهيم، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً. بلفظ: «الضَّبْعُ صَيْدٌ؛ فَإِذَا أَصَابَهُ الْمُحْرِمُ فَفِيهِ جَزَاءٌ كَبْشٍ مُسِنَّ، وَتَوَكَّلْ».

وصححه البخاري، والترمذي، وابن حبان، انظر: نصب الراية (١٣٤-١٣٥)، والبدر المنير (٣٥٩-٣٦٠)، والتلخيص الحبير (٥٨٩-٥٩٠).

(٤) في (م): (وهذا عامٌّ في العامل والعامد والمخطئ).

قال القاضي أبو يعلى: أفاد تخصيص العمد بالذكر ما ذكر في أثناء الآية من الوعيد، وإنما يختص ذلك بالعامد.

والثاني: أنه لا شيء فيه، قاله ابن عباس، وابن جُبَيْر، وطاوس، وعطاء، وسالم، والقاسم، وداود.

وعن أحمد رحمته روايتان، أصحُّهما الوجوب.

قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «فجزاء مثل» مضافة وبخفض «مثل».

وقرأ عاصم، وحمة، والكسائي: ﴿فَجَزَاءٌ﴾ منون ﴿مِثْلُ﴾ ^(١) مرفوع ^(٢).

قال أبو علي: من أضاف، فقوله: ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾ يكون صفة للجزاء، [٢١٢/أ] وإنما قال: ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ﴾، وإنما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، لأنهم يقولون: أنا أكرمُ مثلك، يريدون: أنا أكرمُك، فالمعنى: جزاء ما قتل. ومن رفع «المثل»، فالمعنى: فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول ^(٣)، والتقدير: فعليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد ^(٤).

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: السبعة (١/٢٤٧-٢٤٨)، والحجة (٣/٢٥٤)، والمبسوط (١/١٨٧).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: الحجة (٣/٢٥٦).

قال ابن قُتيبة: النِّعَم: الإِبِل، وقد يكون البقر والغنم، والأغلب عليها الإِبِل^(١).

وقال الزَّجَّاج: النِّعَم في اللغة: الإِبِل والبقر والغنم، فإن انفردت الإِبِل، قيل لها: نَعَم^(٢)، وإن^(٣) انفردت البقر والغنم، لم تُسمَّ نَعَمًا^(٤).

فصل

قال القاضي أبو يعلى: والصَّيْد الذي يجب الجزاء بقتله: ما كان مأكول اللحم، كالغزال، وحمار الوحش، والنَّعامة، ونحو ذلك، أو كان متولِّدًا من حيوان يؤكل لحمه، كالسَّمْع^(٥)^(٦)، فإنه متولِّد من الضَّبْع، والذَّنْب، وما عدا ذلك من السَّبَاع كُلِّها، فلا جزاء على قاتلها سواء ابتدأ قتلها، أو عدت عليه فقتلها دفعًا عن نفسه، لأن السَّبْع لا مثل له صورة ولا قيمة، فلم يدخل تحت الآية.

ولأنَّ النَّبِيَّ ﷺ أجاز للمحرم قتل الحيَّة، [والعقرب]^(٧)، والفويسقة، والغراب، والحدأة، والكلب العقور، والسَّبْع العادي.

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٠٢).

(٢) في الأصل: (نعمًا)، والمثبت من بقية النسخ، وهو الذي في معاني القرآن وإعرابه.

(٣) في (ج): (وإذا).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٧).

(٥) في (م): (كالسَّبْع)!

(٦) السَّمْع: ولد الذَّنْب من الضَّبْع. انظر: المصباح المنير؛ للفيومي (١/ ٢٨٩).

(٧) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

قال: والواجب بقتل الصيد فيما له مثلٌ من الأنعام مثله، وفيما لا مثل له قيمته.

وهو قول مالك، والشافعي.

وقال أبو حنيفة: الواجب فيه القيمة، وحمل المثل على القيمة^(١)^(٢).

وظاهرُ الآية يردُّ ما قال، ولأن الصحابة رضوان الله عليهم حملوا الآية على المثل من طريق الصورة^(٣)، فقال ابن عباس: المثل: النّظير، ففي الظّبية شاة، وفي النّعامه بعير^(٤).

قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني بالجزاء، وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين.

وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يعني: من أهل ملّتكم.

قوله: ﴿هَذَا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾.

قال الزّجاج: هو منصوب على الحال، والمعنى: يحكمان به مقدّراً أن يهدي^(٥)^(٦).

(١) في (ت)، و(ر): (وقال أبو حنيفة: الواجب حمل المثل على القيمة).

(٢) انظر: المبسوط؛ للسرخسي (٩٣/٤).

(٣) في (م): (من طريق العادة الصورة).

(٤) انظر: أحكام القرآن؛ للجصاص (١٣٤/٤).

(٥) في (ج): (هذا).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٠٨/٢).

ولفظ قوله: ﴿بَلَغَ الْكَعْبَةَ﴾ لفظ معرفة، ومعناه: النكرة. والمعنى: بالغاً الكعبة، إلا أن التنوين حُذف استخفافاً.

قال ابن عباس: إذا أتى مكة ذبحه، وتصدق به^(١) ^(٢).

قوله: ﴿أَوْ كَفَّرَهُ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي^(٣): أَوْ ﴿كَفَّرَهُ﴾ ﴿مَنُونًا﴾ ﴿طَعَامٌ﴾ رفعا.

وقرأ نافع، وابن عامر: «أَوْ كَفَّارَةً» رفعا غير منوّن، «طَعَامٌ مساكين»^(٤) على الإضافة^(٥).

قال أبو علي: من رفع ولم يصف، جعله عطفًا على الكفارة عطف بيان، لأن الطَّعام هو الكفارة^(٦)، ولم يصف الكفارة إلى الطَّعام، لأن الكفارة لقتل الصيد، لا للطعام، ومن أضاف الكفارة إلى الطَّعام، فلأنه لما خيّر المكفّر بين الهدى، والطَّعام، والصَّيام^(٧)، جازت الإضافة لذلك، فكأنه [٢١٢/ب]

(١) في (م): (إذا أتى مكة تصدَّق به).

(٢) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحي (٢/٢٢٩).

(٣) نوله: (والكسائي)، ليس في (م).

(٤) نوله: (عطف بيان، لأن الطَّعام هو الكفارة)، ليس في (ت)، و(ر).

(٥) انظر: السبعة (١/٢٤٨)، والحجّة (٢/٢٧٣)، والمبسوط (١/١٨٨).

(٦) في (ت)، و(ر): (مسكين).

(٧) في (م): (والصَّيد).

قال: كفارة طعام، لا كفارة هدي، ولا صيام. والمعنى^(١): أو عليه بدل الجزاء والكفارة، وهي طعام مساكين^(٢).

وهل يعتبر في إخراج الطعام قيمة النّظر، أو قيمة الصّيد؟
فيه قولان:

أحدهما: قيمة النّظر، وبه قال عطاء، والشافعي، وأحمد.
والثاني: قيمة الصّيد، وبه قال قتادة، وأبو حنيفة، ومالك.
وفي قدر الإطعام لكلّ مسكين قولان:

أحدهما: مُدَّان من بُرٍّ، وبه قال ابن عباس، وأبو حنيفة^(٣).
والثاني: مُدُّ بُرٍّ، وبه قال الشافعي.

وعن أحمد روايتان، كالقولين.

قوله: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾.

قرأ أبو رزین، والضّحّاك، وقاتادة، والجدري، وطلحة: «أَوْ عِدْلُ ذَلِكَ»، بكسر العين^(٤).

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: الحجّة (٣/ ٢٥٨).

(٣) في (ج): (وبه قال أبو حنيفة).

(٤) انظر: التّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٥١٢)، والمحرم الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٢٤٠)، وفي مختصر شواذ القرآن (ص: ٤٠): قراءة النبي ﷺ وابن عباس.

وقد شرحنا هذا المعنى في «البقرة».

قال أصحابنا: يصوم عن كل مُدٍّ بُرٍّ، أو نصف صاع تمر، أو شعير يومًا.

وقال أبو حنيفة: يصوم يومًا عن نصف صاع في الجميع.

وقال مالك، والشافعي: يصوم يومًا^(١) عن كلِّ مُدٍّ من الجميع.

فصل

وهل هذا الجزاء على الترتيب، أم على التخيير؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه على التخيير^(٢) بين إخراج النّظير، وبين الصّيام، وبين الإطعام.

والثاني: أنه على الترتيب، إن لم يجد الهدي، اشترى طعامًا، فإن كان

معسرًا صام، قاله ابن سيرين.

والقولان مرويان عن ابن عباس، وبالأوّل قال جمهور الفقهاء.

قوله: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهٖ﴾ أي: جزاء ذنبه.

قال الزّجاج: «الْوَبَالُ»: ثِقْلُ الشَّيْءِ فِي الْمَكْرُوهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ:

طَعَامٌ وَبِيلٌ، وَمَاءٌ وَبِيلٌ: إِذَا كَانَا ثَقِيلَيْنِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْهُ أَخْذًا

وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦] أي: ثَقِيلًا شَدِيدًا^(٣).

(١) من قوله: (عن نصف صاع في الجميع)... إلى هنا، ليس في (م).

(٢) قوله: (فيه قولان: أحدهما: أنه على التخيير)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٨).

قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ما سلف في الجاهليّة، من قتلهم الصّيد، وهم محرمون، قاله عطاء.

والثاني: ما سلف من قتل الصّيد في أول مرّة، حكاه ابن جرير^(١) ^(٢). والأوّل أصحّ.

فعلى القول الأوّل يكون معنى قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ في الإسلام.

وعلى الثاني: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ثانية بعد أولى.

قال أبو عبيدة: «عاد» في موضع يعود، وأنشد^(٣) [من البسيط]:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا وَإِنْ ذَكَرْتُ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أَذْنُوا

قوله: ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ «الانتقام»: المبالغة في العقوبة.

وهذا الوعيد بالانتقام لا يمنع إيجاب جزاء ثانٍ إذا عاد، وهذا قول الجمهور، وبه قال مالك^(٤)، والشافعي، وأحمد.

(١) في (ج): (ابن جبير)!

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٧١١-٧١٢).

(٣) البيت لقعناب ابن أمّ صاحب. انظر: مجاز القرآن (١/ ١٧٦-١٧٧)، ولسان العرب

(٤/ ٤٣٤ — ١٣/ ١٠)، وأما لي بن الشّجري (٢/ ٢٣٣).

(٤) مكانها بياض في (ت).

وقد روي عن ابن عباس، والنخعي، وداود: أنه لا جزاء عليه في الثاني، إنما وعد بالانتقام.

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلْسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦].

قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾.

قال أحمد: يؤكل كل ما في البحر^(١) إلا الضفدع والتمساح، لأن [٢١٣/أ] التمساح^(٢) يأكل الناس يعني: أنه يفرس.

وقال أبو حنيفة، والثوري: لا يباح منه إلا السمك.

وقال ابن أبي ليلى، ومالك: يباح كل ما فيه^(٣) من ضفدع وغيره.

فأما «طعامه» ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ما نبذه البحر ميتا، قاله أبو بكر، وعمر، وابن عمر، وأبو أيوب، وقتادة.

والثاني: أنه مالحه، قاله سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير^(٤)، والشَّدي، وعن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة كالقولين.

(١) في (م): (قال أحمد: يؤكل جميع ما في الموت البحر)!.

(٢) قوله: (لأن التمساح)، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) في (م): (في البحر).

(٤) في (م): (قاله سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب).

واختلفت الرواية عن النخعي، فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المليح، وما لَفَظُهُ.

والثالث: أنه ما نبت بهائه من زروع البرِّ، وإنما قيل لهذا: طعام البحر، لأنه ينبت بهائه، حكاه الزَّجَّاج^(١).

وفي «المتاع» قولان:

أحدهما: أنه المنفعة، قاله ابن عَبَّاسٍ، والحسن، وقتادة.

والثاني: أنه الحِلُّ؛ قاله النخعي.

قال مقاتل: متاعاً لكم يعني المقيمين، وللسيارة، يعني المسافرين^{(٢)(٣)}.

قوله: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

أما الاصطياد فمحرم على المخرم^(٤)، فإن صيد لأجله، حرم عليه أكله خلافاً لأبي حنيفة، فإن أكل فعلية الضمان خلافاً لأحد قولي الشافعي.

فإن ذبح المحرم صيداً، فهو ميتة، خلافاً لأحد قولي الشافعي أيضاً^(٥).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٠٩).

(٢) في (ج): (والسيارة والمسافرين).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٦).

(٤) قوله: (على المحرم)، ليس في (ج).

(٥) ليست في (ج).

فإن ذبح الحلال صيدًا في الحرم، فهو ميتة أيضًا، خلافًا^(١) لأكثر الحنفية.
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ
 وَالْقُلُوبَ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
 (١٧) أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)﴾ [المائدة: ٩٧، ٩٨].

قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾ «جعل» بمعنى: صَيَّرَ.

وفي تسمية الكعبة «كعبة» قولان:

أحدهما: لأنها مربّعة، قاله عكرمة، ومجاهد.

والثاني: لعلوها وتوثها، يقال: كعبت المرأة كعباً، وهي كاعب، إذا
 نتأثديها^(٢).

ومعنى تسمية البيت حرام:

أنه حَرُم أن يُصَاد عنده، وأن يُحْتَلَى ما عنده من الخلا، وأن يُعْصَدَ
 شجره، وعظمت حرمة.

والمراد: بتحريم البيت سائر الحرم، كما قال: ﴿هَذَا بِلِغِ الْكَعْبَةِ﴾
 وأراد: الحرم. والقيام: بمعنى القوام.

(١) ليست في (ج).

(٢) من قوله: (لأحد قولي الشافعي أيضاً) ... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: جوهرة اللغة (١/ ٣٦٥)، والصحاح (١/ ٢١٣)، والمخصص (١/ ٦٦)، ولسان
 العرب (١/ ٧١٩)، والقاموس المحيط (١/ ١٣١).

وقرأ ابن عامر: «قيماً» بغير ألف^(١).

قال أبو علي: وجهه على أحد أمرين، إما أن يكون جعله مصدراً، كالشَّيع. أو حذف الألف وهو يريد بها، كما يُقصر الممدود^(٢).

وفي معنى الكلام ستة أقوال:

أحدها: قياماً^(٣) للدين^(٤)، ومعالم للحج^(٥)، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: قياماً لأمرٍ من توجه إليها، رواه العوفي عن ابن عباس.

قال قتادة: كان الرجل لو جرَّ كلَّ جريرة، ثم لجأ إليها^(٦)، لم يتناول^(٧).

والثالث: قياماً لبقاء الدين، فلا يزال في الأرض دين ما حُجَّت واستقبلت، قاله الحسن.

والرابع: قوام دنيا^(٨) وقوام دين، قاله أبو عبيدة^(٩).

(١) انظر: السبعة (١/٢٢٦)، والحجة (٣/٢٥٨)، والمبسوط (١/١٨٨).

(٢) انظر: السبعة (٢/٢٥٩).

(٣) في (ج): (قواماً).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ر): (للناس).

(٥) في (ت)، و(م)، و(ر): (ومعالم الحج).

(٦) من قوله: (رواه العوفي)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٧) رواه ابن جرير الطبري (٩/٩)، وابن المنذر (٧٣٥) في تفسيرهما من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بلفظ مطول.

(٨) في (ج): (دليل).

(٩) انظر: مجاز القرآن (١/١٧٧).

والخامس: قِيَامًا لِلنَّاسِ^(١)، أي: مما أُمروا أن يقوموا بالفرض فيه، ذكره الزَّجَّاج^(٢).

والسَّادس: قِيَامًا لِمَعَايِشِهِمْ وَمَكَاسِبِهِمْ بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّجَارَةِ [٢١٣/ب] عندها^(٣)، ذكره بعض المفسرين.

فأما «الشَّهْرُ الْحَرَامُ» فالمراد به الأشهر الحرم، كانوا يأمن بعضهم بعضًا فيها، فكان ذلك قوامًا لهم، وكذلك إذا أهدى الرَّجُلُ هَدِيًّا أَوْ قَلَّدَ بَعِيرَهُ أَمِنْ كَيْفَ تَصَرَّفَ، فجعل الله تعالى هذه الأشياء عصمة للناس بما جعل في صدورهم من تعظيمها.

قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا﴾.

ذكر ابن الأنباري في المشار إليه بذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى أخبر في هذه السورة بغيوب كثيرة من أخبار الأنبياء وغيرهم، وأطلع على أشياء من أحوال اليهود والمنافقين، فقال: ذلك لتعلموا، أي: ذلك الغيب الذي أنبأتكم به عن الله يدلُّكم على أنه يعلم ما في السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَلَا يَخْفَى^(٤) عليه خافية.

(١) في (ت)، و(ر): (والخامس: وللناس).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢١٠).

(٣) في (ت)، و(ر): (عنده).

(٤) في (ت)، و(ر): (تخفى).

والثاني: أن العرب^(١) كانت تسفك الدماء بغير حلّها، وتأخذ الأموال بغير حقّها، ويقتل أحدهم غير القاتل، فإذا دخلوا البلد الحرام، أو دخل الشهر الحرام، كفّوا عن القتل.

والمعنى: جعل الله الكعبة أمناً، والشّهر الحرام أمناً، إذ لو لم يجعل للجاهلية وقتاً يزول فيه الخوف لهلكوا، فذلك يدلّ على أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض^(٢).

والثالث: أن الله تعالى صرف قلوب الخلق إلى مكّة في الشّهور المعلومة، فإذا وصلوا إليها عاش أهلها معهم، ولولا ذلك ماتوا جوعاً، لعلمه بما في ذلك من صلاحهم، وليستدلّوا بذلك على أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض.

والرّابع: أن الله تعالى جعل مكّة^(٣) أمناً، وكذلك الشّهر الحرام، فإذا دخل الطّبي الوحشيّ الحرم، أنس بالنّاس، ولم ينفر من الكلب، ولم يطلبه الكلب^(٤)، فإذا خرجا^(٥) عن حدود الحرم^(٦)، طلبه الكلب، ودّعِر هو منه، والطائر يأنس بالنّاس في الحرم، ولا يزال يطير حتى يقرب من البيت، فإذا

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ت)، و(ر): (وفي الأرض).

(٣) في (ت)، و(ر): (الكعبة).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ج): (خرج).

(٦) من قوله: (أنس بالناس)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

قرب منه عدل عنه، ولم يطرُ فوقه إجلالاً له، فإذا لحقه وجعٌ طرح نفسه على سقف البيت استشفاءً به، فهذه الأعاجيب في ذلك المكان، وفي ذلك الشهر الحرام قد دُلِّلَ على أن الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (١١)

[المائدة: ٩٩].

قوله: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ في هذه الآية تهديدٌ شديدٌ.

وزعم مقاتل أنها نزلت والتي بعدها، في أمر شريح بن ضبيعة وأصحابه، وهم حجَّاج اليمامة حيث همَّ المسلمون بالغارة عليهم^(١).

وقد سبق ذكر ذلك في أول السورة.

وهل هذه الآية محكمة، أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: أنها محكمة، وأنها تدلُّ على أن الواجب على الرسول التبليغ، وليس عليه الهدى^(٢).

والثاني: أنها كانت قبل الأمر بالقتال، ثم نسخت بآية السيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَكُونُ لَكُمْ لَعْنٌ لِّلَّذِينَ لَا هُمْ إِلَّا لَبِيسٌ لِّمَن يَخْتِئُ﴾ (١٠٠) [المائدة: ١٠٠].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٠٧).

(٢) من قوله: (أحدهما: أنها محكمة)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

[٢١٤/أ] قوله: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ﴾.

روى جابر بن عبد الله أن رجلاً قال: يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيْبَ»^(١) فنزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ^(٢).

وفي ﴿الْخَيْثُ﴾، ﴿وَالطَّيْبُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: الحلال والحرام، قاله ابن عباس، والحسن.

والثاني: المؤمن والكافر، قاله السدي.

والثالث: المطيع والعاصي.

والرابع: الرديء والجيد، ذكرهما الماوردي^(٣).

ومعنى «الإعجاب» هاهنا: السُّرور بما تعجب^(٤) منه.

(١) في (ج): (طيباً).

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٠) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَالطَّعْنِ فِي الْأَنْسَابِ، إِلَّا إِنْ الْخَمْرَ لِعَيْنِ شَارِبِهَا وَعَاصِرُهَا وَسَاقِيهَا وَبَائِعُهَا وَآكِلُ ثَمَنِهَا»، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ رَجُلًا كَانَتْ هَذِهِ تِجَارَتِي، فَأَعْتَقْتُ مِنْ بَيْعِ الْخَمْرِ مَالًا فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلِكَ الْمَالُ إِنْ عَمِلْتُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «إِنْ أَنْفَقْتَهُ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ لَمْ يَغْدِلْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، إِنْ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيْبَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ﴾ فَالْخَيْثُ: الْحَرَامُ.

(٣) انظر: النُّكْتُ والعِيُون (٢/ ٧٠).

(٤) في (ج): (يتعجب).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ قَسَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة: ١٠١].

قوله: ﴿لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾.

في سبب نزولها ستة أقوال:

أحدها: أن الناس سألوا النَّبِيَّ ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضباً خطيباً، فقال: «سَلُونِي، فوالله لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا إِلَّا بَيَّنَّتُهُ لَكُمْ»، فقام رجل من قريش، يقال له: عبد الله بن حذافة كان إذا لاحى يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبيَّ الله مَنْ أَبِي؟ قال: «أَبُوكَ حُذَافَةُ» فقام آخر، فقال: يا نبيَّ الله أَيْنَ أَبِي؟^(١) قال: «فِي النَّارِ» فقام عمر فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، إِنَّا حديثو عهدٍ بجاهلية، والله أعلم مَنْ آبَاؤُنَا، فسكن غضبه ﷺ، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن أبي هريرة^(٢)، وقتادة عن أنس^(٣).

والثاني: أن رسول الله ﷺ خطب الناس، فقال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ» فقام عكاشة بن محصن، فقال: أفي كُلِّ عامٍ يا رسول الله؟ فقال: «أَمَّا إِنِّي لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمُ تَرَكْتُمْ لَصَلَلْتُمْ، اسْكُتُوا عَنِّي مَا سَكَتُ

(١) في (ت)، و(ر): (فقام فقال: أين أنا؟)، وفي (ج)، و(م): (فقام آخر فقال: أين أنا؟).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٧٧/٣)، والبخاري (٧٠٨٩)، ومسلم (٢٣٥٩) بألفاظ مختصرة ومطولة.

عَنْكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ^(١) بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ» فنزلت هذه الآية، رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة^(٢).

وقيل: إن السائل عن ذلك الأقرع بن حابس.

والثالث: أن قومًا كانوا يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: مَنْ أبي؟ ويقول الرجل تضلُّ ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية، رواه^(٣) أبو الجويرية عن ابن عباس^(٤).

والرابع: أن قومًا سألوا رسول الله ﷺ عن البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاهد عن ابن عباس^(٥)، وبه قال ابن جُبَيْر.

والخامس: أن قومًا كانوا يسألون الآيات والمعجزات، فنزلت هذه الآية، روي هذا المعنى عن عكرمة^(٦).

والسادس: أنها نزلت في تمنِّيهم الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذنَ لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحبِّ الأعمال إلى الله، ذكره أبو [٢١٤/ب] سليمان الدمشقي.

(١) في (ج): (فإنما هلك من هلك ممن كان قبلكم).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/٩)، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/٢٠٦) من طريق الحسين بن واقد، عن محمد بن زياد الجمحي، به.

(٣) ليست في (ج).

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٢)، وابن جرير الطبري (١٤/٩)، وابن أبي حاتم (٦٨٧٧) في تفسيرهما.

(٥) رواه سعيد بن منصور (٨٣٩)، وابن جرير الطبري (٩/٢٢) في تفسيرهما من طريق عتاب بن بشير، عن خصيف بن عبد الرحمن الجزري، به، بنحوه.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٢٢).

قال الزَّجَّاجُ: ﴿أَشْيَاءٌ﴾ في موضع خفضٍ إلا أنها فتحت، لأنها لا تنصرف^(١).
و﴿تُبَدِّلُكُمْ﴾: تظهر لكم. فأعلم الله تعالى أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، لأنه يسوء الجواب عنه.

وقال ابن عباسٍ: ﴿إِنْ تُبَدِّلُكُمْ﴾ أي: إِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ فِيهَا بِتَغْلِيظٍ سَاءَ كُمْ^(٢) ذَلِكَ^(٣).

قوله: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾.

أي: حين ينزل القرآن فيها بفرض أو إيجاب، أو نهي أو حكم، وليس في ظاهر ما نزل دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتهم حينئذ عنها تبدل لكم.

وفي قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ قولان:

أحدهما: أنها إشارة إلى الأشياء.

والثاني: إلى المسألة.

فعلى القول الأول في الآية تقديم وتأخير. والمعنى: لا تسألوا عن أشياء إن تبدل لكم تسؤكم، عفا الله عنها. ويكون معنى: عفا الله عنها: أمسك^(٤) عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكماً.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٢).

(٢) في (ج): (شانكم).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٢٥) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباسٍ.

(٤) من قوله: (عفا الله عنها)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

وعلى القول الثاني، الآية على نظمها، ومعنى: عفا الله عنها: لم يؤاخذ بها.
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ (١٠٢)
[المائدة: ١٠٢].

قوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾.

في هؤلاء القوم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الذين سألوا عيسى نزول المائدة، قاله ابن عباس، والحسن.
والثاني^(١): أنهم قوم صالح حين سألوا الناقة، هذا على قول السدي.
وهذان القولان يخرجان على أنهما سألوا الآيات.

والثالث: أن القوم هم الذين سألوا في شأن البقرة وذبحها، فلو
ذبحوا بقرة لأجزأت، ولكنهم شددوا فشدد عليهم، قاله ابن زيد.
وهذا يخرج^(٢) على سؤال من سأل عن الحج، إذ لو أراد الله أن يشدد
عليهم^(٣) بالزيادة في الفرض لشدد.

والرابع: أنهم الذين قالوا للنبي لهم: ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل
الله، وهذا عن ابن زيد أيضا. وهو يخرج على [قول]^(٤) من قال: إنما
سألوا عن الجهاد والفرائض تمنيا لذلك.

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): (ويخرج).

(٣) ليست في (ج).

(٤) زيادة من (ت)، و(م)، و(ر).

قال مقاتل: كان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم بها تركوا قولهم ولم يصدقوهم، فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين^(١).

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَرَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٣) [المائدة: ١٠٣].

قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ أي: ما أوجب ذلك، ولا أمر به.

وفي «البحيرة» أربعة أقوال:

أحدها: أنها الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً نحروه، فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى شقوا أذنها، وكانت حراماً على النساء^(٢) لا يتنفعن بها، ولا يذقن من لبنها، ومنافعها للرجال خاصة، فإذا ماتت، اشترك فيها الرجال والنساء، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة^(٣).

والثاني: أنها الناقة تلد خمس إناث ليس فيهن ذكر، فيعمدون إلى الخامسة، فيبتكون أذنها، قاله عطاء.

والثالث: أنها ابنة السائبة، قاله ابن إسحاق، والفرأ^(٤). [أ/٢١٥]

قال ابن إسحاق: كانت الناقة إذا تابعت بين عشر إناث، ليس

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٠٩/١).

(٢) في (م): (وكانت على النساء حراماً).

(٣) انظر: غريب القرآن (١٢٨/١).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣٢٢/١).

فيهِنَّ ذَكَرَ، سُيِّتَ، فَإِذَا نَتَجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْثَى، شَقَّتْ أُذُنَهَا، وَسَمَّيَتْ بِحَيْرَةٍ، وَخَلَّيْتُ مَعَ أُمِّهَا^(١).

وَالرَّابِعُ: أَنَّهَا النَّاقَةُ كَانَتْ إِذَا نَتَجَتْ خَمْسَةَ أَبْطَنَ، وَكَانَ آخِرُهَا ذَكَرًا بِحَرَوْا أُذُنَهَا، أَي: شَقُّوْهَا، وَامْتَنَعُوا مِنْ رُكُوبِهَا وَذَبَحُوهَا، وَلَا تَطْرُدْ عَنْ مَاءٍ، وَلَا تَمْنَعْ عَنْ مَرْعَى، وَإِذَا لَقِيَهَا الْمُعْيَى لَمْ يَرْكَبْهَا، قَالَه الزَّجَّاجُ^(٢).

فَأَمَّا «السَّائِبَةُ»، فَهِيَ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى: مَفْعُولَةٌ، وَهِيَ الْمَسِيَّةُ، كَقَوْلِهِ: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الْحَاقَّةُ: ٢١]: أَي مَرْضِيَّةً.

وَفِي «السَّائِبَةِ» خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا الَّتِي تُسَيَّبُ مِنَ الْأَنْعَامِ لِلْآلِهَةِ، لَا يَرْكَبُونَ لَهَا ظَهْرًا، وَلَا يَحْلِبُونَ لَهَا لَبَنًا، وَلَا يَجْزُونُ مِنْهَا وَبْرًا، وَلَا يَحْمِلُونَ عَلَيْهَا شَيْئًا، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ^(٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤).

وَالثَّانِي: أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يُسَيَّبُ مِنْ مَالِهِ مَا شَاءَ، فَيَأْتِي بِهِ إِلَى خَزْنَةِ الْآلِهَةِ، فَيُطْعَمُونَ ابْنَ^(٥) السَّبِيلِ مِنْ أَلْبَانِهِ وَلَحُومِهِ إِلَّا النِّسَاءَ، فَلَا يَطْعَمُونَهُنَّ شَيْئًا مِنْهُ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ، فَيَشْتَرِكُ^(٦) فِيهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، رَوَاهُ أَبُو

(١) انظر: غريب الحديث؛ لابن قتيبة (١/ ٤٢٥)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٧٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

(٣) في (ج): (أبو صالح).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٩/ ٣٥)، وابن أبي حاتم (٦٨٩٢) في تفسيرهما.

(٥) ليست في (م).

(٦) في (م): (فيشترط).

صالح عن ابن عباس.

وقال الشعبي: كانوا يهدون ألهتهم الإبل والغنم، ويتركونها عند الآلهة، فلا يشرب منها إلا رجل، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء^(١).

والثالث: أنها الناقة إذا ولدت عشرة أبطن، كلهن إناث، سيئت، فلم تتركب، ولم يُجَزَّ لها وبر، ولم يشرب لبنها إلا ضيف أو ولدها حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء، ذكره الفراء^(٢).

والرابع: أنها البعير يُسيَّب بنذر يكون على الرجل إن سلَّمه الله تعالى من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك، قاله ابن قتيبة^(٣).

قال الزجاج: كان الرجل إذا نذر لشيء من هذا، قال: ناقتي سائبة، فكانت^(٤) كالبحيرة في أن لا ينتفع بها ولا تمنع من ماء ومرعى^(٥).

والخامس: أنه البعير يحجُّ عليه الحجة، فيُسيَّب، ولا يستعمل شكرًا لنَجْحِها، حكاه الماوردي عن الشافعي^(٦).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٣/٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/٣٢٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/١٢٨).

(٤) في (م): (وكانت).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢١٣).

(٦) انظر: الأم (٦/١٩٨) وعبارته هكذا: «وَهُرَ الْبَعِيرُ يُنَجُّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ الْحَاجَّةَ أَوْ يَتَدَيَّ الْحَاجَّةَ أَنْ يُسَيِّبَهُ فَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ» انتهى.

وفي «الوصيلة» خمسة أقوال:

أحدها: أنها الشاة [كانت]^(١) إذا نتجت سبعة أبطن، نظروا إلى السَّابع^(٢)، فإن كان أنثى، لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكرًا، ذبحوه، فأكلوه جميعًا، وإن كان ذكرًا وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فترك مع أخيها فلا تذبح، ومنافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت، اشترك فيها الرجال والنساء^(٣)، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

[٢١٥/ب] وذهب إلى نحوه ابن قتيبة فقال: إن كان السَّابع ذكرًا، ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كان أنثى، تركت في الغنم، وإن كان ذكرًا وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح، لمكانها، وكانت لحومها حرامًا على النساء، ولبن^(٤) الأنثى حرامًا على النساء إلا أن يموت^(٥) منها شيء فيأكله الرجال والنساء^(٦).

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ر): (الرابع).

(٣) في (ج)، و(م): (كانت).

(٤) في (ت)، و(ر): (اشترك الرجال والنساء فيها).

(٥) في (ج): (لأن).

(٦) في (ج): (تموت).

(٧) انظر: غريب القرآن (١/١٢٨-١٢٩).

والثاني: أنها الناقة البكر تبتكر في أول نتاج الإبل بالأنثى، ثم تنثي بالأنثى، فكانوا يستبقونها لطواغيتهم، ويدعونها الوصيلة، أي: وصلت إحداها بالأخرى، ليس بينهما ذكر، رواه الزهري عن ابن المسيب.

والثالث: أنها الشاة تنتج عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، فيدعونها الوصيلة، وما ولدت بعد ذلك فللذكور دون الإناث، قاله ابن إسحاق.

والرابع: أنها الشاة تنتج سبعة أبطن، عناقين عناقين، فإذا ولدت في^(١) سابعها عناقًا وجديا، قيل: وصلت أخاها، فجرت مجرى السائبة، قاله الفراء^(٢).

والخامس: أن الشاة كانت إذا ولدت أنثى، فهي لهم، وإذا ولدت ذكرا جعلوه لأهنتهم، فإن ولدت ذكرا وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبخوا الذكر لأهنتهم^(٣)، قاله الزجاج^(٤).

وفي «الحام» ستة أقوال:

أحدها: أنه الفحل، ينتج^(٥) من صلبه عشرة أبطن، فيقولون: قد حمى ظهره، فيسيئون لأصنامهم، ولا يحمل عليه، قاله ابن مسعود، وابن عباس، واختاره أبو عبيدة، والزجاج^(٦).

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٣) من قوله: (فإن ولدت ذكرا وأنثى)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

(٥) في (ت)، و(ر): (تنتج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

والثاني: أنه الفحل يولد لولده، فيقولون: قد حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه، ولا يجزؤون وبره، ولا يمنعونه ماءً، ولا مرعى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الفراء^(١)، وابن قتيبة^(٢).

والثالث: أنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته، وبنات بناته، قاله عطاء.

والرابع: أنه الذي ينتج له سبع إناث متواليات، قاله ابن زيد.

والخامس: أنه الذي لصلبه عشرة كلُّها تضرب^(٣) في الإبل، قاله أبو روق.

والسادس: أنه الفحل يضرب في إبل الرّجل عشر سنين، فيخلّى، ويقال: قد حمى ظهره، ذكره الماوردي عن الشافعي^(٤).

قال الزّجاج: والذي ذكرناه في البحيرة، والسّائبة، والوصيلة، والحام أثبت ما روينا عن أهل اللغة^(٥).

وقد أعلم الله ﷻ في هذه الآية أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً، وأن الذين كفروا افتروا على الله ﷻ.

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٢٩).

(٣) في (ت)، و(ر): (يضرب).

(٤) انظر: النّكت والعيون (٢/ ٧٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٣).

قال مقاتل: وافترأوهم: قولهم: إن الله حَرَّمه، وأمرنا به^(١).

وفي قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قولان:

أحدهما: وأكثرهم، يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حَرَّموا^(٢)، قاله الشعبي.

والثاني: لا يعقلون أن هذا التحريم من الشيطان، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني: إذا قيل لهؤلاء المشركين الذين حَرَّموا على أنفسهم هذه الأنعام: ﴿تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في القرآن من تحليل ما حَرَّمتم على أنفسكم، قالوا: ﴿حَسْبُنَا﴾ أي: يكفينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدين والمنهاج ﴿أُولَئِكَ كَانُوا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من الدين^(٣) ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ له، أتبعونهم في خطئهم^(٤).

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٠).

(٢) قوله: (الذين حَرَّموا)، ليس في (ج).

(٣) قوله: (من الدين)، ليس في (ج).

(٤) في (ج): (خطاياهم).

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن النبي ﷺ كتب إلى هَجْر، وعليهم المنذر بن ساوي يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فليؤدوا الجزية، فلما أتاه الكتاب، عرضه على مَنْ عنده من العرب واليهود والنصارى والمجوس، فأقرؤا بالجزية، وكرهوا الإسلام، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «أَمَّا الْعَرَبُ فَلَا نَقْبَلُ^(١) مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ، وَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسُ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ». فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ أسلمت العرب، وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية، فقال منافقو مكة: عجباً لمحمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة^(٢) حتى يسلموا، وقد قبل من مجوس هَجْر، وأهل الكتاب الجزية، فهلاً أكرههم على الإسلام^(٣)، وقد ردّها على إخواننا من العرب، فشقّ ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٤).

وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب فلما أسلمت العرب طوعاً وكرهاً، قبلها من مجوس هَجْر، فطعن المنافقون في ذلك، فنزلت هذه الآية^(٥).

(١) في (ج): (فلا يُقبل).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ج): (فهلاً أكرههم حتى يسلموا).

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٢) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، به. ومحمد بن السائب الكلبي متروك.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١١).

والثاني: أن الرجل كان إذا أسلم، قالوا له^(١): سَفَّهْتَ آبَاءَكَ وَضَلَلْتَهُمْ، وكان ينبغي لك^(٢) أن تنصرهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد^(٣).

قال الزَّجَّاج: ومعنى الآية: إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم، وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف، لأن المؤمن إذا تركه وهو مستطيع له، فهو ضالٌّ، وليس بمهتدٍ^(٤).

وقال عثمان بن عفان: لم يأت تأويلها بعد^(٥).

وقال ابن مسعود: تأويلها في آخر الزَّمان: قولوا ما قبل منكم، فإذا غلبتم، فعليكم أنفسكم^(٦).

وفي قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٧) قولان:

أحدهما: لا يضرُّكم من ضلَّ بترك الأمر بالمعروف إذا اهتديتم أنتم للأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، قاله حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وابن المسيَّب.

والثاني: لا يضرُّكم من ضلَّ من أهل الكتاب إذا أدَّوا الجزية، قاله مجاهد.

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٥٤ / ٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢ / ٢١٤).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبْرِي (٩ / ٤٤).

(٦) رواه أبو عبيد في النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ (٥٢٦)، وابن جرير الطَّبْرِي (٩ / ٤٦)، وابن أبي حاتم (٦٩٢٢) في تفسيرهما.

(٧) قوله: (إذا اهتديتم)، ليس في (م).

وفي قوله: ﴿فَيُنذِرُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبيهٌ على الجزاء.

فصل

فعلى ما ذكرنا عن الزَّجَّاج في معنى الآية، هي محكمة، وقد ذهب قومٌ من المفسرين إلى أنها منسوخة.

ولهم في ناسخها قولان:

أحدهما: أنه آية السَّيف.

والثاني: أن آخرها نسخ أولها.

روي عن أبي عبيد أنه قال: ليس في القرآن آية^(١) جمعت النَّاسِخَ والمنسوخَ غير هذه، وموضع المنسوخ منها إلى قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ والنَّاسِخ: قوله: ﴿إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾^(٢).

و«الهدى» هاهنا: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّ مِنَ الْآثِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦].

قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ﴾.

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: النَّاسِخَ والمنسوخ؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ٢٨٦).

روى سعيد بن جبّار عن ابن عباس قال: كان تميم الدّاري، وعدي بن بدّاء يَخْتَلِفَانِ إلى مكة، فصحبهما رجلٌ من قريش من بني سهم، فمات بأرض ليس فيها^(١) أحد من المسلمين، فأوصى إليهما بتركته، فلما قدما، دفعاها إلى أهله، وكتما جامًا كان معه من فضة، وكان مخوَصًا بالذهب، فقالا: لم نره، فأُتي بهما إلى النَّبِيِّ ﷺ فاستحلفهما بالله: ما كتما، وخلق سبيلهما، ثم إن الجاهل وجدَّ عند قومٍ من أهل^(٢) مَكَّة، فقالوا: ابتعناه من تميم الدّاري، وعدي بن بدّاء^(٣)، فقام أولياء السَّهمي، فأخذوا الجاهل، وحلفوا^(٤) رجلان منهم^(٥) بالله^(٦): إن هذا الجاهل جام صاحبنا، وشهادتنا أحق من شهادتهما، وما اعتدينا، فنزلت هذه الآية، والتى بعدها^(٧).

قال مقاتل: واسم الميِّت: بُزَيْلُ بن أبي مارية مولى العاص بن وائل السَّهمي، وكان تميم، وعدي نصرانيَّين، فأسلم تميم، ومات عدي نصرانيًّا^(٨).

(١) في (ت)، و(ر): (بها).

(٢) ليست في (م).

(٣) في (ج): (زيد).

(٤) في (ت)، و(م)، و(ر): (وحلّف).

(٥) في (م): (منهما).

(٦) ليست في (م).

(٧) رواه البخاري في التَّاريخ الكبير (٢١٥ / ١)، والتَّرمذي (٣٠٦٠)، والطَّبْراني في الكبير (١٢٥٠٩)، والدَّارقطني في السنن (٤٣٤٨).

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥١١ / ١).

فأما التفسير:

فقال الفرّاء: معنى الآية: ليشهدكم اثنان إذا حضر أحدكم الموت^(١).

قال الزّجاج: المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين^(٢)، فحذف^(٣) «شهادة» ويقوم «اثنان» مقامهما^(٤).

وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت، وأردتم الوصيّة اثنان.

وفي هذه الشّهادة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الشّهادة على الوصيّة التي^(٥) ثبتت عند الحكّام، وهو قول ابن مسعود، وأبي موسى، وشريح، وابن أبي ليلى، والأوزاعي، والثوري، والجمهور.

والثاني: أنها أيّمان الوصي بالله تعالى إذا ارتاب الورثة بهما، وهو قول مجاهد.

والثالث: أنها شهادة الوصيّة، أي: حضورها، كقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٣٣]، جعل الله الوصي هاهنا اثنين تأكيداً، واستدلّ

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٣).

(٢) في (ت)، و(ر): (المعنى: شهادة اثنين).

(٣) في (ت)، و(ر): (تُحذف).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٤).

(٥) ليست في (ج).

أرباب هذا القول بقوله: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ قالوا: والشَّاهد لا يلزمه يمين^(١).

فأما «حضور الموت» فهو حضور أسبابه ومقدماته.

قوله: ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ أي: وقت الوصية.

وفي قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: من أهل دينكم وملئتكم، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبَر، وشريح، وابن سيرين، والشَّعبي، [٢١٦/أ] وهو قول أصحابنا.

والثاني: من عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضًا، قاله الحسن، وعكرمة، والزُّهري، والسُّدي.

قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ^(٢)﴾ تقديره: أو شهادة آخرين.

وفي قوله: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: من غير ملتكم ودينكم، قاله أرباب القول الأول.

والثاني: من غير عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضًا، قاله أرباب القول الثاني.

وفي «أو» قولان:

أحدهما: أنها ليست للتَّخيير، وإنما المعنى: أو آخران من غيركم إن لم

(١) في (ت)، و(ر): (قالوا: والشَّاهد تلزمه).

(٢) قوله: (من غيركم)، ليس في (م).

تجدوا منكم، وبه قال ابن عباس، وابن جُبَيْر.

والثاني: أنها للتخير، ذكره الماوردي^(١).

فصل

والقائل بأن^(٢) المراد بالآية شهادة مسلمين من القبيلة، أو من غير القبيلة لا يشك في إحكام هذه الآية.

فأما القائل بأن المراد بقوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أهل الكتاب إذا شهدوا على الوصيَّة في السفر.

فلهم^(٣) فيها قولان:

أحدهما: أنها محكمة، والعمل على هذا باق، وهو قول ابن عباس، وابن المسيب، وابن جُبَيْر، وابن سيرين، وقتادة، والشَّعْبِي، والثَّوْرِي، وأحمد في آخرين.

والثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ {الطلاق: ٢} وهو قول زيد بن أسلم، وإليه يميل أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، قالوا: وأهل الكفر ليسوا بعدول.

والأول أصح، لأن هذا موضع ضرورة كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن بالحيض والنَّفاس والاستهلال.

(١) انظر: النُّكْتُ والعيون (٧٥ / ٢).

(٢) في (ج): (أن).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) هذا الشرط متعلق بالشَّهادة، والمعنى: ليشهدكم اثنان إن أنتم ضربتم في الأرض، أي: سافرتم. ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ فيه محذوف، تقديره: وقد أسندتم الوصية^(٢) إليهما، ودفعتم إليهما مالكم.

﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ خطابٌ للورثة إذا ارتابوا^(٣).

وقال ابن عباس: هذا من صلة قوله: ﴿أَوْءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من الكفار، فأما إذا كانا مسلمين، فلا يمين عليهما^(٤).

وفي هذه الصَّلَاة قولان:

أحدهما: صلاة العصر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال شريح، وابن جُبَيْر، وإبراهيم، وقتادة، والشَّعْبِيُّ. والثَّاني: من بعد صلاتهما في دينهما، حكاه السُّدِّي عن ابن عباس. وقال^(٥) به.

قال الرَّجَّاج: كان النَّاس بالحجاز يخلفون بعد صلاة العصر، لأنه وقت اجتماع النَّاس^(٦).

(١) قوله: (في الأرض) من (ج).

(٢) في (م): (المصيبة).

(٣) في (ت)، و(ر): (إذا تابوا).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٦٦/٩) من طريق العَوْفِي مختصراً.

(٥) كلمة (قال) ليست في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢١٦/٢).

وقال ابن قتيبة: لأنه وقت يعظمه أهل الأديان^(١).

قوله: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: فيحلفان ﴿إِنْ أَرَبْتُمَا﴾ أي: شككتما يا أولياء الميت.

[٢١٦/ب] ومعنى الآية: إذا قدم الموصي إليهما بركة المتوفى، فاتهمهما الوارث، استحلفا بعد صلاة العصر: أنهما لم يسرقا، ولم يخونا.

فالشَّرْط في قوله: ﴿إِنْ أَرَبْتُمَا﴾ متعلق بـ ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾، كأنه قال: إن ارتبتم حبستموهما فاستحلفتموهما، فيحلفان بالله: [لَا نَشْتَرِي بِهِ] أي: بأيماننا، وقيل: بتحريف شهادتنا، فالهاء عائدة على المعنى.

﴿ثُمَّ﴾ أي: عرضاً من الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أي: ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، وخصّ ذا القرابة، لميل القريب إلى قريبه. والمعنى: لا نحابي في شهادتنا أحداً، ولا نميل مع ذي القربى في قول الزور ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ إنما أضيفت إليه، لأمره بإقامتها، ونهيه عن كتمانها.

وقرأ سعيد بن جبّير: «ولا نكتم شهادة» بالتنوين، «الله» بقطع الهمزة وقصرها، وكسر الهاء، ساكنة النون في الوصل^(٢).

وقرأ سعيد بن المسيّب، وعكرمة: «شهادة» بالتنوين والوصل

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/٢١٩).

(٢) انظر: مختصر في شواذ القرآن (ص: ٤١)، وعزاها لسعيد بن جبّير، والشَّعْبِي.

منصوبة الهاء^(١).

وقرأ أبو عمران الجوني: «شهادة» بالتنوين وإسكانها في الوصل،
«الله» بقطع الهمزة وقصرها مفتوحة الهاء^(٢).

وقرأ الشعبي وابن السَّمِيف: «شهادة» بالتنوين وإسكانها في الوصل،
«الله» بقطع الهمزة، ومدّها، وكسر الهاء^(٣).

وقرأ أبو العالية، وعمر بن دينار مثله، إلّا أنّهما نصبا الهاء^(٤).

واختلف العلماء لأيّ معنى وجبت اليمين على هذين الشّاهدين:

على ثلاثة أقوال:

أحدها: لكونهما من غير أهل الإسلام، روي هذا المعنى عن أبي
موسى الأشعريّ.

والثاني: لو صيّّة وقعت بخطّ الميت فَقَدْ ورثتهُ بعض ما فيها، رواه
أبو صالح عن ابن عبّاس.

والثالث: لأن الورثة كانوا يقولون: كان مال ميّتنا أكثر^(٥)، فاستخانوا

(١) انظر: المصدر السابق، والبحر المحيط (٤/٣٩٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/٣٩٦).

(٣) انظر: مختصر في شواذ القرآن (ص: ٤١)، وإعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (١/٤٦٢).

(٤) انظر: البحر المحيط (٤/٣٩٦).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

الشَّاهِدِينَ، قاله الحسن، ومجاهد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٧) [المائدة: ١٠٧].

قوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾.

قال المفسرون:

لما نزلت الآية الأولى، دعا رسول الله ﷺ عدِيًّا وَتَمِيمًا، فاستحلفهما عند المنبر: أنهما لم يخونا شيئًا مما دفع إليهما فحلفا، وخلّى سبيلهما، ثم^(١) ظهر الإناء الذي كتماه، فرفعهما أولياء الميِّت إلى رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ (٢).

ومعنى [عُثِرَ]: أطلع أي: إن عشر أهل الميِّت، أو مَنْ يلي أمره، على أن الشَّاهِدِينَ اللَّذِينَ هُمَا آخِرَانِ مِنْ غَيْرِنَا ﴿اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ لميلهما^(٣) عن الاستقامة في شهادتهما ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقام هذين الخائنين ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ﴾.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي: «استَحَقَّ»

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: معالم التنزيل؛ للبغوي (٢/ ٩٨).

(٣) في (ت)، و(ر): (بميلهما).

بضم التاء، «الأُولَيَانِ» على التثنية^(١).

وفي قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنها الذمَّيَّان.

والثاني: الوليَّان.

فعلی الأول في معنى ﴿اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ﴾^(٣) أربعة أقوال:

[أ/٢١٧]

أحدها: استحقَّ عليهم الإيضاء، قال ابن الأنباري: المعنى: من القوم الذين استحقَّ فيهم الإيضاء، استحقَّه الأوليان بالميت.

وكذلك قال الزَّجَّاج: المعنى: من الذين استحقَّت الوصيَّة أو الإيضاء عليهم^(٤).

والثاني: أنه الظُّلم، والمعنى: من الذين استحقَّ عليهم ظلم الأوليان؛ فحذف الظُّلم، وأقام الأولين مقامه، ذكره ابن القاسم أيضًا.

والثالث: أنه الخروج مما قاما به من الشهادة، لظهور خيانتها.

والرَّابع: أنه الإثم، والمعنى: استحقَّ منهم الإثم، ونابت «على» عن «مِن» كقوله: ﴿عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] أي: منهم.

(١) في (م): (وَأَبَانَ عَنْ عَاصِمٍ عَلَى التَّثْنِيَةِ)، بدلاً من قوله: («الأُولَيَانِ» على التثنية).

(٢) انظر: السبعة (١/٢٤٨)، والحجَّة (١/١٣٥)، والمبسوط (١/١٨٨).

(٣) من قوله: (قولان)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢١٧).

قال القراء: «على» بمعنى «في» كقوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: في ملكه، ذكر القولين أبو علي الفارسي^(١).

وعلى هذه الأقوال مفعول «استحقَّ» محذوف مُقدَّر.

وعلى القول الثاني في معنى ﴿أَسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان:

أحدهما: استحقَّ منهم الأوليان، وهو^(٢) اختيار ابن قتيبة^(٣).

والثاني: جني عليهم الإثم، ذكره الزجاج^(٤).

فأما «الأوليان»: فقال الأخفش: الأوليان: اثنان، واحدهما^(٥): الأولى، والجمع: الأوليون^(٦).

ثم للمفسرين فيهما قولان:

أحدهما: أنها أولياء الميت، قاله الجمهور.

قال الزجاج: «الأوليان» في قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في «يقومان»، والمعنى: فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين^(٧).

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٤)، والحجّة (٣/ ٢٦٨).

(٢) في (ت)، و(ر): (وهذا).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٢٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٧).

(٥) في (ت)، و(ر): (أحدهما).

(٦) في (م): (الأولون).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢١٧).

وقال أبو علي: لا يخلو الأوليان أن يكون ارتفاعهما على الابتداء، أو يكون خبر مبتدأ محذوف^(١)، كأنه قال: فأخيران يقومان مقامهما هما^(٢) الأوليان، أو يكون بدلاً من الضمير الذي في «يقومان»، والتقدير: فيقوم الأوليان^(٣).

والقول الثاني: أن^(٤) الأوليان: هما الذمّيان، والمعنى: أنهما الأوليان بالخيانة، ذكره ابن الأنباري.

فيكون المعنى: يقومان، إلّا^(٥) من الذين استحق عليهم [الإثم، وهما الأوليان بالخيانة]^(٦).

قال الشاعر^(٧) [البيت من الطويل]:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهْيَانِ
أي: بدلاً من ماء زمزم^(٨).

(١) ليست في (ت)، و(ر).

(٢) ليست في (ت)، و(ر).

(٣) انظر: الحجة (٢٦٧/٣).

(٤) ليست في (ت)، و(ر).

(٥) قوله: (يقومان، إلّا)، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (ت)، و(م)، و(ر).

(٧) البيت ليعلى بن الأحول الكندي في خزانة الأدب (٥/ ٢٧٦، ٩/ ٤٥٣)، ولسان العرب (١٤/ ٤٢٦)، و(١٥/ ٤٧٧)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٢٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٧٧).

(٨) من قوله: (قال الشاعر)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

وروى ^(١) قرّة ^(٢) عن ابن كثير ^(٣)، وحفص عن عاصم: «استَحَقَّ» ^(٤)
بفتح التاء والحاء، «الأوليان» على التثنية ^(٥).

والمعنى ^(٦): استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها،
فحذف المفعول.

وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم ^(٧): «استُحِقَّ» برفع التاء، وكسر
الحاء، «الأوليين» بكسر اللام، وفتح النون على الجمع ^(٨).

والتقدير: من الأولين الذين استحق فيهم الإثم، أي: جني عليهم،
لأنهم كانوا أولين في الذكر، ألا ترى أنه قد تقدم ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على
قوله: ﴿أَوَّاهَ أَخْرَانٍ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾.

وروى الحلبي عن عبد الوارث: «الأوليين» بفتح الواو وتشديدها،
وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر النون، وهو تثنية: أول ^(٩).

(١) في (م): (روى).

(٢) في (م): (قرة عن ابن عباس).

(٣) في (ت)، و(ر): (وروي عن ابن كثير).

(٤) في (م): (ليستحق)!

(٥) انظر: السبعة (١/٢٤٨)، والمحرر الوجيز (٢/٢٥٤).

(٦) ليست في (م).

(٧) في (ت)، و(ر): (وقرأ أبو بكر عن عاصم).

(٨) انظر: البحر المحيط (٤/٣٩٩).

(٩) انظر: المحرر الوجيز (٢/٢٥٤).

وقرأ الحسن البصري: «استَحَقَّ» بفتح التاء والحاء، «الأولان» تثنية

«أول» على البدل من قوله: ﴿فَتَاخَرَانِ﴾^(١). [٢١٧/ب]

وقال ابن قتيبة: أشبه الأقوال بالآية أن الله تعالى أراد أن يعرّفنا كيف يشهد^(٢) بالوصية عند حضور الموت فقال: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ أي: عدلان من المسلمين، وعلم أن من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين^(٣)، وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم، ويحضره الموت، فلا يجد من يشهده من المسلمين، فقال: ﴿أَوْءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: من غير أهل دينكم، فالذميّان في السفر خاصّة إذا لم يوجد غيرهما، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنَّ آرْتَبْتُمْ﴾ أراد: تحبسونهما من بعد صلاة العصر إن ارتبتم^(٤) في^(٥) شهادتهما، وخشيتم أن يكونا قد خانّا، أو بدلاً فإذا حلفا، مضت شهادتهما، ﴿فَإِنْ عُرِ﴾ أي: ظهر على أنهما ﴿أَسْتَحَقَّآ إِنَّمَا﴾ أي: حنثا في اليمين بكذب أو خيانة، ﴿فَتَاخَرَانِ﴾ أي: قام في اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان، وهما الوليان يقال: هذا الأول بفلان، ثم يحذف من الكلام «بفلان»، فيقال:

(١) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٤١)، والمحرم الوجيز (٢/ ٢٥٤).

(٢) في (ت)، و(ر): (شهد)، وفي (ج): (نشهد).

(٣) من قوله: (وعلم أن من الناس)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) من قوله: (أراد: تحبسونهما)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٥) في (ت)، و(ر): (من).

(٦) ليست في (ج).

هذا الأولى، وهذان الأوليان^(١)، و«عليهم» بمعنى: «منهم» فيحلفان بالله: لقد ظهرنا على خيانة الذميين، وكذبهما، وما اعتدينا عليهما، ولشهادتنا أصح، لكفرهما وإيائنا، فترجع على الذميين بما اختانا، وينقض ما مضى من الحكم بشهادتهما تلك^(٢).

وقال غيره: ﴿لَشَهِدْنَا﴾ أي: ليميننا أحق، وسميت اليمين شهادة، لأنها كالشهادة على ما يحلف عليه أنه كذلك.

قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص، والمطلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا بالله، ودفع الإنياء إليهما وإلى أولياء الميت.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ١٠٨].

قوله: ﴿ذَلِكَ أَدَّى﴾ أي: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين، أقرب إلى إتيان أهل الذمة بالشهادة على وجهها، أي: على ما كانت، وأقرب أن يخافوا أن ترد أيمان أولياء الميت بعد أيمانهم، فيحلفون على خيانتهم، فيفتضحوا، ويغرموا، فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا ذلك. ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ أن تحلفوا كاذبين، أو تخونوا أمانة، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ الموعدة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

(١) من قوله: (وهما الوليان يقال: هذا)... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٩ - ٢٢١).

قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾.

قال الزَّجَّاج: نصب ﴿يَوْمَ﴾ محمول على قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واتقوا يوم جمعه للرُّسل، ومعنى مسألته للرُّسل توبيخ الذين أرسلوا إليهم^(١).

فأما قول الرُّسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾.

ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنهم طاشت عقولهم حين زفرت جهنم، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ثم تُرَدُّ إليهم عقولهم، فينطلقون بحجَّتْهم، رواه أبو الضُّحَى عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسُّدِّي.

والثاني: أن المعنى ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إِلَّا عِلْمُ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، رواه^(٢) ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾: ماذا عملوا بعدكم، وأحدثوا، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ قاله ابن جُرَيْج^(٣)، وفيه بُعْد. [٢/٢١٨]

والرَّابع: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ مع علمك، لأنك تعلم الغيب، ذكره الزَّجَّاج^(٤).

والخامس: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ كعلمك، إذ كنت تعلم ما أظهر القوم وما أضمرُوا، ونحن نعلم ما أظهرُوا، ولا نعلم ما أضمرُوا،

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢١٨).

(٢) ليست في (ج).

(٣) في (ت)، و(ر): (ابن جرير).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢١٨).

فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، هذا اختيار ابن الأنباري.

والسَّادس: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بجميع أفعالهم إذ كنا نعلم بعضها وقت حياتنا، ولا نعلم ما كان بعد وفاتنا، وإنما يُستحقُّ الجزاء بما تقع به الخاتمة، حكاها ابن الأنباري.

قال المفسِّرون: إذا ردَّ الأنبياء العلم إلى الله ^(١) أُبْلِستِ الأممُ، وعلمت أن ما أتته في الدنيا [كان] ^(٢) غير غائب عنه، وأن الكلَّ لا يخرجون عن قبضته. قوله: ﴿عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

قال الخطَّابي: «العلام»: بمنزلة العليم، وبناء «فَعَّال» بناء التَّكثِير ^(٣).

فأما [الْغُيُوبِ] فجمع غيب، وهو ما غاب عنك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ قال ابن عباسٍ: معناه: وإذ يقول.

قوله: ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ﴾.

(١) في (م): (قال المفسرون: إذا أراد العلم إلى الله).

(٢) زيادة من (ت)، و(ج)، و(ر).

(٣) انظر: شأن الدعاء (ص: ١٠٣).

في تذكيره النعم فائدتان:

إحدهما: إسماع الأمم ما خصّه به من الكرامة.

والثانية: توكيد حجّته على جاحده.

ومن نعمه على مريم أنه اصطفاها وطهرها، وأتاها برزقها من غير سبب.

وقال الحسن: المراد بذكر النعمة: الشكر.

فأما «النعمة» فلفظها لفظ الواحد، ومعناها الجمع.

فإن قيل: لم قال هاهنا: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ وفي «آل عمران»: ﴿فِيهِ﴾؟

فالجواب: أنه جائز أن يكون ذكر الطير على معنى الجميع، وأنث

على معنى الجماعة، وجاز أن يكون «فيه» للطير، «وفيها» للهيئة، ذكره

أبو علي^(١) الفارسي^(٢).

قوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم هاهنا، وفي «هود»، و[في]^(٣) «الصّف»^(٤):

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقرأ في «يونس»: ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ {الآية: ٢} بآلف.

(١) سقطت من (ت).

(٢) انظر: الحجة (٣/٤٤).

(٣) من (م).

(٤) ليست في (ت)، و(ر).

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، الأربعة: ﴿سِحْرٌ﴾ بغير ألف^(١).

فمن قرأ «سحر» أشار إلى ما جاء به، ومن قرأ «ساحر»، أشار إلى الشخص.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا
وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وفي الوحي إلى الحواريين قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الإلهام، قاله الفراء^(٢).

وقال السُّدِّي: قذف في قلوبهم^(٣).

والثاني: أنه بمعنى الأمر، فتقديره: أمرت الحواريين، و«إلى» صلة،
قاله أبو عبيدة^(٤).^(٥)

وفي قوله: ﴿وَأَشْهَدُ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم يعنون الله تعالى.

والثاني: عيسى عليه السلام.

وقوله: ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مخلصون للعبادة والتوحيد.

وقد سبق شرح ما أهمل هاهنا فيما تقدم.

(١) انظر: السبعة (١/٢٤٩)، والحجة (٣/٢٧٠)، والمبسوط (١/١٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/٣٢٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٩/١١٦)، وابن أبي حاتم (٧٠٠٥) في تفسيرهما.

(٤) في الأصل: (أبو عبيد)، والمثبت من بقية النسخ، وهو الصواب.

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/١٨٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المائدة: ١١٢].

قوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: هل يقدر^(١).

وقرأ الكِسَائِيُّ: «هل تستطيع» بالتاء، ونضُب «الرَّب»^(٢).

قال الفرَّاء: معناه: هل تقدر أن تسأل رَبَّكَ^(٣)^(٤).

قال ابن الأنباري: ولا يجوز لأحد أن يتوهم أن الحواريين شكُّوا [٢١٨/ب] في قدرة الله، وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه: هل تستطيع أن تقوم معي، وهو يعلم أنه مستطيع، ولكنه يريد: هل يسهل عليك. وقال أبو علي: المعنى: هل يفعل ذلك بمسألتك إِيَّاهُ^(٥).

وزعم بعضهم أنهم قالوا ذلك قبل استحكام إيمانهم ومعرفتهم، فردَّ عليهم عيسى بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تنسبوه إلى عجز، والأوَّلُ أصحُّ. فأما «المائدة».

فقال اللُّغَوِيُّونَ: «المائدة»: كُلُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخُونَةِ طَعَامٌ، فإذا

(١) في الأصل، و(ت)، و(ر): (أي: هل تقدر أن تسأل ربك)؛ والمثبت من (ج)، و(م)، وفي معاني القرآن وإعرابه (١/٣٢٥): (أي: هل يقدر ربُّك).

(٢) انظر: السبعة (١/٢٤٩)، والحجة (٣/٢٧٣)، والتيسير (١/١٠١).

(٣) من قوله: (وقرأ الكِسَائِيُّ) ... إلى هنا، ليس في (ت)، و(ر).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/٣٢٥).

(٥) انظر: الحجة (٣/٢٧٤).

لم يكن عليه [طعام] ^(١) فليس بمائدة، والكأس: كل إناء فيه شراب، فإذا لم يكن فيه شراب ^(٢)، فليس بكأس، ذكره الزَّجَّاج ^(٣).

قال الفرَّاء: وسمعت بعض العرب يقول للطَّبَّق الذي تهدي ^(٤) عليه الهدية: هُوَ الْمُهْدَى، مقصور، ما دامت عليه الهدية، فإذا كان فارغاً رجع إلى اسمه إن كان طبقاً أو خواناً أو غير ذلك ^(٥).

وذكر الزَّجَّاج عن أبي عبيدة أن لفظها فاعلة، وهي في المعنى مفعولة، مثل عِشَّةٍ رَاضِيَةٍ ^(٦).

قال أبو عبيدة: وهي من العطاء، والممتاد: المفعول المطلوب منه العطاء ^(٧).

قال الشاعر ^(٨) [من الرجز]:

إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُمْتَادِ

وَمَادَ زَيْدٌ عَمْرًا: إِذَا أَعْطَاهُ.

قال الزَّجَّاج: والأصل عندي في «مائدة» أنها فاعلة من: ماد يميد:

(١) زيادة من (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٢) قوله: (فإذا لم يكن فيه شراب)، ليس في (م).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٧٥).

(٤) في (ت)، و(ج)، و(ر): (يهدى).

(٥) انظر: معاني القرآن (٣ / ٢١٧).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٢٢٠)، ومجاز القرآن (١ / ١٨٢).

(٧) المصدر السابق.

(٨) البيت لرؤبة بن العجاج في ديوانه (ص: ٤٠)، ومجاز القرآن (١ / ٣٤١)، ولسان العرب (٣ / ١١٤).

إِذَا تَحَرَّكَ، فَكَأَنَّمَا تَمِيدُ بِهَا عَلَيْهَا^(١).

وقال ابن قتيبة: «المائدة»: الطَّعام، من: مَا دَنِي يَمِيدُنِي^(٢)، كَأَنَّهَا تَمِيدُ لِلْأَكْلِينَ، أي: تعطِيهم، أو تكون فاعلة بمعنى: مفعول بها، أي: ميد بها الآكلون^(٣).

قوله: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: اتَّقَوْهُ أَنْ تَسْأَلُوهُ الْبَلَاءَ، لَأَنَّهَا إِنْ نَزَلَتْ وَكَذَّبْتُمْ، عُدَّ بْتُمْ، قاله مقاتل^(٤).
والثاني: أَنْ تَسْأَلُوهُ مَا لَمْ تَسْأَلِ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ، ذكره أبو عبيد^(٥).
والثالث: أَنْ تَشْكُوا فِي قُدْرَتِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهِمُ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٣].

قوله: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾

هذا اعتذار منهم بيَّنوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه.

وفي إرادتهم للأكل منها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أرادوا ذلك للحاجة، وشدة الجوع، قاله ابن عباس.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٠).

(٢) في (ج): (ومائدة الطَّعام مأخوذة من: مادي يميدي).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٧).

(٥) انظر: البحر المحيط (١/ ٦٠١).

والثاني: ليزدادوا إيمانًا، ذكره ابن الأنباري.

والثالث: للتبرُّك بها، ذكره الماوردي^(١).

وفي قوله: ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُنَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تطمئنُّ إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبيًا.

والثاني: إلى^(٢) أن الله تعالى قد^(٣) اختارنا أعوانًا لك.

والثالث: إلى أن الله تعالى قد أجاب [سؤالنا]^(٤).

وقال ابن عباس: قال لهم عيسى: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يومًا، ثم لا تسألونه شيئًا إلا أعطاكم؟ فصاموا، ثم سألوا المائدة^(٥).

فمعنى: ﴿وَتَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أننا إذا صمنا ثلاثين يومًا لم نسأل الله شيئًا إلا أعطانا.

وفي هذا العلم قولان:

[٢١٩/أ] أحدهما: أنه علمٌ يحدث^(٦) لهم لم يكن، وهو قول مَنْ قال: كان

سؤالهم قبل استحكام معرفتهم^(٧).

(١) انظر: النُّكْت والعيون (٢/ ٨٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) ليست في (ج).

(٤) زيادة من (ت)، و(م)، و(ر)، وفي (ج): (قد أجاب لنا).

(٥) رواه ابن جرير الطُّبري (٩/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٧٠١٦) في تفسيرهما.

(٦) في (ت)، و(ر): (محدث).

(٧) في (ج): (كان سؤالهم بعد معرفتهم).

والثاني: أنه زيادة علم إلى علم، ويقين إلى يقين، وهو قول من قال: كان سؤالهم بعد معرفتهم.

وقرأ الأعمش: «وتعلم» بالتاء، والمعنى: وتعلم القلوب أن قد صدقتنا^(١).

وفي قوله: ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: من الشاهدين لله بالقدرة، ولك بالنبوة.

والثاني: عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم، وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البرية عند هذا السؤال.

والثالث: من الشاهدين عند من يأتي من قومنا بما شاهدنا من الآيات الدالة على أنك نبي.

والرابع: من الشاهدين^(٢) لك عند الله بأداء ما بُعثت به.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾.

وقرأ ابن محيصن، وابن السَّمِيف، والجحدري: «لِأَوَّلِنَا وَأُخْرَانَا» برفع الهمزة، وتخفيف الواو^(٣).

(١) أي: وَتَعَلَّمَهُ قُلُوبُنَا. في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، وإعراب القراءات الشاذة

(١/٤٦٥)، والبحر المحيط (٤/٤١٢)

(٢) من قوله: (عند من يأتي من قومنا)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢): عن زيد بن ثابت، وابن محيصن، واليسامي، وفي معاني =

والمعنى: يكون اليوم الذي نزلت فيه عيداً لنا، نعظمه نحن ومن بعدنا، قاله قتادة، والسُّدِّي.

وقال كعب: أنزلت عليهم يوم الأحد، فاتخذوه عيداً^(١).

وقال ابن قتيبة: عيداً، أي: مجمعا^(٢).

قال الخليل بن أحمد: العيد: كل يوم يجمع، كأنهم عادوا إليه^(٣).

وقال ابن الأنباري: سُمِّيَ عيداً للعود من الترح إلى الفرح^(٤).

قوله: ﴿وَأَيَّةٌ مِنْكَ﴾

أي علامة منك تدل على توحيدك، وصحة نبوة^(٥) نبيك.

وقرأ ابن السَّمِيع، وابن مُحِصِن، والضَّحَّاك: «وأنه منك» بفتح

الهمزة، وبنون مشددة^(٦).

=القرآن؛ للنحاس (٣٨٦/٢): عن عاصم الجحدري، والبحر المحيط (٤١٣/٤) وقال:

﴿لَاؤَلَانَا وَأُخْرَانَا﴾ أثبوا على معنى الأمة والجماعة.

(١) المشهور عن كعب أنها آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ كما في تفسير ابن جرير الطبري (٨٧/٨) عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: إِنِّي لَأَعْرِفُ قَوْمًا لَوْ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ لَنَظَرُوا إِلَى يَوْمِ نَزَلَتْ فِيهِ، فَاتَّخَذُوهُ عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: آيَةُ آيَةٍ؟ فَقَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَقَالَ عُمَرُ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْزَلَتْ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] يَوْمَ جُمُعَةٍ، يَوْمَ عَرَفَةَ، وَهِيَ لَنَا عِيدَانِ».

(٢) انظر: غريب الحديث (١٤٩/١).

(٣) انظر: البحر المحيط (٤١٣/٤).

(٤) انظر: الزَّاهِر في معاني كلمات الناس (٢٩١/١).

(٥) ليست في (ت)، و(ر).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، والبحر المحيط (٤١٣/٤) عن البيهقي.

وفي قوله: ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ قولان:

أحدهما: ارزقنا ذلك من عندك.

والثاني: ارزقنا الشكر على ما أنعمت به من إجابتك لنا^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾

قرأ نافع وعاصم وابن عامر: «منزلها» بالتشديد، وقرأ الباقر خفيفة^(٢).

وهذا وعدٌ بإجابة سؤال عيسى عليه السلام.

واختلف العلماء: هل نزلت أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنها نزلت، قاله الجمهور، فروى وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: لما رأى عيسى أنهم قد جدوا في طلبها لبس جبة من شعر، ثم توضأ، واغتسل، وصف قدميه في محرابه حتى استويا، وألصق الكعب بالكعب، وحاذى الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، وطأ رأسه خضوعاً، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت تسيل دموعه على خده، وتقطر

(١) في (ج): (من إحياء ميتك لنا).

(٢) انظر: السبعة (١/ ١٦٥)، والحجة (٣/ ٢٨٣)، والمبسوط (١/ ١٨٩).

من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض من دموعه^(١) حيال^(٢) وجهه، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، فبينما عيسى كذلك، هبطت عليهم مائدة من السماء، سفرة حمراء بين غمامتين، [٢١٩/ب] غمامة من تحتها، وغمامة من فوقها، وعيسى يبكي ويتضرع، ويقول: إلهي اجعلها سلامة، لا تجعلها عذاباً^(٣)، حتى استقرت بين يديه، والحواريون من^(٤) حوله، فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها، وإذا عليها منديلٌ مغطى، فقال عيسى: أيكم أوثق بنفسه وأقلُّ بلاءً عند ربِّه فليأخذ هذا المنديل، وليكشف لنا عن هذه الآية. قالوا: يا روح الله أنت أولانا بذلك، فأكشف عنها، فاستأنف وضوءاً جديداً، وصلى ركعتين، وسأل ربَّه أن يأذن له بالكشف عنها، ثم قعد إليها، وتناول المنديل، فإذا عليها سمكة مشوية، ليس فيها شوك، وحولها من كلِّ البقل ما خلا الكراث، وعند رأسها الخلُّ، وعند ذنبها الملح، وحولها خمسة أرغفة، على رغيف تمر، وعلى رغيف زيتون^(٥)، وعلى رغيف خمس رمّانات. فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا، أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: سبحان الله أما تنتهون! ما أخوفني عليكم. قال شمعون: لا وإله بني إسرائيل ما أردت بهذا سوءاً. قال عيسى عليه السلام: ليس ما ترون عليها

(١) قوله: (من دموعه)، ليس في (ت)، و(م)، و(ر).

(٢) في (ت)، و(ر): (حال).

(٣) مكانها بياض في (ت).

(٤) ليست في (ت)، و(ج)، و(م)، و(ر).

(٥) قوله: (وعلى رغيف زيتون)، ليس في (ت)، و(ر).

من طعام الدنيا، ولا من طعام الجنة، إنما هو شيءٌ ابتدعه الله^(١)، فقال له: «كن» فكان أسرع من طرفة عين. فقال الحواريون: يا روح الله إنما نريد أن ترينا في هذه الآية آية، فقال: سبحان الله! ما اكتفيتُم بهذه الآية؟! ثم أقبل على السمكة^(٢) فقال: عودي بإذن الله حيّةً طريّةً، فعادت تضطرب على المائدة، ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشويّة^(٣)، فقال: يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها، فقال: معاذ الله بل يأكل منها مَنْ سألها، فلما رأوا امتناعه، خافوا أن يكون نزولها عقوبة، فلما رأى عيسى ذلك دعا لها الفقراء والزّمنى واليتامى، فقال: كلوا من رزق ربّكم^(٤)، ودعوة نبيّكم، ليكون^(٥) مهنؤها لكم، وعقوبتها على غيركم، فأكل منها ألف وسبعمئة إنسان، يصدرون^(٦) عنها شباعاً وهي كهيتها حين نزلت، فصَحَّ كُلُّ مريض، واستغنى كُلُّ فقير أكل منها، ثم نزلت بعد ذلك عليهم، فازدحموا عليها، فجعلها عيسى نوباً بينهم، فكانت تنزل عليهم أربعين يوماً، تنزل يوماً، وتغبُّ^(٧) يوماً، وكانت تنزل عند ارتفاع

(١) لفظ الجلالة ليس في (ت)، و(ر).

(٢) في (ج): (السّماء).

(٣) ليست في (ت)، و(ر).

(٤) في (ج): (الله).

(٥) في (ج): (لتكون).

(٦) سقطت من (ج).

(٧) كذا بالأصل، وفي (ت)، و(ج)، و(ر): (ونغيّب)، والغيبُ، مِنْ وَزْدِ الماءِ: فَهُوَ أَنْ تَشْرَبَ يَوْماً، وَيَوْماً لَا، والغيبُ: وَزْدُ يَوْمٍ، وَظِمُّ آخَرَ. انظر: لسان العرب (١/٦٣٥).

الضُّحَى، فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا حَتَّى إِذَا قَالُوا: ارْتَفَعْتَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى ظِلِّهَا فِي الْأَرْضِ^(١).

وقال قتادة: كانت تنزل عليهم بكرةً وعشيّة، حيث كانوا^(٢).

وقال غيره: نزلت يوم الأحد مرتين. [٢٢٠/أ]

وقيل: نزلت غدوة وعشيّة يوم الأحد، فلذلك جعلوه عيداً.

وفي الذي كان على المائدة ثمانية أقوال:

أحدها: أنه خبز ولحم، روي عن عمار بن ياسر عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزًا وَلَحْمًا»^(٣).

والثاني: أنها سمكة مشوية، وخمس أرغفة، وتمر، وزيتون، ورمّان. وقد ذكرناه عن سلمان^(٤).

والثالث: ثمرٌ من ثمار الجنة، قاله عمار بن ياسر.

وقال قتادة: ثمرٌ من ثمار الجنة، وطعامٌ من طعامها^(٥).

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٠١٩) مختصراً.

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٢٨/٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٠٦١)، والبزار في مسنده (١٤١٩)، وأبو يعلى (١٦٥١)، وابن جرير الطبري (١٢٨/٩)، وابن أبي حاتم (٧٠٢٢) في تفسيرهما وغيرهم من طريق سعيد، عن قتادة، عن خلاص بن عمرو، به، بلفظ: «نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَحْنُتُوا وَلَا يَدْخِرُوا وَلَا يَرْفَعُوا الْقِدَّ، فَحَانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا، فَمَسَحُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا».

(٤) في (م): (سليمان).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢٨/٩)، وابن الأنباري في الأضداد (٣٥١/١) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

وَالرَّابِعُ: خَبْرٌ، وَسَمَكٌ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ.

وَالْخَامِسُ: قِصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا اللَّحْمَ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالسَّابِعُ: سَمَكَةٌ فِيهَا طَعْمُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ، قَالَهُ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ.

وَالثَّامِنُ: خَبْزُ أَرْزٍ وَبَقْلٍ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ لَمْ تَنْزَلْ، رَوَى قَتَادَةُ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ الْمَائِدَةَ لَمْ تَنْزَلْ، لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ قَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أُنْزِلَتْ مَائِدَةٌ عَلَيْهَا أَلْوَانٌ مِنَ الطَّعَامِ، فَعَرَضَهَا عَلَيْهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ الْعَذَابُ إِنْ كَفَرُوا، فَأَبَوْهَا فَلَمْ تَنْزَلْ. وَرَوَى لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لَخَلْقِهِ، لِيُنْهَاهُمْ عَنِ مَسْأَلَةِ الْآيَاتِ لِأَنْبِيَائِهِ، وَلَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ.

وَالأَوَّلُ أَصَحُّ.

قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾ أَيُّ: بَعْدَ إِنْزَالِ الْمَائِدَةِ.

وَفِي الْعَذَابِ الْمَذْكُورِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْمَسْخُ.

وَالثَّانِي: جَنْسٌ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَعْذَّبْ بِهِ أَحَدٌ سِوَاهُمْ.

قال الزَّجَّاج: ويجوز أن يعجل لهم في الدُّنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة^(١).

وفي ﴿الْعَلَمِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه عامٌّ.

والثَّاني: عالمو زمانهم.

وقد ذكر المفسِّرون أن جماعة من أصحاب المائدة مسخوا.

وفي سبب مسخهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أمروا أن لا يخونوا، ولا يدَّخروا، فخانوا وادَّخروا، فمسخوا قردهً وخنازير، رواه عمار بن ياسر عن النَّبِيِّ ﷺ^(٢).

والثَّاني: أن عيسى خَصَّ بالمائدة الفقراء، فتكلَّم الأغنياء بالقبيح من القول، وشكَّكوا النَّاس فيها، وارتابوا، فلما أمسى المرتابون بها، وأخذوا مضاجعهم، مسخهم الله خنازير، قاله سلمان^(٣) الفارسيُّ.

والثَّالث: أن الذين شاهدوا المائدة، ورجعوا إلى قومهم، فأخبروهم، فضحك بهم من لم يشهد، وقالوا: إنما سحر أعينكم، وأخذ بقلوبكم، فمن أراد الله به خيرًا، ثبت على بصيرته، ومن أراد به فتنة، رجع إلى [٢٢٠/ب] كفره، فلعنهم عيسى، فأصبحوا خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا، قاله ابن عَبَّاسٍ.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٢).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) في (م): (أبو سلمان)!

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي
إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦].
قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

في زمان هذا القول قولان:

أحدهما: أنه يقوله له يوم القيامة، قاله ابن عباس، وقتادة^(١)، وابن جريج.
والثاني: أنه قاله له حين رفعه إليه، قاله السُّدِّي، وميسرة^(٢).
والأوَّلُ أصحُّ.

وفي «إِذْ» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها زائدة، والمعنى: وقال الله، قاله أبو عبيدة^(٣).
والثاني: أنها على أصلها، والمعنى: وإذ يقول الله، قاله ابن قُتَيْبَةَ^(٤).
والثالث: أنها بمعنى: «إذا»، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا﴾
[سبأ: ٥١] والمعنى: إذا.

(١) ليست في (م).

(٢) ليست في (ت)، و(م)، و(ر).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٣).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٤٩).

قال أبو النجم^(١) [من الرجز]:

ثُمَّ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي إِذْ جَزَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَا

ولفظ الآية لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ لمن ادّعى ذلك على عيسى.

قال أبو عبيدة: وإنما قال: ﴿إِلَهَيْنِ﴾ لأنهم إذا أشركوا فعلوا ذكراً مع فعل أنثى ذكروهما^(٢).

فإن قيل: فالنصارى لم يتخذوا مريم إلهًا، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟

فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشرًا، وإنما ولدت إلهًا، لزمهم أن يقولوا: إنها من حيث البعوضة بمثابة من ولده، فصاروا بمثابة من قاله.

قوله: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ أي: براءة لك من الشؤء.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ أي: لست أستحق العبادة فأدعو الناس إليها.

وروى عطاء بن السائب عن ميسرة قال: لما قال الله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ رُعِدَ كُلُّ مَفْصِلٍ مِنْهُ حَتَّى وَقَعَ خَافَةً أَنْ يَكُونَ قَدْ قَالَه، وما قال: إني لم أقل، ولكنه قال: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾^(٣).

(١) البيت في الأضداد؛ لابن الأنباري (١١٩/١)، والصاحبي في فقه اللغة (٩٩/١)، ولسان العرب (٤٦٣/١٥) برواية:

ثُمَّ جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا، إِذْ جَزَى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَالْعَلَالِي الْعُلَا

(٢) انظر: مجاز القرآن (١٨٤/١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٠٥٤) من طريق قيس، به.

فإن قيل: ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله؟

فالجواب: أنه تثبت للحجة على قومه، وإكذاب لهم في ادّعائهم

عليه أنه أمرهم بذلك، ولأنه إقراراً من عيسى عليه السلام بالعجز في قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، وبالعبودية في قوله: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾.

قال الزجاج: تعلم ما أضمره، ولا أعلم ما عندك علمه، والتأويل:

تعلم ما أعلم، وأنا لا أعلم ما تعلم^(١).

قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١١٧).

[المائدة: ١١٧].

قوله: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال مقاتل: وحذوه^(٢).

قوله: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: على ما يفعلون ما كنت مقبلاً فيهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ فيه قولان:

أحدهما: بالرفع إلى السماء.

والثاني: بالموت عند انتهاء الأجل.

و«الرقيب» مشروح في سورة «النساء»، و«الشَّهيد» في «آل عمران».

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥١٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿المائدة: ١١٨﴾.

قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾.

قال الحسن، وأبو العالية: إن تعذبهم، فبإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم، فبتوبة كانت منهم^(١).

وقال الزَّجَّاج: علم^(٢) عيسى أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على^(٣) الكفر، فقال في جملتهم: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك، وأنت العادل فيهم، لأنك قد أوضحت لهم الحق، فكفروا، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٤) أي: وإن تغفر لمن أقلع منهم، وآمن، فذلك تفضل منك، لأنه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز، لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في^(٥) ذلك^(٦).

وقال ابن الأنباري: معنى الكلام: لا ينبغي لأحد أن يعترض عليك، فإن عذبتهم، فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم - ولست فاعلاً إذا ماتوا على الكفر - فلا اعتراض عليك.

(١) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحيدي (٢/ ٢٤٨).

(٢) في (ج): (يعلم).

(٣) ليست في (ج).

(٤) ليست في (م).

(٥) قوله: (وأنت في مغفرتك لهم عزيز)... إلى هنا، ليس في (م).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٣-٢٢٤).

وقال غيره: العفو لا ينقص عزك، ولا يخرج عن حكمك.

وقد روى أبو ذرٍّ رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ قيام ليلة بآية يردّها: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ^(١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(١٢٠) [المائدة: ١١٩، ١٢٠].

قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

قرأ الجمهور برفع «اليوم».

وقرأ نافع بنصبه على الظرف ^(٢).

قال الزجاج: المعنى: قال الله هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، ويجوز أن يكون على معنى: قال الله هذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم ^(٣).

و[في] ^(٤) المراد باليوم: يوم القيامة، وإنما خصّ نفع الصدق به لأنه يوم الجزاء.

(١) رواه ابن أبي شيبة (٨٣٦٨)، وأحمد (٢٥٢/٣٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٤٧/١) وغيرهم.

(٢) انظر: السبعة (٢٥٠/١)، والحجة (٢٨٢/٣)، والمبسوط (١٨٩/١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٢٤/٢).

(٤) من (م).



وفي هذا الصّدق قولان:

أحدهما: أنه صدقهم في الدُّنيا ينفعهم في الآخرة.

والثاني: صدقهم في الآخرة ينفعهم هنالك.

وفي هذه الآية تصديق لعيسى فيما قال.

قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: بطاعتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه.

وفي قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تنبيهٌ على عبودية عيسى،
وتحريضٌ على تعليق الآمال بالله وحده.

سورة الأنعام

فصل في نزولها^(١)

روى مجاهد عن ابن عباس: أن الأنعام مما نزل بمكة^(٢). وهذا قول الحسن، وقتادة، وجابر بن زيد.

وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس، قال: نزلت «سورة الأنعام» جملة^(٣) ليلاً بمكة، وحولها سبعون ألف ملك^(٤).

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال^(٥): هي مكِّيَّة، نزلت جملة واحدة، ونزلت ليلاً وكتبوها من ليلتهم، غير ست آيات منها مدنيّات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الثلاث آيات. وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]. وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٩٣] إلى آخر الآيتين^(٦).

(١) في (ج): (بسم الله الرحمن الرحيم)، بدلاً من قوله: (فصل في نزولها).

(٢) رواه النَّحَّاس في النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ (١/ ٤١٥)، بلفظ مطول، وانظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٢٥٦).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٤٠)، وابن الضريس في فضائله (١٩٦)، والطبراني في الكبير (١٢٩٣٠) من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، به، بنحوه. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٥) من قوله: (نزلت سورة الأنعام جملة...) إلى هنا، ليس في (ج).

(٦) انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٢٥٦).

وذكر مقاتل نحو هذا. وزاد آيتين: قوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [٢٢١/ب] يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴿[الأنعام: ١١٤]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ [الأنعام: ٢٠] ^(١).

وروي عن ابن عباس، و قتادة قال: هي مكِّيَّة، إلا آيتين نزلتا بالمدينة قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ^(٢) [الأنعام: ١٤١].

وذكر أبو الفتح بن شَيْطَان ^(٣): أنها مكِّيَّة، غير آيتين نزلتا بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ ^(٤) [الأنعام: ١٥١]، والتي بعدها.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٤٧-٥٤٨).

(٢) قوله: (وغير معروشات) زيادة من (ج).

(٣) هو: عبد الواحد بن الحسين بن أحمد بن عثمان بن شَيْطَان — أبو الفتح — مقرئ العراق مصنف كتاب التذكار في القراءات، قال الخطيب: كتبنا عنه، وكان ثقة عالماً بوجوه القراءات، بصيراً بالعربيَّة، حافظاً للمذاهب القراء، توفي (٤٥٠هـ).

انظر: تاريخ بغداد (١٢/٢٦٩)، والوافي بالوفيات (١٩/١٦٩)، وغاية النهاية (١/٤٧٣).

(٤) قوله: (أتل ما حرم ربكم عليكم)، ليس في (ج)، و(ف)، و(ر).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].
فَأَمَّا ^(١) التفسير:

فقال كعب: فاتحة التوراة فاتحة «الأنعام»، وخاتمتها خاتمة «هود»، وإنما ذكر السماوات والأرض، لأنها ^(٢) من أعظم المخلوقات ^(٣).

والمراد «بالجعل»: الخلق. وقيل: إن «جعل» هاهنا: صلة، والمعنى: والظلمات.

وفي المراد بـ ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: الكفر والإيمان، قاله الحسن.

والثاني: الليل والنهار، قاله السدي.

والثالث: جميع الظلمات والأنوار ^(٤).

قال قتادة: خلق السماوات قبل الأرض، والظلمات قبل النور، والجنة قبل النار ^(٥).

(١) في (ر): (وأما).

(٢) في (ر): (لأنها).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٢٤٧)، والدارمي (٣٤٤٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٧/٩)، وابن الضريس في فضائله (١٩٩) بألفاظ مطولة ومختصرة.

(٤) في (ف)، و(ر): (والنور).

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١٤٥/٩)، وابن أبي حاتم (٧٠٧٩) في تفسيرهما من طريق يزيد =

قوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) يعني: المشركين بعد هذا البيان.

﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يجعلون له عديلاً، فيعبدون الحجارة الموات، مع إقرارهم بأنه الخالق لما وُصف. يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساويته به.

قال أبو عبيدة: هو مقدّم ومؤخّر، تقديره: يعدلون برّبهم^(٢).

وقال النضر بن شميل: الباء: بمعنى «عن».

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْتَرُونَ﴾^(٣) [الأنعام: ٢].

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾.

يعني: آدم، وذلك أنه لما شكّ المشركون في البعث، وقالوا: من يحيي هذه العظام^(٤)؟ أعلمهم [الله]^(٥) أنه خلقهم من طين، فهو قادر على إعادة خلقهم.

= بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، به.

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٥).

(٣) من قوله: (لما وُصف. يقال: عدلت)... إلى هنا، بياض في (ر).

(٤) من (ج).

قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾.

فيه ستة أقوال:

أحدها: أن الأجل الأول: أجل^(١) الحياة إلى الموت. والثاني: أجل الموت إلى البعث، روي عن ابن عباس، والحسن، وابن المسيب، وقتادة، والضحاك، ومقاتل.

والثاني: أن الأجل الأول: النوم^(٢) [الذي]^(٣) تُقبَضُ فيه الرُّوح، ثم ترجع في حال اليقظة، والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان. رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: أن الأجل الأوّل: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثاني: أجل الدنيا، قاله مجاهد في رواية.

والرابع: أن الأوّل: خلق الأشياء في ستة أيام، والثاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة، قاله عطاء الخراساني.

والخامس: أن الأوّل: قضاءه حين أخذ الميثاق على خلقه، والثاني: الحياة في الدنيا، قاله ابن زيد، كأنه يشير إلى أجل الذُّرِّيَّة حين أحياهم وخاطبهم.

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ر): (اليوم).

(٣) زيادة من (ج).

والسَّادس: أن الأول: أجل من قد مات من قبل، والثاني: أجل من يموت من^(١) بعد، ذكره الماوردي^(٢).

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ أي بعد هذا البيان.

﴿تَمَرُّونَ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: تشكُّون، قاله قتادة، والسُّدي. [٢٢٢/١]

وفيما شكُّوا فيه قولان:

أحدهما: الوحداية.

والثاني: البعث.

والثاني: يختلفون: مأخوذ من المراء، ذكره الماوردي^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: [و]^(٤) هو المعبود في السماوات وفي الأرض، قاله ابن الأنباري.

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: النُّكْت والعَيُون (٩٣/٢).

(٣) انظر: النُّكْت والعَيُون (٩٣/٢).

(٤) من (ر).

والثاني: وهو المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض، قاله الزجاج^(١).
والثالث: وهو الله في السماوات، ويعلم سرّكم وجهركم في الأرض،
قاله ابن جرير^(٢).

والرابع: أنه مقدّم ومؤخّر. والمعنى: وهو الله يعلم سرّكم وجهركم
في السماوات والأرض، ذكره بعض المفسّرين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤﴾
فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنعام: ٤، ٥].
قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ نزلت في كفار قريش.

وفي «الآية» قولان:

أحدهما: أنها الآية من القرآن.

والثاني: المعجزة، مثل انشقاق القمر.

والمراد ﴿بِالْحَقِّ﴾: القرآن. و«الأنباء»: الأخبار. والمعنى: سيعلمون
عاقبة استهزائهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ٦﴾ [الأنعام: ٦].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٩/ ١٥٥).

قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾.

«القرن»: اسم أهل كلِّ عصر. وسمُّوا بذلك، لاقترانهم في الوجود.

وللمفسِّرين في المراد بالقرن سبعة أقوال:

أحدها: أنه أربعون سنة، ذكره ابن سيرين عن النَّبِيِّ ﷺ^(١).

والثَّاني: ثمانون سنة، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بسر المازني، وأبو سلمة بن عبد الرحمن.

والرَّابِع: مائة^(٢) وعشرون سنة، قاله زُرارة بن أوفى، وإياس بن معاوية.

والخامس: عشرون سنة، حكاه الحسن البصري.

والسَّادس: سبعون سنة، ذكره الفراء.

والسَّابع^(٣): أن القرن: أهل كلِّ مدَّة كان فيها نبيٌّ، أو طبقة من

العلماء، قَلَّتِ السُّنُونُ، أو كثرت بدليل قوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي»^(٤) يعني:

أصحابي «ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» يعني: التَّابِعِينَ «ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» يعني:

الذين أخذوا عن التَّابِعِينَ.

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (١٤ / ٥٣٥) من طريق عمر بن شاعر، عن ابن سيرين، مرسلًا.

(٢) من قوله: (سنة، قاله عبد الله بن بسر) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ج): (والسَّادس) كرَّره مرتين!.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

فالقرون: مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فهو في كل قوم على مقدار أعمالهم.

واشتقاق القرن: من الاقتران.

وفي معنى ذلك الاقتران قولان:

أحدهما: أنه سمي قرنًا، لأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان في بقائهم. هذا اختيار الزجاج^(١).

والثاني: أنه سمي قرنًا، لأنه يقترن زمانًا بزمان، وأمة بأمة، قاله ابن الأنباري.

وحكى ابن قتيبة عن أبي عبيدة قال: يرون أن أقل ما بين القرنين: ثلاثون سنة^(٢).

قوله: ﴿مَكَتَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾.

قال ابن عباس: أعطيناهم ما لم نُعطيكم^(٣). يقال: مكنته ومكنت له: إذا أقدرته على الشيء بإعطاء ما يصح به الفعل من العدة.

[٢٢٢/ب]

وفي هذه الآية رجوع من الخبر إلى الخطاب.

فأما ﴿السَّمَاءِ﴾: فالمراد بها المطر.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٨/٥).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١٨٥/١)، وغريب القرآن (١٥٠/١).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٧٧٥)، وابن جرير الطبري (١٥٦/٩)، وابن أبي حاتم (٧١١٠) في تفسيرهما عن قتادة، وليس ابن عباس عليه السلام.

ومعنى «أرسلنا»: أنزلنا.

و«المدرار»: مفعال، من درَّ يَدِرُّ، والمعنى: نرسلها^(١) كثيرة الدَّرِّ. ومفعال: من أسماء المبالغة، كقولهم: امرأة مذكّار: إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، وكذلك مثنث.

فإن قيل: «السَّماء» مؤنّثة، فلم ذكّر «مدراراً»؟!

فالجواب: أن حكم ما انعدل من النُّعوت عن منهاج الفعل وبنائه، أن يلزم التذكير في كلّ حال، سواء كان وصفاً لمذكّر أو مؤنّث كقولهم: امرأة مذكّار، ومعطار، وامرأة مذكّر، ومؤنّث^(٢): وهي كفور، وشكور. ولو بُنيت هذه الأوصاف على الفعل، ل قيل: كافرة، وشاكرة، ومُذْكَرَة، فلما عدل عن بناء الفعل، جرى مجرى ما يستغني بقيام معنى التّأنيث فيه عن العلامة كقولهم: النّعل لبستُها، والفأس كسرتُها، وكان إثارة التذكير للفرق^(٣) بين المبني على الفعل، والمعدول عن مثل الأفاعيل.

والمراد بالمدرار: المبالغة في اتصال المطر ودوامه، يعني: أنها تدِرُّ وقت الحاجة إليها، لا أنها تدوم ليلاً ونهاراً، فتفسد، ذكره ابن الأنباري.

(١) في (ف): (الفرق).

(٢) في (ج): (ونث)!

(٣) في (ف): (والنور).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧) [الأنعام: ٧].

قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾.

سبب نزولها:

أن مشركي مكة قالوا: يا محمد، والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة، يشهدون أنه من عند الله، وأنتك رسوله، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب^(١).

قال ابن قتيبة: و«القرطاس»: الصحيفة، يقال للرامي^(٢) إذا أصاب الصحيفة: قرطس^(٣).

قال شيخنا أبو منصور اللُّغوي^(٤): القرطاس^(٥) قد تكلموا به قديماً. ويقال: إن أصله غير عربي.

والجمهور على كسر قافه.

وضمَّها أبو رزين، وعكرمة، وطلحة، ويحيى بن يعمر^(٦).

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٢٥٣)، والشعلبي في تفسيره (٤/ ١٣٥).

(٢) في 'ف': (الرامي).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٠-١٥١).

(٤) من قوله: (الصحيفة، يقال للرامي)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) ليست في (ج).

(٦) وعن معن الكوفي في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، وانظر: حجة القراءات (١/ ٤٠٢).

فأما قوله: ﴿فَلَمَسُوهُ بَأْيَدِهِمْ﴾ فهو تأكيد لنزوله، وقيل: إنما علّقه باللمس باليد إبعاداً له عن السّحر، لأن السّحر يُتَخَيَّلُ في المَرَيَّاتِ دون الملموسات. ومعنى الآية: إنهم يدفعون الصّحيح.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨].

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾.

قال مقاتل: نزلت في النّضر بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل^(١) بن خويلد^(٢).

و﴿لَوْلَا﴾ بمعنى «هَلَّا» ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ نصّدقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ فعابوه ولم يؤمنوا.

﴿لَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: لمتوا، ولم يؤخروا طرفة عين لتوبة، قاله ابن عبّاسٍ.

والثاني: لقامت السّاعة، قاله عكرمة، ومجاهد.

والثالث: لعجّل لهم العذاب، قاله قتادة.

(١) في (ج): (والنوفل).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٠).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ (٩) [الأنعام: ٩].

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: ولو جعلنا الرسول إليهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون رؤية الملك على صورته، [٢٢٣/١] ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لشبَّهنا عليهم. يقال: ألبست^(١) الأمر على القوم، ألبسه أي: شبَّهته عليهم، وأشكلته. والمعنى: خلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا، فلا يدرون أملك هو أم آدمي؟ فأضللناهم بما به ضلُّوا قبل أن يُبعث الملك.

وقال الزَّجَّاج: كانوا يلبسون على ضعفتهم في أمر النبي ﷺ، فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم، فقال تعالى: لو رأوا الملك رجلاً، لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منه^(٢).

وقرأ الزُّهري، ومعاذ القاري، وأبو رجاء: «وللبسنا» بالتشديد، «عليهم ما يلبسون» مشددة أيضاً^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١١) [الأنعام: ١٠، ١١].

(١) في (ج)، و(ف): (لبست).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣١).

(٣) عن الزُّهري في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، والبحر المحيط (٤/ ٤٤٤).

قوله: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا﴾ أي: أحاط.

قال الزَّجَّاج: الحَيْقُ في اللُّغَةِ: ما يشتمل^(١) على الإنسان من مكروه فعله، ومنه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] أي: لا ترجع عاقبة مَكْرُوهِهِ إِلَّا عَلَيْهِمْ^(٢).

قال السُّدِّي: وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢].

قوله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى: فإن أجابوك، وإلا فـ ﴿قُلْ﴾ لهم^(٤) ﴿لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ قال ابن عباس: قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين^(٥).

قال الزَّجَّاج: ومعنى كتب: أوجب ذلك إيجاباً مؤكداً، وجائز أن يكون كتب في اللُّوح المحفوظ، وإنما خُوطِبَ الخلق بما يعقلون، فهم يعقلون أن تؤكد الشيء المؤخر أن يحفظ بالكتاب^(٦).

(١) في (ف): (اشتمل).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣١).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٩/ ١٦٦)، وابن أبي حاتم (٧١٣٩) في تفسيرهما.

(٤) ليست في (ف).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٥٥).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٤).

وقال غيره: رحمته عامة فمنها تأخير العذاب عن مستحقه، وقبول توبة العاصي^(١).

قوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾.

اللام: لام القسم. كأنه قال: والله ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه.

وذهب قوم إلى أن «إلى» بمعنى: «في». ثم اختلفوا، فقال قوم: في يوم القيامة. وقال آخرون: في قبوركم إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بالشرك، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق فيهم من القضاء.

وقال ابن قتيبة: قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ مردود إلى قوله: ﴿كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين خسروا^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣) [الأنعام: ١٣].

قوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

سبب نزولها:

أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: قد علمنا أنه إنما يملك على ما تدعونا إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون من

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٩٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥١).

أغنانا رجلاً، وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس^(١).

وفي معنى ﴿سَكَنَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه من السُّكْنَى. قال ابن الأعرابي: «سكن» بمعنى حل^(٢).

والثاني: أنه من السُّكُون الذي يضادُّ الحركة.

قال مقاتل: من المخلوقات ما يستقرُّ بالنَّهار، ويتشرُّ بالليل ومنها

[٢٢٣/ب] ما يستقرُّ بالليل، ويتشرُّ بالنَّهار^{(٣)(٤)}.

فإن قيل: لم خصَّ السُّكُون بالذكر دون الحركة؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن السُّكُون أعمُّ وجودًا من الحركة.

والثاني: أن كلَّ متحرِّك قد يسكن، وليس كلُّ ساكن يتحرَّك.

والثالث: أن في الآية إضمارًا، والمعنى: وله ما سكن وتحرك، كقوله

تعالى ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أراد: والبرد، فاختصر.

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٤) عن الكلبي، عن ابن عباس^{رضي الله عنه}.

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٢/ ٢٥٦).

(٣) من قوله: (ويتشر بالليل)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤، ١٥].

قوله: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا﴾.

ذكر^(١) مقاتل أن سبب نزولها:

أن كفار قريش قالوا: يا محمد، ألا ترجع إلى دين آبائك؟ فنزلت هذه الآية.

وهذا الاستفهام معناه الإنكار، أي: لا أتخذ ولياً غير الله أتولاه، وأعبد، وأستعينه.

قوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).

الجمهور على كسر راء «فاطر».

وقرأ ابن أبي عبلة برفعها^(٣).

قال أبو عبيدة: «الفاطر» معناه: الخالق^(٤).

وقال ابن قتيبة: هو المبتدئ، ومنه: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»^(٥).

(١) في (ج): (قال).

(٢) ليست في (ف)، و(ر).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٩٤)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٨٧).

(٥) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

أي: على ابتداء الخلقة، وهو الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم^(١).

وقال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض^(٢)، حتى أتاني أعرابيَان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرْتُها، أي^(٣): أنا ابتدأتها^(٤).

قال الزَّجَّاج: إن قيل: كيف يكون الفطر بمعنى الخلق، والانفطار الانشقاق في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١].

فالجواب: إنما يرجعان إلى شيء واحد، لأن معنى «فطرهما»: خلقهما خلقًا قاطعًا. والانفطار، والفطور: تقطُّعٌ وتشقُّقٌ.

قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

قرأ الجمهور بضم الياء من الثاني، ومعناه: وهو يرزق ولا يُرزق، لأن بعض العبيد يرزق مولاه.

وقرأ عكرمة والأعمش: «ولا يُطْعَم» بفتح الياء^(٥).

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥١).

(٢) قوله: (السَّماوات والأرض)، ليس في (ج).

(٣) ليست في (ر).

(٤) رواه أبو عبيد في فضائله (١/ ٣٤٥)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (٩/ ١٧٥)، وابن الأنباري في الوقف والابتداء (١٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢١٢).

(٥) عن مجاهد في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، وعن الأعمش في إعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ٤٠٥)، وفي البحر المحيط (٤/ ٤٥٢): عن مجاهد، وابن جُبَيْر، وأبي حيوة، وعمرو بن عبيد، وأبي عمرو.

قل الزَّجَّاج: وهذا الاختيار عند البصراء بالعربية، ومعناه: وهو يرزق ويطعم ولا يأكل^(١).

قوله: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: أول مسلم من هذه الأمة. ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

قال الأخفش: معناه: وقيل لي: لا تكوننَّ، فصارت: أُمِرْتُ، بدلاً من ذلك؛ لأنه حين قال: أُمِرْتُ، قد أخبر أنه قيل له^(٢).

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

زعم بعض المفسرين أنه كان يجب عليه أن يخاف عاقبة الذنوب، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

والصحيح أن الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، وإنما هو معلق بشرط، [وذلك لا يقع]^(٣)، ومثله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (١٦) [الأنعام: ١٦].

قوله: ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ﴾

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٤).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ر).

قرأ ابن كثير^(١) ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم: «مَنْ^(٢) يُصْرِفُ عَنْهُ^(٣)» بضم الياء وفتح الرَّاء. يعنون: العذاب.

[٢٢٤/أ] وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «يَصْرِفُ»^(٤) بفتح الياء وكسر الرَّاء، الضمير قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾^(٥).

ومما يحسن هذه القراءة قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ فقد اتفق إسناد الضمير^(٦) إلى اسم الله ﷻ.

ويعني بقوله: ﴿يُصْرِفُ﴾ العذاب ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة، ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني: صرف العذاب.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ يَخْتَرِفْهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٧) [الأنعام: ١٧].

قوله: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضُرَّ﴾.

«الضَّرُّ»: اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان، من فقر ومرض وغير ذلك، والخير: اسم جامع لكل ما يتنفع به الإنسان^(٨).

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ف).

(٣) من (ج).

(٤) من قوله: (بضم الياء وفتح الراء)... إلى هنا، ليس في (ف).

(٥) انظر: السبعة (١/ ٢٥٤)، والحجّة (٣/ ٢٨٥)، والمبسوط (١/ ١٩١).

(٦) في (ف): (الضميرين)، وفي (ج): (الطمير)!

(٧) من قوله: (من فقر ومرض)... إلى هنا، ليس في (ف).

وللمفسرين في «الضرر» و«الخير» قولان:

أحدهما: أن «الضرر»: السقم، و«الخير»: العافية.

والثاني: أن «الضرر»: الفقر، و«الخير»: الغنى.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

القاهر: الغالب، والقهر: الغلبة. والمعنى: أنه قهر الخلق فصرّ فهم على ما أراد طوعاً وكرهاً، فهو المستعلي عليهم، وهم تحت التسخير والتذليل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لِتَنْشَهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾.

سبب نزولها:

أن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، ما ترى أحداً يصدقك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله؛ فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح^(١) عن ابن عباس^(٢).

(١) من قوله: (ذكر ولا صفة، فأرنا)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٤)، والتعلبي في الكشف والبيان (٤/ ١٤٠) عن الكلبي.

ومعنى الآية: قل لقريش: أي شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوك، وإلا فقل: الله، وهو شهيد بيني وبينكم على ما أقول.

وقال الزّجاج: أمره الله تعالى أن يحتجّ عليهم بأن شهادة الله ﷻ في نبوّته أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به، يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ﴾ ففي الإنذار به دليل على نبوّته، لأنه لم يأت أحد بمثله، ولا يأتي، وفيه خبر ما كان وما يكون، ووعد فيه بأشياء، فكانت كما قال^(١).

وقرأ عكرمة، وابن السّمّيع، والجحدري: «وأوحى إليّ» بفتح الهمزة وفتح الحاء^(٢)، «القرآن» بالنّصب^(٣).
فأمّا «الإنذار»، فمعناه: التّخويف.

ومعنى ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي: من بلغ إليه هذا القرآن، فإني نذير له.
قال القرطبي: من بلغه القرآن فكأنها رأى النّبي ﷺ، وكلمه^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٤).

(٢) في (ف): (بفتح الهمزة والحاء).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٢)، والتّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٥٥٩) عن أبي نعيم، وفي البحر المحیط (٤/ ٤٦٠) عن عكرمة، وأبي نعيم، وابن السّمّيع، والجحدري.
والمعنى: لأنذرکم ولأبشركم فحذف المعطوف لدلالة المعنى عليه، أو اقتصر على الإنذار لأنه في مقام تخويف هؤلاء المكذّبين بالرسالة المتخذين غير الله إلهًا.

(٤) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٣٢٠)، وابن جرير الطّبري في تفسيره (٩/ ١٨٢) بمعناه.

وقال أنس بن مالك: لما نزلت هذه الآية، كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وكلّ جبار يدعوهم^(١) إلى الله ﷻ^(٢).

قوله: ﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾ هذا استفهام معناه الإنكار عليهم.

قال الفراء: وإنما قال: ﴿أُخْرَى﴾ ولم يقل: «آخر» لأن الآلهة جمع، والجمع يقع عليه التأنيث، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠].
وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ^(٣) الْأُولَى﴾ [طه: ٥١]^(٤).

[٢٢٤/ب]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠].

قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ﴾.

في الكتاب قولان:

أحدهما: أنه التّوراة والإنجيل، وهذا قول الجمهور.

والثاني: أنه القرآن.

(١) في (ج): (يدعوه).

(٢) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٣/٢٥٦).

(٣) في (ج): (قرون)!

(٤) انظر: معاني القرآن (١/٣٢٩).

وفي هاء ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ^(١) ترجع ^(٢) إلى النبي ﷺ، قاله السُّدي.

وروي عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيه بمكة ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلَكْتُبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فكيف هذه المعرفة؟ فقال: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأننا أشدُّ معرفةً بمحمد ﷺ مني بابني. فقال عمر: وكيف ذاك؟ فقال: إني أشهد أنه رسول الله حقاً، ولا أدري ما يصنع ^(٣) النساء ^(٤).

والثاني: أنها ترجع إلى الدين والنبي. فالمعنى: يعرفون الإسلام أنه دين الله ﷻ، وأن محمداً رسول الله، قاله قتادة.

والثالث: أنها ترجع إلى القرآن. فالمعنى: يعرفون الكتاب الدالَّ على صدقه، ذكره الماوردي ^(٥).

وفي ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم مشركو مكة.

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ف): (يرجع).

(٣) في (ف): (صنع).

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان (١٣/٢) من طريق الكلبي، عن الربيع، عن ابن عباس، به، بنحوه.

(٥) انظر: النُّكت والعيون (١٠١/٢).

والثاني: كفّار أهل الكتابين^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اختلق على الله الكذب في ادّعاء شريك معه.

وفي «آياته» قولان:

أحدهما: أنها محمد والقرآن، قاله ابن السائب.

والثاني: القرآن، قاله مقاتل^(٢).

والمراد بالظلم المذكور في هذه الآية: الشرك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنِّي سُرَّكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢].

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾.

انتصب «اليوم» بمحذوف تقديره: واذكر يوم نحشرهم.

وقال ابن جرير: والمعنى: لا يفلحون اليوم، ولا يوم نحشرهم^(٣).

(١) في (ف): (الكنائس).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٥).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٩/ ١٨٨).

وقرأ يعقوب: «يحشرهم» «ثم يقول» بالياء فيها^(١).

وفي الذين عني^(٢) قولان:

أحدهما: المسلمون والمشركون.

والثاني: العابدون والمعبودون.

وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِكُمْ﴾.

سؤال توييخ. والمراد بشركائهم: الأوثان، وإنما أضافها إليهم لأنهم زعموا أنها شركاء لله.

وفي معنى ﴿تَزْعُمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: يزعمون أنهم^(٣) شركاء^(٤) مع الله.

والثاني: يزعمون أنها تشفع لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَئِنْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (٢٣)

[الأنعام: ٢٣].

(١) انظر: السبعة (١/٢٦٩)، والحجة (٣/٤٠٦)، والمبسوط (١/٥٣٨).

(٢) في (ج): (عنا).

(٣) في (ف): (أنها).

(٤) من قوله: (لله). وفي معنى [هـ]... إلى هنا، ليس في (ج).

قوله: ﴿ثُمَّ لَازَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿ثُمَّ لَازَكُنْ﴾
بالتاء، ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾ بالرفع.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتاء أيضاً،
«فِتْنَتَهُمْ» بالنصب، وقد رويت عن ابن كثير أيضاً^(١).

وقرأ حمزة، والكسائي: «يكن» بالياء، «فِتْنَتَهُمْ» بالنصب^(٢).

وفي «الفتنة» أربعة أقوال:

أحدها: أنها بمعنى الكلام والقول. قال ابن عباس^(٣)، والضحاك^(٤):
لم يكن كلامهم.

والثاني: أنها المعذرة. قال قتادة، وابن زيد: لم تكن معذرتهم.

قال ابن الأنباري: فالمعنى: اعتذروا بما هو مُهْلِكُ لهم، وسبب [٢٢٥/أ]
لفضيتهم.

والثالث: أنها بمعنى البلية. قال عطاء الخراساني: لم تكن بليتهم^(٥).

(١) انظر: السبعة (١/٢٥٤)، والحجة (٣/٢٨٧)، والمبسوط (١/١٩٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٤/٤٦٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٩/١٩١)، وابن أبي حاتم (٧١٧٥) في تفسيرهما من طريق
عطاء الخراساني، به. ولفظ ابن أبي حاتم: معذرتهم.

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٩/١٩١)، وابن أبي حاتم (٧١٧٩) في تفسيرهما.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧١٧٨).

وقال أبو عبيد: لم تكن بليتهم التي ألزمتهم الحجة، وزادتهم لائمة.

والرابع: أنها بمعنى الافتتان. والمعنى: لم تكن عاقبة فنتهم.

قال الزجاج: لم يكن افتتانهم بشركهم، وإقامتهم عليه، إلا أن تبرؤوا منه.

ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنساناً يُحِبُّ غَاوِيَاً، فإذا وقع في هَلَكَةٍ، تبرأ منه فيقول له: ما كانت محبتك لفلان إلا أن انتفيت منه.

قال: وهذا تأويل لطيف، لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام، وتصرف العرب في ذلك^(١).

وقال ابن الأنباري: المعنى: أنهم افتتنوا بقولهم هذا، إذ كذبوا فيه، ونفوا عن أنفسهم ما كانوا معروفين به في الدنيا.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٢).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر^(٣): «والله ربنا» بكسر الباء.

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بنصب الباء^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) قوله: (ما كنا مشركين)، زيادة من (ج).

(٣) في (ج): (وابن عامر، وعاصم).

(٤) انظر: السبعة (١/ ٢٥٥)، والحجّة (١/ ١٣٧)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

وفي هؤلاء القوم الذين هذا وصفهم قولان:

أحدهما: أنهم المشركون.

والثاني: المنافقون.

ومتى يحلفون؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً، قالوا: تعالوا نكابر عن شركنا، فحلفوا، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم إذا دخلوا النار، ورأوا أهل التوحيد يخرجون؛ حلفوا، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد.

والثالث: أنهم إذا سئلوا: أين شركاؤكم؟ تبرؤوا، وحلفوا: ما كنا مشركين، قاله مقاتل^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢٤)

[الأنعام: ٢٤].

قوله: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: باعتذارهم بالباطل ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ذهب ما كانوا يدعون ويختلقون من أن الأصنام شركاء لله، وشفعائهم في الآخرة.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٥٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢٥، ٢٦].

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾.

سبب نزولها:

أن نفراً من المشركين، منهم عتبة، وشيبة، والنضر بن الحارث، وأمية وأبي ابن خلف، جلسوا إلى رسول الله ﷺ، واستمعوا^(١) إليه، ثم قالوا للنضر بن الحارث: ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بنية^(٢)، ما أدري ما يقول؟ إلا أنا أرى تحرك شفثيه، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٣).

فأما «الأكنة»، فقال الزجاج: هي جمع كنان، وهو الغطاء، مثل عنان وأعنة^(٤).

وأما: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ فمنصوب على أنه مفعول له. المعنى: وجعلنا على قلوبهم أكنة لكراهة أن يفقهوه، فلما حذفت اللام، نصبت الكراهة، ولما حذفت الكراهة، انتقل نصبها إلى «أن».

(١) في (ف): (فاستمعوا).

(٢) في (ف): (بيته)، وهو موافق لما في تفسير الثعلبي (٤/ ١٤١).

(٣) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢/ ٢٣٦).

«الْوَقْرُ»: فِقْلُ السَّمْعِ، يقال: في أذنه وَقْرٌ، وَقَدِ وَقَرَتِ الْأُذُنُ تُوقِرُ.

قال الشاعر^(١) ^(٢): [من الرمل]:

وكلامٌ سَيِّئٌ قَدْ وَقَرْتُ أذُنِي عَنْهُ، وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ

والوقر، بكسر الواو أن يُجْمَلَ البعير وغيره مقدار ما يطيق، تقول: عليه وقْر، ويقال: نخلة موقِر، وموقرة، وإنما فعل ذلك بهم مجازاة لهم بإقامتهم على كفرهم، وليس المعنى أنهم لم يفقهوه، ولم يسمعه، ولكنهم لما عدلوا عنه، وصرفوا فكرهم عما عليهم في سوء العاقبة، كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءً آيَةً﴾ أي: كل علامة تدلُّ على رسالتك، ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾.

ثم أعلم الله ﷻ مقدار احتجاجهم وجدلهم، وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما هذا ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وفيها قولان:

أحدهما: أنها ما سَطَّرَ من أخبارهم وأحاديثهم. روى أبو صالح عن ابن عباسٍ قال: أساطير الأولين: كذبهم، وأحاديثهم في دهرهم.

(١) بداية سقط من (ف) بمقدار لوح تقريباً.

(٢) البيت للمثقَّب العبدى في ديوانه (ص ٢٣٠)؛ ولسان العرب (١٢/ ٢٦٥)، والعين (٢٠٦/ ٥)، والمفضليات (١/ ٢٩٤).

وقال أبو الحسن الأخفش: يزعم بعضهم أن واحدة الأساطير: أُسْطُورَة.
وقال بعضهم: إِسْطَارَة، ولا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد،
نحو عباديد ومذاكير وأبايل^(١).

وقال ابن قتيبة: أساطير الأولين: أخبارهم وما سُطِرَ منها، أي: ما كتب،
ومنه قوله تعالى: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ {القلم: ١} أي: يكتبون، واحدها
سطر، ثم أسطار، ثم أساطير جمع الجمع، مثل قول، وأقوال، وأقاويل^(٢).
والقول الثاني: أن معنى أساطير الأولين: التُّرَّهَات.

قال أبو عبيدة: واحد الأساطير: أسطورة، وإسطارة، ومجازها مجاز التُّرَّهَات^(٣).
قال ابن الأنباري: التُّرَّهَات عند العرب: طرق غامضة، ومسالك
مشكلة، يقول قائلهم: قد أخذنا في تُّرَّهَات البساس، يعني: قد عدلنا عن
الطَّرِيق الواضح إلى المشكل، وعمّا يُعرف إلى ما لا يُعرف. و«البساس»: الصَّحاري الواسعة، والتُّرَّهَات: طرق تتشعب من الطَّرِيق الأعظم، فتكثر
وتُشكِل، فجُعِلت مثلاً لما لا يصحُّ وينكشف^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن (١/٢٩٦).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/٣٧).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/١٨٩).

(٤) انظر: العين (٧/٢٠٥)، والصحاح (٣/٩٠٩)، وجمهرة اللغة (١/١٧٥)، ولسان العرب (١/٤٦٠)، والقاموس المحيط (١/٥٣٣) وغيرها.

فإن قيل: لم عابوا القرآن بأنه أساطير الأولين، وقد سطر الأولون ما فيه علم وحكمة، وما لا عيب على قائله؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم نسبوه إلى أنه ليس بوحي من الله تعالى.

والثاني: أنهم عابوه بالإشكال والغموض، استراحة منهم إلى البهت والباطل.

فعلى الجواب الأول تكون «أساطير» من التسطير^(١).

وعلى الثاني يكون بمعنى الترهات، وقد شرحنا معنى الترهات. [٢٢٦/أ]

قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن أبا طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عما جاء به، فنزلت فيه هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس^(٢)، وهو قول عمرو بن دينار^(٣)، وعطاء بن دينار^(٤)، والقاسم بن مخيمرة^(٥).

(١) في (ج): (يكون ال ! من التسطير).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٢/ ٣٤٥)، والواحدی فی أسباب النزول (١/ ٢١٥) من طریق حبيب بن أبي ثابت، به، بنحوه.

(٣) أورده الواحدی فی أسباب النزول (٢/ ٢٦٢).

(٤) رواه ابن جریر الطبري فی تفسیره (٩/ ٢٠٥).

(٥) رواه ابن جریر الطبري فی تفسیره (٩/ ٢٠٤).

وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ^(١) سوءاً، فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم، فيقتلوه، قال: مالي عنه صبر؛ فقالوا: ندفع إليك من شبابنا من شئت مكان ابن أخيك، فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم. وقال:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاضْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاظَةٌ وَابْشُرْ وَقَرَّبْ بَذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَعَرَضْتَ دِينًا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْ لَا الْمَلَأَمَةُ أَوْ حَذَارِي سُبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا
فنزلت فيه هذه الآية^(٢).

والثاني: أن كفار مكة كانوا ينهون الناس عن^(٣) اتباع النبي ﷺ، ويتباعدون بأنفسهم عنه، رواه الوالبي عن ابن عباس^(٤). وبه قال ابن الحنفية^(٥)، والضحاك^(٦)، والسدي^(٧).

(١) من قوله: (عند أبي طالب يدعوه)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٥٦)، ورواه الواحدي في أسباب النزول (١/٢١٥) وهو حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه المتقدم قريباً.

(٣) نهاية السقط المشار إليه آنفاً في (ف).

(٤) الوالبي هو سعيد بن جبيرة، ونظنه يقصد حديثه المتقدم.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (٩/٢٠١)، وابن أبي حاتم (٧٢٠١) في تفسيرهما.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم عقب الأثر رقم (٧٢٠١).

(٧) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٢٠٢).

فعلى القول الأول، يكون قوله تعالى: «وهم» كنايةً عن واحد.

وعلى الثاني: عن جماعة.

وفي هاء ﴿عَنْهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى النبي ﷺ.

ثم فيه قولان:

أحدهما: ينهون عن أذاه.

والثاني: عن أتباعه.

والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

﴿وَيَنْتَوَتْ عَنْهُ﴾ بمعنى يبعدون.

وفي هاء ﴿عَنْهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها راجعة إلى النبي ﷺ.

والثاني: إلى القرآن.

قوله: ﴿وَأَن يَهْلِكُونَ﴾ أي: وما يهلكون ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ بالتباعد عنه

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يهلكون بها^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيِّنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧].

(١) في (ف): (يهلكونها).

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾.

في معنى ﴿وَقَفُوا﴾ ستة أقوال:

أحدها: حُبِسُوا عليها، قاله ابن السائب.

والثاني: عُرِضُوا عليها، قاله مقاتل^(١).

والثالث: عاينوها.

والرابع: وقفوا عليها^(٢) وهي تحتهم.

والخامس: دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان،

أي فهمته وتبينته، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزَّجَّاج^(٣)، واختار الأخير^(٤).

[٢٢٦/ب] وقال ابن جرير: عَلَى هَاهُنَا بِمَعْنَى «فِي»^(٥).

والسادس: جعلوا عليها وقفًا، كالوقوف المؤبَّدة على سبيلها، ذكره الماوردي^(٦).

والخطاب بهذه الآية للنَّبِيِّ ﷺ، والوعيد للكفار، وجواب «لو»

محذوف، ومعناه: لو رأيتهم في تلك الحال، لرأيت عجبًا.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٥٧).

(٢) من قوله: (قاله مقاتل)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٣٩).

(٤) في (ف): (الآخر).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٩/٢٠٦).

(٦) انظر: النُّكْتُ والعُيُون (٢/١٠٥).

قوله: ﴿وَلَا تُكْذِبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم برفع الباء من «نكذب»، والنون من «نكون»^(١).

قال الزجاج: والمعنى أنهم تمنّوا الرّدّ، وضمنوا أنهم لا يكذبون.

والمعنى: ﴿يَلْتَنِنَا نُرَدُّ﴾ ونحن لا نكذب بآيات ربّنا، رُدّنا أو لم نُردّ، ﴿وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنّا قد عاينّا ما لا نكذب معه أبداً.

قال: ويجوز الرفع على وجه آخر، على معنى ﴿يَلْتَنِنَا نُرَدُّ﴾ يا ليتنا لا نكذب، كأنهم تمنّوا الرّدّ والتّوفيق للتّصديق^(٢).

وقال الأخفش: إذا رفعت جعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا: ولا نكذب - والله - بآيات ربّنا، ونكون - والله - من المؤمنين^(٣).

وقرأ حمزة إلا العجليّ، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بنصب الباء من «نكذب»، والنون من «نكون»^(٤).

قال مكّي بن أبي طالب: وهذا النّصب على جواب التّمني، وذلك بإضمار «أن»، حملاً على مصدر «نُردّ»، فأضمرت «أن» لتكون مع الفعل مصدرًا، فتعطف بالواو مصدرًا على مصدر. وتقديره: يا ليت لنا ردًا، وانتفاء من التّكذيب، وكونًا من المؤمنين^(٥).

(١) انظر: السّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجّة (٣/ ٢٩٢)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٢٩٧).

(٤) انظر: السّبعة (١/ ٢٥٥)، والحجّة (٣/ ٢٩٢)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٥٠).

وقرأ ابن عامر برفع الباء من «نكذب»، ونصب النون من «نكون»، فالرفع قد بينا علته، والنصب على جواب التمني^(١).

قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٣٨) وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٩﴾ [الأنعام: ٢٨، ٢٩].

قوله: ﴿بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ﴾.

«بل»: هاهنا ردٌ لكلامهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا من أنهم لو رُدُّوا لآمنوا.

وقال الزجاج: «بل» استدراك وإيجاب بعد نفي، تقول: ما جاء زيد بل عمرو^(٢).

وفي معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها: بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض، قاله الحسن.

والثاني: بدا بنطق الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بألستهم، قاله مقاتل^(٣).

والثالث: بدا لهم جزاء ما كانوا^(٤) يخفونه، قاله المبرِّد.

والرابع: بدا للأتباع ما كان يخفيه الرؤساء، قاله الزجاج^(٥).

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٥٥)، والحجة (٣/ ٢٩٢)، والمبسوط (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٤) من قوله: (يخفون من قبل)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٠).

قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ﴾.

قال ابن عباس: لعادوا إلى ما نُهُوا عنه^(١) من الشُّرك، وإنهم لكاذبون في قولهم: ﴿وَلَا تُكْذِبْ بِتَايَتِ رَبِّنَا وَتَكُوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾^(٢).

قال ابن الأنباري: كَذَّبهم الله في إخبارهم عن أنفسهم أنهم إن رُدُّوا آمنوا ولم يكذبوا، ولم يكذبهم في التَّمني.

قوله: ﴿وَقَالُوْا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ هذا إخبار عن منكري البعث.

قال مقاتل: لما أخبر النبي ﷺ كفار مكة بالبعث، قالوا هذا^(٣). [أ/٢٢٧]

وكان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول: هذا حكاية قولهم، لو رُدُّوا لقالوا^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠) [الأنعام: ٣٠].

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

قال مقاتل: عَرَضُوا على رَبِّهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿بِالْحَقِّ﴾^(٥).

وقال غيره: أليس هذا البعث حقاً؟.

(١) قوله: (قال ابن عباس: لعادوا إلى ما نُهُوا عنه)، ليس في (ج).

(٢) أورده الماوردي في النكت والعيون (١٠٦/٢) بلا نسبة.

(٣) انظر: تفسر مقاتل بن سليمان (٥٥٧/١).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٢٠) مختصراً.

(٥) انظر: تفسر مقاتل بن سليمان (٥٥٧/١).

فعلى قول مقاتل: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالعذاب، وعلى قول غيره: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ بالبعث.

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْشَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (الأنعام: ٣١).

قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾.

إنما وُصِفُوا بالخسران، لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم.

والمراد ﴿بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: البعث والجزاء. و﴿السَّاعَةُ﴾: القيامة. و«البغته»: الفجأة.

قال الزَّجَّاج: كلُّ ما أتى فجأةً فقد بَغَت، يقال: قد بَغَتَه الأمرُ يَبْغُتُهُ بَغْتًا وبَغْتَةً: إذا أتاه فجأةً.

قال الشاعر^(١) [من الطويل]:

وَلَكِنَّهُمْ بَأْسُوا وَلَمْ أَخْشَ بَغْتَةً وَأَفْطَعُ شَيْءٍ حِينَ يَفْجَؤُكَ الْبَغْتُ

قوله: ﴿يَحْشَرُنَا﴾ «الحسرة»: التَّلَهْفُ عَلَى الشَّيْءِ الْفَائِتِ، وأهل التفسير يقولون: يا ندامتنا.

فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقل؟

فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءً، فتدخل عليه «يا» التنبيه، والمراد تنبيه الناس،

(١) البيت ليزيد بن زُبَّةَ الثَّقَفِي في غريب الحديث؛ للحري (٢/ ٦١٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٦)، ولسان العرب (٢/ ١١)، والعين (٤/ ٣٩٧).

لا تنبيه المنادى. ومثله قولهم: لا أرينك هاهنا. لفظه لفظ النَّاهي لنفسه، والمعنى للمنهى، ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله.

وقال سيبويه: إذا قلتَ: يا عجباه، فكأنك قلت: احضر وتعال يا عَجَبُ، فهذا زمانك^(١).

فأما «التفريط» فهو: التضييع.

وقال الزجاج: «التفريط» في اللغة: مقدمة العجز^(٢).

وفي المكني عنه بقوله: ﴿فِيهَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الدنيا، فالمعنى: على ما ضيّعنا في الدنيا من عمل الآخرة، قاله مقاتل^(٣).

والثاني: أنها الصّفقة، لأن الخسران لا يكون إلا في صفقة، وترك ذكرها اكتفاءً بذكر الخسران. قاله ابن جرير^(٤).

والثالث: أنها الطّاعة. ذكره بعض المفسرين.

فأما «الأوزار» فقال ابن قُتيبة: هي الآثام، وأصل الوزر: الحمل على الظّهر^(٥).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٧).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطّبري (٩/ ٢١٤-٢١٥).

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٢).

وقال ابن فارس: الوزر: الثقل^(١).

وهل هذا الحمل حقيقة؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه على حقيقته. قال عمير بن هانئ: يُحْشَرُ مع كُلِّ كافر عمله في صورة رجل قبيح، كلما كان هَوُلٌ عَظَمَ عليه، وزاده خوفاً، فيقول: بئس الجليس أنت^(٢)، مالي ولك؟ فيقول: أنا عملك، طالما ركبتني في الدنيا، فلأركبَنَّك اليوم حتى أُخْزِيكَ على رؤوس النَّاسِ، فيركبُه ويتخطَّى [٢٢٧/ب] به النَّاسَ حتى يقف بين يدي ربه، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ وهذا قول السُّدِّي^(٣)، وعمر بن قيس المَلَّاثِي^(٤)، ومقاتل^(٥).

والثاني: أنه مثل، والمعنى: يحملون ثقل ذنوبهم، قاله الرَّجَّاجُ^(٦).

قال: فجعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يُتَحَمَّلُ.

ومعنى ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾: بئس الشيء شيئاً يزرونه، أي: يحملونه.

(١) انظر: مجمل اللغة (١/٩٢٤).

(٢) ليست في (ج).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٩/٢١٧)، وابن أبي حاتم (٧٢٢٩) في تفسيرهما.

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٩/٢١٦)، وابن أبي حاتم (٧٢٢٨) في تفسيرهما.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٥٧-٥٥٨).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٤٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٣) [الأنعام: ٣٢].

قوله: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: وما الحياة الدنيا في سرعة انقطاعها، وقصر عمرها إلا كالشيء يلعب به.

والثاني: وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب وهو، فأما فعل الخير، فهو من عمل الآخرة، لا من الدنيا.

والثالث: وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب وهو، لاشتغالهم عما أمروا به. واللعب: ما لا يجدي نفعا.

قوله: ﴿وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾.

اللام: لام القسم.

و«الدار الآخرة»: الجنة.

«أفلا يعقلون» فيعملون لها.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «يعقلون» بالياء، في «الأنعم» و«الأعراف»، و«يوسف»، و«يس»^(١)، وقرأوا في «القصص» بالتاء.

(١) في (ج): (ويونس).

وقرأ نافع كل ذلك بالياء.

وروى حفص، عن عاصم كل ذلك بالتاء، إلا في «يس» في الخلق ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٦٨]، بالياء^(١).

وقرأ ابن عامر الذي في «يس» بالياء، والباقي بالتاء^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنْ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

قوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن رجلاً من قريش يقال له: الحارث بن عامر، قال: والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم، ولكننا إن نتبعك نتخطف من أرضنا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٣).

(١) في (ج): (بالتاء).

(٢) انظر: السبعة (١/ ٢٥٦)، والحيجة (٣/ ٢٩٥-٢٩٦)، والمبسوط (١/ ٣٧٢).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (١١٣٢١) عن ابن أبي مليكة، قال: قال عمرو بن شعيب، عن ابن عباس، ولم يسمعه منه، أن الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال: ﴿إِنْ تَبِعْ أَهْدَىٰ مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧]. ورواه ابن جرير الطبري من طريق ابن أبي مليكة، عن ابن عباس، به، بنحوه بدون ذكر عمرو بن شعيب.

وقال مقاتل: كان الحارث بن عامر يكذب النبي في العلانية، فإذا خلا مع أهل بيته، قال: ما محمد من أهل الكذب، فنزلت فيه هذه الآية^(١).
والثاني: أن المشركين كانوا إذا رأوا النبي ﷺ قالوا فيما بينهم: إنه لنبي، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح^(٢).

والثالث: أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي^(٣) جئت به، فنزلت هذه الآية، قاله ناجية بن كعب^(٤).

وقال أبو يزيد المدني: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل، فصافحه أبو جهل، ف قيل له: أتصافح هذا الصابي؟ فقال: والله إني لأعلم أنه نبي، ولكن متى كنا تبعاً لنبي عبد مناف؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٥).

والرابع: أن الأخنس بن شريق^(٦) لقي أبا جهل فقال الأخنس: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو، أم كاذب؟ فليس هاهنا من

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٥٨).

(٢) رواه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٢٦٤) قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ: إِنَّهُ لَنَبِيٍّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَابِ اللَّهِ يَمْحَدُونَ﴾.

(٣) في (ج): (بالذي).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٩/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (٧٢٣٥) في تفسيرهما، من طريق سفيان، عن أبي إسحاق، به، بنحوه. ورواه الترمذي (٣٠٦٤)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٣٤٥) من نفس الطريق بذكر علي بن أبي طالب ؓ، والأول أصح.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٣٩)، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٢٦٤).

(٦) في الأصل: (سريق)، والمثبت من بقية النسخ.

[٢٢٨/أ] يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء، والسقاية، والحجابه، والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فنزلت هذه الآية، قاله السدي^(١).

فأما الذي يقولون، فهو التكذيب للنبي ﷺ، والكفر بالله.

وفي الآية تسلية للنبي ﷺ وتعزية عما يواجهونه به.

قوله: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾.

قرأ نافع، والكسائي: «يُكَذِّبُونَكَ» بالتخفيف وتسكين الكاف^(٢).

وفي معناها قولان:

أحدهما: لَا يُلْفُونَكَ كاذباً. قاله ابن قتيبة^(٣).

والثاني: لَا يَكْذِبُونَ الشَّيْءَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ، إنما يجحدون آيات الله، ويتعزّضون لعقوباته.

قال ابن الأنباري: وكان الكسائي يحتجُّ لهذه القراءة بأن العرب تقول: كَذَبْتُ الرَّجُلَ: إِذَا نَسَبْتَهُ إِلَى الْكَذِبِ وَصَنَعَةَ الْأَبَاطِيلِ مِنَ الْقَوْلِ، وَأَكْذَبْتُهُ: إِذَا أَخْبَرْتَ أَنَّ الَّذِي يَحْدُثُ بِهِ كَذِبٌ، لَيْسَ هُوَ الصَّانِعُ لَهُ.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٢٢١-٢٢٢) من طريق أسباط بن نصر، به، مطولاً.

(٢) انظر: السبعة (١/ ٢٥٧)، والحجة (٣/ ٣٠٢)، والمبسوط (١/ ١٩٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٣).

قال: وقال غير الكِسَائِي: يقال: أَكْذَبْتُ الرَّجُلَ: إذا أَدْخَلْتَهُ فِي جُمْلَةِ الْكَذَّابِينَ، وَنَسَبْتَهُ إِلَى صِفَتِهِمْ، كَمَا يُقَالُ: أَبْخَلْتُ الرَّجُلَ: إذا نَسَبْتَهُ إِلَى الْبَخْلِ، وَأَجَبْتُهُ: إذا وَجَدْتَهُ جَبَانًا.

قال الشَّاعِرُ^(١) [من الطويل]:

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبٌ

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمة، وابن عامر:
﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتَّشْدِيدِ وفتح الكاف^(٢).

وفي معناها خمسة أقوال:

أحدها: لا يكذبونك بحجة، وإنما هو تكذيب عناد وبهت، قاله قتادة، والسُّدِّي.

والثاني: لا يقولون لك: إِنَّكَ كَاذِبٌ، لعلمهم بصدقك، ولكن يكذبون ما جئت به، قاله ناجية بن كعب.

والثالث: لا يكذبونك في السِّرِّ، ولكن يكذبونك في العلانية، عداوة لك، قاله ابن السائب، ومقاتل^(٣).

والرَّابِع: لا يقدرُونَ أَنْ يَقُولُوا لَكَ فِيمَا أَنْبَأْتَ بِهِ مِمَّا فِي كِتَابِهِمْ: كَذِبٌ.

(١) البيت للكميت في لسان العرب (٢ / ١٤٢)، وتاج العروس (٥ / ٣٣٧).

(٢) انظر: السبعة (١ / ٢٥٧)، والحجّة (٣ / ٣٠٢)، والمبسوط (١ / ١٩٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١ / ٥٥٨)، والبحر المحيط (٤ / ٤٨٩).

والخامس: لا يكذبونك بقلوبهم، لأنهم يعلمون أنك صادق، ذكر القولين الزَّجَّاج^(١).

وقال أبو علي: يجوز أن يكون معنى القراءتين^(٢) واحداً وإن اختلفت اللَّفْظَتَانِ، إلا أن «فَعَلْتُ» إذا أردت أن تنسبه^(٣) إلى أمر أكثر من «أَفَعَلْتُ». ويؤكد أن القراءتين بمعنى، ما حكاه سيبويه أنهم قالوا: قَلَلْتُ، وأَقَلَلْتُ، وكَثَرْتُ، وأكثرْتُ، بمعنى^(٤).

قال أبو علي: ومعنى «لا يكذبونك»: لا يقدر أن ينسبك إلى الكذب فيما أخبرت به مما جاء في كتبهم، ويجوز أن يكون معنى الحقيقة: لا يصادفونك كاذباً، كما تقول: أحمدت فلاناً^(٥): إذا أصبته محموداً، لأنهم [٢٢٨/ب] يعرفونك بالصدق والأمانة، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ بالسُّتْهُمْ ما يعلمونه يقيناً، لعنادهم^(٦).

وفي «آيات الله» هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها محمد ﷺ، قاله السُّدِّي.

والثاني: محمد والقرآن، قاله ابن السَّائِب.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٤٢).

(٢) في (ف): (القولين).

(٣) في (ف): (إذا أرادوا أن ينسبوه).

(٤) انظر: الحجَّة (٣/٣٠٣).

(٥) في (ف): (الرَّجُل).

(٦) انظر: الحجَّة (٣/٣٠٣).

والثالث: القرآن، قاله مقاتل^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذه تعزية له على ما يلقي منهم.

قال ابن عباس: ﴿فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا﴾ رجاء ثوابي، ﴿وَأُودُوا﴾ حتى نُشروا بالمناشير، وحرِّقوا بالنار ﴿حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ بتعذيب من كذبهم^(٢)^(٣).

قوله: ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: لا خُلفَ لمواعيده، قاله ابن عباس.

والثاني: لا مبدل لما أخبر به وما أمر به، قاله الزجاج^(٤).

والثالث: لا مبدل لحكماته وأفضيته النافذة في عباده، فعبرت الكلمات عن هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] أي: وجب ما قضي^(٥) عليهم.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٥٨).

(٢) في (ج): (يُكْذِّبُهُم).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/٢٦٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٤٣).

(٥) في (ف): (قضاء).

فعلی هذا القول، والذي قبله، يكون المعنى: لا مبدل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما حكم به، وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله: ﴿لَا غَلْبَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

و الرابع: أن معنى الكلام معنى النهي، وإن كان ظاهره الإخبار، فالمعنى: لا يُبدل أحد كلمات الله، فهو كقوله: ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].
والخامس: أن المعنى: لا يقدر أحد على تبديل كلام الله، وإن زخرف واجتهد، لأن الله تعالى صانه برصين اللفظ، وقويم الحكم، أن يختلط بالفاظ أهل الزيغ، ذكر هذه الألفاظ^(١) الثلاثة ابن الأنباري.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: فيما صبروا عليه من الأذى فنصروا^(٢). وقيل: إن «مِنْ» صلة^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اِسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

(١) في (ج)، و(ف): (الأقوال).

(٢) في الأصل: (فتصبروا)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ج): (صلته).

قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾.

سبب نزولها:

أن الحارث بن عامر أتى رسول الله ﷺ في نفر من قريش فقال: يا محمد، ائتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات، فإن فعلت آمنا بك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١).

و ﴿كِبَرَ﴾: بمعنى «عَظُمَ».

وفي معنى^(٢) إعراضهم قولان:

أحدهما: عن استماع القرآن.

والثاني: عن اتباع النبي ﷺ.

فأما «النَّفَق» فقال ابن قتيبة: النَّفَق في الأرض: المدخل، وهو السَّرْب. والسَّلْم في السَّمَاء: المصعد^(٣).

وقال الرَّجَّاج: النَّفَق: الطَّرِيق النَّافِذ في الأرض. والنَّافِقَاء، ممدود: أحد جحرة اليربوع يَحْرِقُه من باطن الأرض إلى جلدة الأرض، فإذا بلغ الجلدة أرقَّها، حتى إن رابه ريب، دفع برأسه ذلك الموضع^(٤) وخرج، ومنه سُمِّي المنافق، لأنه أبطن غير ما أظهر، كالنَّافِقَاء الذي ظاهره غير [أ/٢٢٩]

(١) لم نقف عليه.

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/١٥٣).

(٤) في (ج)، و(ف): (المكان).

و«السُّلَم» مشتقٌ من السَّلامة، وهو الشيء الذي يسلمك إلى مصعدك.

والمعنى: فإن استطعت هذا فافعل، وحذف «فافعل»، لأن في الكلام دليلاً عليه^(١).

وقال أبو عبيدة: السُّلَم: السبب والمراقبة، تقول: اتخذني سُلماً لحاجتك، أي: سبباً^(٢).

وفي قوله: ﴿فَتَأْتِيهِمْ بَأْيَةٌ﴾ قولان:

أحدهما: بآية قد سألك إياها، وذلك أنهم سألوا نزول ملك الموت، ومثل آيات الأنبياء، كعصا موسى، وناقصة صالح.

والثاني: بآية هي أفضل من آيتك.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لو شاء أن يطبعهم على الهدى لطبعهم.

والثاني: لو شاء لأنزل ملائكة^(٣) تضطربهم إلى الإيمان. ذكرهما الزَّجَّاج^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٤).

(٣) في (ج)، و(ف): (آية).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٤).

والثالث: لو شاء لآمنوا كلهم، فأخبر [أنهم]^(١) إنما تركوا الإيمان بمشيئته، ونافذ قضائه.

قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى.

والثاني: لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم، ويكفر [بك]^(٢) بعضهم.

والثالث: لا تكونن ممن لا صبر له، لأن قلة الصبر من أخلاق الجاهلين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

﴿[الأنعام: ٣٦].﴾

قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: إنما يجيبك من يسمع، والمراد

به سماع قبول.

وفي المراد بالموتى قولان:

أحدهما: أنهم الكفار، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة.

فيكون المعنى: إنما يستجيب المؤمنون، فأما الكفار فلا يستجيبون

حتى يبعثهم الله تعالى، ثم يحشرهم كفارًا، فيجيبون اضطرابًا.

(١) زيادة من (ف).

(٢) زيادة من (ف).

والثاني: أنهم الموتى حقيقة، ضربهم الله تعالى^(١) مثلاً.

والمعنى: أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله، فكذلك الذين لا يسمعون.

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ رُجْعُونَ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين، فيجازي الكل.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧].

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤساء قريش^(٢).

و ﴿لَوْلَا﴾ بمعنى «هلاً» وقد شرحناها في «سورة النساء»^(٣).

وقال مقاتل: أرادوا بالآية مثل آيات الأنبياء^(٤).

وقال غيره: أرادوا نزول ملك يشهد له بالنبوة.

وفي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يعلمون بأن الله ﷻ قادر على إنزال الآية.

والثاني: لا يعلمون ما عليهم من البلاء في إنزالها، لأنهم إن لم يؤمنوا بها، زاد عذابهم.

(١) قوله: (الله تعالى)، ليس في (ف).

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (١/٢١٩).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٧٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٥٩).

والثالث: لا يعلمون المصلحة في نزول الآية.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآئِن دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قوله: ﴿وَمَآئِن دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ﴾.

قال ابن عباس: يريد كل ما دبَّ على الأرض^(١).

قال الزَّجَّاج: وذكر الجناحين تأكيد، وجميع ما خلق لا يخلو إما أن

يدبُّ، أو يطير^(٢). [٢٢٩/ب]

وقوله: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

قال مجاهد: أصناف مصنفة^(٣).

وقال أبو عبيدة: أجناس يعرفون الله ويعبدونه^(٤).

وفي معنى ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أمثالكم في كون بعضها تفقه^(٥) عن بعض، رواه أبو صالح

عن ابن عباس.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/٢٦٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٤٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٩/٢٣٣)، وابن أبي حاتم (٧٢٥٦) في تفسيرهما من طريق ابن أبي نجيع، به، بلفظ: «أَصْنَافٌ مُصَنَّفَةٌ تُعْرَفُ بِأَسْمَائِهَا».

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/١٩١).

(٥) في (ف): (يفقه).

والثاني: في معرفة الله، قاله عطاء.

والثالث: أمثالكم في الخلق والموت والبعث، قاله الزجاج^(١).

والرابع: أمثالكم في كونها تطلب الغذاء، وتبتغي الرزق، وتتوقى المهالك، قاله ابن قتيبة^(٢).

قال ابن الأنباري: وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى ركب في المشركين عقولاً، وجعل لهم أفهاماً ألزمهم بها أن يتدبروا أمر النبي ﷺ ويتمسكوا بطاعته، كما جعل للطير أفهاماً يعرف بها بعضها إشارة بعض، وهدى الذكر منها لإتيان الأنثى، وفي كل ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها.

قوله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

في ﴿الْكِتَابِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه اللوح المحفوظ.

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أم الكتاب^(٣). وإلى هذا المعنى ذهب قتادة، وابن زيد.

والثاني: أنه القرآن.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٥).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٢٤٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٩/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٧٢٥٩) في تفسيرهما.

روى عطاء عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم^(١).

فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المعنى: ما فرطنا في^(٢) شيء بكم إليه حاجة إلا وبيناه في الكتاب، إما نصاً، وإما مجملاً، وإما دلالة، كقولنا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] أي: لكل شيء يحتاج إليه في^(٣) أمر الدين.

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه الجمع يوم القيامة.

روى أبو ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَذَرِي فِيهِمَا أَنْتَطَحَتَا؟» قلت: لا. قال: «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَذَرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا»^(٤).

وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدله أن يأخذ للجَمَاء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فيقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً^(٥).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/٢٦٨).

(٢) في (ف): (من).

(٣) في (ف): (من).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٤٦)، عن معمر، عن الأعمش، ذكره عن أبي ذر، به. ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٢٣٦) وهو منقطع بين الأعمش وأبي ذر. وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد في مسنده (١٥/٣٣)، وسنده ضعيف أيضاً.

(٥) رواه عبد الرزاق (٢/٤٦)، وابن جرير الطبري (٩/٢٣٥)، وابن أبي حاتم (٩١٠٩) في تفسيرهما.

والثاني: أن معنى حشرها: موتها، قاله ابن عباس، والضَّحَاك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكُمْ﴾ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ [الأنعام: ٣٩].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ، ﴿صُمْ﴾ عن القرآن لا يسمعون، ﴿وَبُكُمْ﴾ عنه لا ينطقون به ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في الشُّرْك والضَّلالة. ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ فيضله^(١) فيموت على الكفر ﴿وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ [الأنعام: ٤٠].

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾.

[٢٣٠/أ] قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمة: «أرأيتكم» و«أرأيتكم» و«أرأيت» بالألف في كل القرآن مهموزاً. ولين الهمزة نافع في الكل.

وقرأ الكسائي بغير همز ولا ألف^(٢).

قال الفرّاء: العرب تقول: أرأيتك، وهم يريدون: أخبرني^(٣).

(١) في (ج)، و(ف): (بضله).

(٢) انظر: السبعة (١/٢٥٧)، والحجة (٣/٣٠٥)، والمبسوط (١/١٩٣).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/٣٣٣).



فَأَمَّا ﴿عَذَابُ اللَّهِ﴾.

ففي المراد به هاهنا قولان:

أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس.

والثاني: العذاب الذي كان يأتي الأمم الخالية، قاله مقاتل^(١).

فَأَمَّا ﴿السَّاعَةُ﴾ فهي القيامة.

قال الزَّجَّاج: وهو اسم للوقت الذي يُصْعَق فيه العباد، وللوقت الذي يُبْعَثُونَ فيه^(٢).

قوله: ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ أي: أتدعون صنماً أو حجراً للكشف ما بكم؟! فاحتجَّ عليهم بما لا يدفعونه، لأنهم كانوا إذا مسَّهم الضرُّ دعوا الله. وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ جواب لقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾، لأنه بمعنى أخبروا، كأنه قيل لهم: إن كنتم صادقين، فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم؟.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ

﴿٤١﴾ [الأنعام: ٤١].

قوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٦).

قال الزَّجَّاج: أعلمهم أنهم لا يدعون في الشَّدائد إلا إِيَّاه، وفي ذلك أعظم الحجج عليهم، لأنهم عبدوا الأصنام^(١).

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾.

المعنى: فيكشف الضَّرَّ الذي من أجله دعوتهم، وهذا على اتِّساع الكلام مثل قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية.

﴿وَتَنْسُونَ﴾: يجوز أن يكون بمعنى «تركون»، ويجوز أن يكون المعنى: إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيتهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢].

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

في الآية محذوف، تقديره: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً فخالفوههم، فأخذناهم بالْبَأْسَاءِ.

وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الزَّمَانَةُ والخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ.

والثاني: أنها البؤس، وهو الفقر، قاله ابن قُتَيْبَةَ^(٢).

والثالث: أنها الجوع، ذكره الزَّجَّاج^(٣).

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٤٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ٧٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٨).



وفي الضَّرَاءِ ثلاثة أقوال:

أحدها: البلاء، والجوع، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: النقص في الأموال والأنفس، ذكره الزَّجَّاج^(١).

والثالث: الأسقام والأمراض، قاله أبو سليمان.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: لكي يتضرَّعوا.

و«التَضَرُّع»: التذلل والاستكانة.

وفي الكلام محذوف تقديره: فلم يتضرَّعوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ

الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

قوله: ﴿فَلَوْلَا﴾ معناه: «فهلاً».

و«البأس»: العذاب.

ومقصود الآية: أن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنه قد أرسل إلى قوم

قبله بلغوا من القسوة أنهم أخذوا بالشَّدائد، فلم يخضعوا، وأقاموا على

كفرهم، وزين لهم الشيطان ضلالتهم فأصرُّوا عليها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ

حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٨).

قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

قال ابن عباس: تركوا ما وعظوا به^(١).

[٢٣٠/ب] ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد رخاء الدنيا وسرورها.

وقرأ أبو جعفر، وابن عامر: «فَتَحْنَا» بالتشديد هنا، وفي «الأعراف»، وفي «الأنبياء»: «فُتِّحَتْ»، وفي «القمر»: «فَتَّحْنَا». والجمهور على تخفيفهن^(٢).

قال الزَّجَّاج: أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير، حتى إذا ظنوا أن ما كان نزل بهم، لم يكن انتقاماً، وما فُتِحَ عليهم باستحقاقهم، أخذناهم بغتة، أي: فاجأهم عذابنا^(٣).

وقال ابن الأنباري: إنما أراد بقوله: «كل شيء»: التأكيد، لقول القائل: أكلنا عند فلان كل شيء، وكنا عنده في كل سرور، يريد بهذا العموم تكثير ما يصفه والإطناب فيه، كقوله: ﴿وَأُوتِيََتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

وقال الحسن: من وسَّعَ عليه فلم ير أنه يُمَكِّرُ به، فلا رأي له، ومن قَتَرَ عليه فلم ير أنه يُنْظِرُ له، فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية، وقال: مُكْرٌ بالقوم وربُّ الكعبة، أعطوا حاجاتهم ثم أخذوا^(٤).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: السبعة (١/ ٢٥٧)، والحجة (٣/ ٤٤١)، والمبسوط (١/ ١٩٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢٩٣)، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٢٧٠).

قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.

في المبلِس خمسة أقوال:

أحدها: أنه الآيس من رحمة الله ﷻ، رواه الضَّحَّاك عن ابن عباسٍ، وقال في رواية أخرى: الآيس من كلِّ خير.

وقال الفراء: المبلِس: اليائس المنقطع رجاءه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته، فلا يكون عنده جواب: قَدْ أَبْلَسَ.

قال العجاج [من الرجز]:

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا قَالَ نَعَمْ! أَعْرِفُهُ! وَأَبْلَسًا
أي: لم يَحْرِ جواباً^(١).

وقيل: المكْرَس: الذي قد بعرت فيه الإبل، وبَوَلَّت، فركب بعضه بعضاً.

والثاني: أنه المُفْتَضَح. قال مجاهد: الإبل اس: الفضيحة^(٢).

والثالث: أنه المُهْلَك، قاله السُّدِّي.

والرَّابِع: أنه المجهود المكروب الذي قد نزل به من الشَّرِّ ما لا يستطيعه، قاله ابن زيد.

(١) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٣٥)، والبيت للعجاج في ديوانه (١/ ١٨٥)، ولسان العرب (٦/ ٣٠)، والتنبيه والإيضاح (٢/ ٢٦٢)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٤٤٢)، والكامل (٢/ ١٤١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٧٣).

والخامس: أنه الحزين النَّادم، قاله أبو عبيدة.

وأنشد لرؤية [من الرجز]:

وَحَضَرَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسُ وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِبْلَاسُ

أي: اكتئاب، وكسوف، وحزن^(١).

وقال الزَّجَّاج: هو الشَّدِيدُ الحسرة، الحزين، اليائس.

وقال في موضع آخر: الْمُبْلِسُ: السَّاكِتُ المتحير^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُطِعَ دَايِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٥)

[الأنعام: ٤٥].

قوله: ﴿فَقُطِعَ دَايِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

قال ابن السَّائِب: دابرهم: الذي يتخلف في آخرهم^(٣).

والمعنى: أنهم استؤصلوا.

وقال أبو عبيدة^(٤): دابرهم: آخرهم الذي يدبرهم^(٥).

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٢)، والبيت لرؤية في ديوانه (ص ٦٧)، وبلا نسبة في لسان العرب (٦/ ٣٠)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٤٤٢)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٣٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩، ٤/ ٢٠).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٢).

(٤) من قوله: (قال ابن السائب)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٢).

قال ابن قتيبة: هو كما يقال: اجْتُثَّ أصلهم^(١).

قال المفسرون: وإنما حمد نفسه على قطع دابرهم، لأن ذلك إنعام على رسلهم الذين كذبوهم، وعلم الحمد على كفايته شر الظالمين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦].

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ أي: أذهبها ﴿وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ حتى لا تعرفون شيئاً ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾؟

[١/٢٣١]

في هاء ﴿يُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها تعود على الفعل، والمعنى: يأتيكم بما أخذ الله منكم، قاله الزجاج^(٢).

وقال الفراء: إذا كُنت عن الأفاعيل، وإن كثرت، وحدث الكناية، كقولك للرجل: إقبالك وإدبارك يؤذيني.

والثاني: أنها تعود إلى الهدى، ذكره الفراء^(٣).

فعلى هذا تكون الكناية عن غير مذكور، ولكن المعنى يشتمل عليه، لأن من أخذ سمعه وبصره وختم على قلبه لم^(٤) يهتد.

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٥).

(٤) في (ف): (فلم).

والثالث: أنها تعود على السَّمْع، ويكون ما عُطف عليه داخلاً معه في القصة، لأنه معطوف عليه، ذكره الزَّجَّاج^(١).

والجمهور يقرءون: ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ﴾ بكسر هاء «به».

وروى المسيبي عن نافع: «به انظر»: بالضم^(٢).

قال أبو علي: من كسر، حذف الياء التي تلحق الهاء في نحو: بهي عيب، ومن ضم، فعلى قول من قال: «فخسفنا بهو وبارهو الأرض» فحذف الواو^(٣).

قوله: ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرِفُ الْآيَاتِ﴾.

قال مقاتل: يعني تكون العلامات في أمور شتى، فيخوِّفهم بأخذ الأسماع والأبصار والقلوب، وما صنع بالأُمم الخالية ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ أي: يعرضون فلا^(٤) يعتبرون^(٥).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعَثَ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ (٧) [الأنعام: ٤٧].

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعَثَ أَوْ جَهْرَةً﴾.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩).

(٢) انظر: السبعة (١/ ٢٥٧-٢٥٨)، والحجة (٣/ ٣١٠)، ومعاني القراءات (١/ ٣٥٤).

(٣) انظر: الحجة (٣/ ٣١٠).

(٤) في (ج): (ولا).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦١).

قال الرَّجَّاجُ: «الْبَغْتَةُ»: المفاجأة. و«الْجَهْرَةُ»: أن يأتيهم وهم يرونه^(١).

﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ أي: هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم، لأنكم كفرتم^(٢) معاندين، فقد علمتم أنكم ظالمون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: بالثواب ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ أي: بالعقاب، وليس إرسا لهم ليأتوا بما يقرحونه من الآيات.

ثم ذكر ثواب من صدَّق، وعقاب من كَذَّب في تمام الآية والتي^(٣) بعدها.

وقال ابن عباس: ﴿يَفْسُقُونَ﴾ بمعنى يكفرون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥٠) [الأنعام: ٥٠].

قوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾.

سبب نزولها:

أن أهل مكة قالوا: يا محمد، لو أنزل الله عليك كنزاً فتستغني به،

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٤٩).

(٢) من قوله: (أن يأتيهم وهم يرونه)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) في (ف): (والذي).

فإنك فقير محتاج، أو تكون لك جنة تأكل منها، فإنك تجوع، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

وقال الزَّجَّاج: وهذه الآية متصلة بقوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ [يونس: ٢٠]، فأعلمهم أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي، ولا يعلم الغيب فيخبرهم به إلا بوحي، ولا يقول: إنه ملك، لأن الملك يشاهد من أمور الله تعالى ما لا يشاهده البشر^(١).

وقرأ ابن مسعود، وابن جُبَيْر، وعكرمة، والجحدري: «إني مَلِكٌ» بكسر اللام^(٢).

وفي ﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ قولان:

أحدهما: أن «الأعمى»: الكافر، و«البصير»: المؤمن، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: «الأعمى»: الضالُّ، و«البصير»: المهتدي، قاله سعيد بن [٢٣١/ب] جُبَيْر، ومجاهد.

وفي قوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ قولان:

أحدهما: فيما يُبَيِّن لكم من الآيات الدَّالَّة على وحدانيته وصدق رسوله. والثاني: فيما ضُرب لكم من مثل الأعمى والبصير وأنها لا يستويان. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٠).

(٢) وعن طلحة الحضرمي في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٣).

قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾.

قال الزَّجَّاج: يعني بالقرآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر دون غيرهم، وإن كان مُنْذِرًا لجميع الخلق، لأن الحجَّة على الخائفين الحشر أظهر، لا عترافهم بالمعاد، فهم أحد رجلين: إما مسلم، فيُنْذَر ليُؤدِّيَ حَقَّ الله عليه في إسلامه، وإما كُتَّابِيٌّ، فأهل الكتاب مجمعون على البعث. وذكر الولي والشفيع، لأن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحبَّاءه، فأعلم ﷺ أن أهل الكفر ليس لهم من دونه وليٌّ ولا شفيع^(١).

وقال غيره: ليس لهم من دونه وليٌّ، أي: ليس لهم غير الله وليٌّ ولا شفيعٌ، لأن شفاعَةَ الشَّافِعِينَ بأمره.

وقال أبو سليمان الدَّمَشْقِي: هذه الآية متعلِّقة بقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

روى سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة: فيَّ، وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥١).

قالت قريش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء، فاطردهم عنك؛ فدخل على رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فنزلت هذه الآية^(١).

وقال خَبَّاب بن الأَرث: نزلت فينا، كنا ضعفاء عند النَّبِيِّ ﷺ يعلمنا بالغداة والعشي ما ينفعنا، فجاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فقالا: إنا من أشراف قومنا، وإنا نكره أن يرونا معهم، فاطردهم إذا جالسناك. قال: «نَعَمْ». فقالوا: لا نرضى حتى تكتب بيننا كتاباً، فأتي بأديم ودواة، ودعا علياً ليكتب، فلما أراد ذلك، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤُا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾^(٢) فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴿فرمى بالصَّحِيفَة ودعانا، فأتيناه وهو يقول: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ». فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٤١٣) مختصراً، وعبد بن حميد (١٣١)، والنسائي في الكبرى (٨١٦٣) ٨١٨٠-٨٢٠٧-٨٢٠٩-١١٠٩٨، وابن ماجه (٤١٢٨)، والبزار في مسنده (١٢٢٨)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٨٢٦)، والحاكم في المستدرک (٣/٣٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٥/١٣) بالفاظ متقاربة.

(٢) زيادة من (ج).

(٣) رواه ابن ماجه (٢١٢٧)، وابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٢٥٩/٩)، والآجري في أخلاق أهل القرآن (١/١١٣)، والطَّبْرَانِي في الكبير (٣٦٩٣)، والبزار في مسنده (٢١٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٩).

وقال ابن مسعود: مرَّ المَلَأُ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خَبَّاب، وصُهَيْب، وبلال، وعَمَّار، فقالوا: يا محمد، رضيتَ بهؤلاء، أتريد أن نكون تبعاً لهم؟! فنزلت: ﴿وَلَا تَقْرُؤِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾^(١).

وقال عكرمة: جاء عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، في أشراف بني عبد مناف، إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم في صدورنا، وأدنى [٢٣٢/أ] لاتباعنا إياه، فأتاه أبو طالب فحدثه بذلك، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عمر يعتذر من مقالته^(٢).

وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه الآيات نزلت في الموالى، منهم بلال، وصُهَيْب، وخَبَّاب، وعَمَّار، ومُهْجَع، وسلمان، وعامر بن فهيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأن قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ نزلت فيهم أيضاً^(٣).

(١) رواه أحمد في مسنده (٩٢/٧)، وابن جرير الطبري (٢٥٨/٩)، وابن أبي حاتم (٧٣٤٢) في تفسيرهما، والطبراني في الكبير (١٠٥٢٠)، والبزار في مسنده (٢٠٤١) وغيرهم من طرق عن أشعث بن سوار، عن كردوس الثعلبي، عن ابن مسعود ؓ، به، بنحوه. وهو حديث حسن. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف أشعث، وهو ابن سوار الكندي، ويشهد له حديث سعد بن أبي وقاص ؓ المتقدم.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٦٢/٩) من طريق حجاج، عن ابن جُرَيْج، به.

(٣) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٥٢٠/٤).

وقد روى العوفي عن ابن عباس: أن أناساً من الأشراف قالوا للنبي ﷺ: نؤمن لك، وإذا صلينا فأخّر هؤلاء الذين معك، فليصلوا خلفنا^(١).

فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرهم عن الصّف، وعلى الأقوال التي قبله، سألوه طردهم عن مجلسه.

قوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾.

في هذا الدعاء خمسة أقوال:

أحدها: أنه الصّلاة المكتوبة، قاله ابن عمر، وابن عباس.

وقال مجاهد: هي الصّلوات الخمس^(٢).

وفي رواية عن مجاهد، وقتادة قالوا: يعني صلاة الصّبح والعصر.

وزعم مقاتل أن الصّلاة يومئذ كانت ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشي، ثم فرضت الصّلوات الخمس بعد ذلك^(٣).

والثاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النّخعي، وعنه كالقول الأوّل.

والثالث: أنه عبادة الله، قاله الضّحّاك.

والرّابع: أنه تعلّم القرآن غدوة وعشيّة، قاله أبو جعفر.

(١) رواه ابن جرير الطّبري في تفسيره (٢٦٧/٩).

(٢) رواه ابن جرير الطّبري في تفسيره (٢٦٦/٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٦٣/١).

والخامس: أنه دعاء الله بالتوحيد، والإخلاص له^(١)، وعبادته، قاله الزَّجَّاج^(٢).

وقرأ الجمهور: «بالغداة».

وقرأ ابن عامر هاهنا وفي «الكهف» أيضًا: «بالْغُدُوَّة» بضم الغين وإسكان الدال وبعدها واو^(٣).

قال الفرَّاء: والعرب لا تدخل الألف واللام في «الغدوة»؛ لأنها معرفة بغير ألف ولام، ولا تضيفها العرب يقولون: أتيتك غداة الخميس، ولا يقولون: غُدوة الخميس، فهذا دليل على أنها معرفة^(٤).

وقال أبو علي: الوجه: الغداة، لأنها تستعمل نكرة^(٥)، وتعرَّف باللام، وأما غُدوة، فمعرفة^(٦).

وقد قال الخليل: يجوز أن تقول: أتيتك اليوم غُدوة وبُكرة، فجعلها بمنزلة ضحوة، فهذا وجه قراءة ابن عامر^(٧).

فإن قيل: دعاء القوم كان متصلاً بالليل والنَّهار، فلماذا خصَّ الغداة والعشي؟

(١) ليست في (ج).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥١).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٥٨)، والحجَّة (٣/ ٣١٩)، والمبسوط (١/ ١٩٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٩).

(٥) في الأصل، و(ج): (بكرة)، والمثبت من (ر)، وهو الموافق لما في كتاب الحجَّة.

(٦) انظر: الحجَّة (٣/ ٣١٩).

(٧) انظر: الكتاب؛ لسيبويه (٣/ ٢٩٤).

قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

[٢٣٢/ب] فأما الحساب المذكور في الآية، ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه حساب الأعمال، قاله الحسن.

والثاني: حساب الأرزاق.

والثالث: أنه بمعنى الكفاية. والمعنى: ما عليك من كفايتهم، ولا عليهم كفايتك.

قوله: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

قال ابن الأنباري: عظم هذا الأمر على النبي ﷺ، وخوف بالدخول في جملة الظالمين، لأنه كان قد همّ بتقديم الرؤساء على الضعفاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

(۱) انظر: معاني القرآن وإعرابه (۲/ ۲۵۱) بمعناه.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾.

المعنى: وكما ابتلينا قبلك الغني بالفقير، ابتلينا هؤلاء^(١) أيضاً بعضهم ببعض. و«فتنا» بمعنى: ابتلينا واختبرنا ﴿لِيَقُولُوا﴾ يعني الكبراء: ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ يعنون الفقراء والضعفاء ﴿مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالهدى؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة.

قال ابن السائب: ابتلى الله الرؤساء بالموالي، فإذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله، أنف أن يُسلم، ويقول: سبقني هذا!^(٢)

قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا منَّ عليهم بالهداية.

والمعنى: إنما يهدي الله من يعلم أنه يشكر.

والاستفهام في «أليس»، معناه التقرير، أي: إنه كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في رجال أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا أصبنا

(١) ليست في (ف).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٧٦).

ذنوبًا عظيمة، فسكت عنهم رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله أنس بن مالك^(١).

والثاني: أنها نزلت في الذين نُهي عن طردهم، فكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسَّلام، وقال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أَمْتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِالسَّلامِ»، قاله الحسن، وعكرمة^(٢).

والثالث: أنها نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة، وجعفر، وعثمان بن مظعون، وأبي عُبَيْدَةَ، ومصعب بن عمير، وسالم، وأبي سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعمار، وبلال، قاله عطاء^(٣).

والرَّابع: أن عمر بن الخطَّاب كان أشار على رسول الله ﷺ بتأخير الفقراء، استمالة للرؤساء إلى الإسلام، فلما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ جاء عمر بن الخطَّاب يعتذر من مقالته ويستغفر منها، فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن السَّائب^(٤).

والخامس: أنها نزلت مبشرة بإسلام عمر بن الخطَّاب، فلما جاء وأسلم تلاها عليه رسول الله ﷺ، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

(١) رواه مسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٢٠٦/٦)، وابن جرير الطَّبْرِي (٢٧٢/٩)، وابن أبي حاتم (٧٣٤٥) في تفسيرهما من طريق سفيان الثَّورِي، عن مجمع، عن ماهان، مرفوعًا.

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (٢١٥/١) عن عكرمة، مرسلًا.

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٥٢/٤).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٢٦٢/٩) من طريق ابن جُرَيْج، عن عكرمة من قوله، بلفظ مطول.

فأما قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِعَائِدَتِنَا﴾ فمعناه: يصدقون بحججنا وبراهيننا.

قوله: ﴿فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه أمر بالسَّلام عليهم تشریفًا لهم، وقد ذكرناه عن

الحسن، وعكرمة. [١/٢٣٣]

والثاني: أنه أمر بإبلاغ السَّلام إليهم عن الله تعالى، قاله ابن زيد.

قال الرَّجَّاج: ومعنى السَّلام: دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات^(١).

وفي السَّوء قولان:

أحدهما: أنه الشُّرك.

والثاني: المعاصي.

وقد ذكرنا في «سورة النساء» معنى «الجهالة»^(٢).

قرأ ابن كَثِير، وأبو عَمْرٍو، وحمزة، والكِسَائِي: «إنه من عمل منكم سوءًا» «فإنه غفور» بكسر الألف فيهما.

وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتح الألف فيهما.

وقرأ نافع بنصب أَلِف «أنه من عمل»، وكسر أَلِف «فإنه غفور»^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٥٢-٢٥٣).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٧).

(٣) انظر: السَّبعة (١/٢٥٨)، والحجَّة (٣/٣١١)، والمبسوط (١/١٩٤-١٩٥).

قال أبو علي: من كسر ألف «إنه» جعله تفسيرا للرحمة، ومن كسر ألف «فإنه غفور» فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، ومن فتح ألف «أنه من عمل» جعل «أن» بدلاً من الرحمة، والمعنى: كتب ربكم «أنه من عمل»، ومن فتحها بعد الفاء أضمر خبراً تقديره: فله «أنه غفور رحيم»، والمعنى: فله غفرانه. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَن لَّهُ نَارٌ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣] معناه: فله أن له نار جهنم، وأما قراءة نافع، فإنه أبدل من الرحمة، واستأنف ما بعد الفاء^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ أي: وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين، كذلك نبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل.

قال ابن قتيبة: ومعنى تفصيلها: إتيانها متفرقة شيئاً بعد شيء^(٢).

قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَلِتَسْتَبِينَ» بالتاء، «سبيل» بالرفع. وقرأ نافع، وزيد عن يعقوب: بالتاء أيضاً، إلا أنها نصباً السبيل.

(١) انظر: الحجة (٣/ ٣١١).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٤).

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وَلَيْسَتَيْنِ» بالياء، «سَبِيلُ» بالرفع^(١).

فمن قرأ: ﴿وَلَيْسَتَيْنِ﴾ بالياء أو بالتاء، فلأن السَّيْلَ يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ على ما بيَّنَّا في «آل عمران»، ومن نصب اللام، فالمعنى: ولستين أنت يا محمد سبيلَ المجرمين.

وفي سبيلهم التي بُيِّنَتْ له، قولان:

أحدهما: أنها طريقهم في الشُّرك، ومصيرهم إلى الخزي، قاله ابن عَبَّاسٍ.
والثاني: أنها مقصودهم في طرد الفقراء عنه، وذلك إنما هو الحسد، لا إظهار مجالسته وأتباعه، قاله أبو سليمان.

فإن قيل: كيف انفردت لام «كي» في قوله: «ولستين»، وسبيلها أن تكون شرطاً لفعل يتقدَّمها أو يأتي بعدها؟

فقد أجاب عنه ابن الأنباري بجوابين:

أحدهما: أنها شرط لفعل مضمر، يراد به: ونفعل ذلك لكي تستبين.
والثاني: أنها معطوفة على لام مضمرة، تأويله: نفصل الآيات لينكشف أمرهم، ولستين سبيلهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْبَاءَ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

(١) انظر: السبعة (١/٢٥٨)، والحجَّة (٣/٣١٤)، والمبسوط (١/١٩٥).

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام.

[٢٣٣/ب] وفي معنى ﴿تَدْعُونَ﴾ قولان:

أحدهما: تدعونهم آلهة.

والثاني: تعبدون، قاله ابن عباس.

وأهواؤهم: دينهم.

قال الزَّجَّاج: أراد إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق
البينة والبرهان^(١).

ومعنى «إِذَا» معنى الشرط، والمعنى: قد ضللت إن عبدتها^(٢).

وقرأ طلحة، وابن أبي ليلى: «قد ضللت» بكسر اللام^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا
تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ إِنْ أُلْحِكُمْ إِلَّا اللَّهُ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾.

سبب نزولها:

أن النضر بن الحارث وسائر قريش قالوا للنبي ﷺ: يا محمد اتنا
بالعذاب الذي تعدنا به، استهزاء، وقام النضر عند الكعبة فقال: اللَّهُمَّ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٣) عن يحيى وابن أبي ليلى، وفي البحر المحيط (٤/ ١٤٢)
عن السلمي.



إن كن ما يقول حقًا، فائتنا بالعذاب، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١).

فأما «البينة» فهي الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل.

قال الزجاج: أنا على أمرين، لا متبع لهوى^(٢).

قوله: ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾.

في هاء الكناية، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الرب.

والثاني: ترجع إلى البيان.

والثالث: ترجع إلى العذاب الذي طلبوه استهزاء.

قوله: ﴿مَا عِنْدِي مَا اسْتَعِجَلُونِي﴾ أي: ما بيدي.

وفي الذي استعجلوا به قولان:

أحدهما: أنه العذاب، قاله ابن عباس، والحسن.

والثاني: أنه الآيات التي كانوا يقترحونها، ذكره الزجاج^(٣).

قوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/٢١٩) عن محمد بن السائب الكلبي من قوله.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٥٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٥٦).

فيه قولان:

أحدهما: أنه الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب.
والثاني: أنه القضاء بإنزال العذاب على المخالف.

قوله: ﴿يَقْضُ الْحَقَّ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع ﴿يَقْضُ الْحَقَّ﴾ بالصاد المشددة، من القصص. والمعنى: أن كل ما أخبر به فهو حق.

وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمة، والكسائي: «يَقْضِي الْحَقَّ» من القضاء^(١). والمعنى: يقضي القضاء الحق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ، لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٨].

قوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ أي: من العذاب ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾.

قال ابن عباس: يقول: لم أمهلكم ساعة، ولأهلككم^(٢).

قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: إن شاء عاجلهم، وإن شاء أخر عقوبتهم.

(١) انظر: السبعة (١/٢٥٩)، والحجّة (٣/٣١٨)، والمبسوط (١/١٩٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/٢٧٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٤/٥٣٢).

والثاني: أعلم بما يؤول إليهم أمرهم، وأنه قد يهتدي منهم قوم، ولا يهتدي آخرون؛ فلذلك يؤخرهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

قوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾.

قال ابن جرير: وَالْمَفَاتِيحُ: جمع مِفْتَاحٍ يقال: مِفْتَاحٌ وَمِفْتَاحٌ، فمن قال: مِفْتَاحٌ، جمعه: مَفَاتِيحٌ. ومن قال: مِفْتَاحٌ، جمعه: مَفَاتِيحٌ^(١).

وفي ﴿مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ سبعة^(٢) أقوال:

أحدها: أنها خمس لا يعلمها إلا الله ﷻ.

روى البخاري في أفراد من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، لَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِي^(٣) إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ إِلَّا اللَّهُ»^(٤).

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٨٢/٩).

(٢) في (ج): (سنة).

(٣) في (ج): (ولا ما يكون غداً).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤٦٩٧)، وعبد بن حميد في مسنده (٧٣٣).

قال ابن مسعود: أوتي نبيكم علم كل شيء إلا مفاتيح الغيب^(١).

والثاني: أنها خزائن غيب السموات والأرض من الأقدار والأرزاق،
قاله ابن عباس.

والثالث: ما غاب عن الخلق من الثواب والعقاب، وما تصير إليه
الأمور، قاله عطاء.

والرابع: خزائن غيب العذاب، متى ينزل، قاله مقاتل^(٢).

والخامس: الوصلة إلى علم الغيب إذا استُعلم، قاله الزجاج^(٣).

والسادس: عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال.

والسابع: ما لم يكن، هل يكون، أم لا يكون؟ وما يكون كيف
يكون، وما لا يكون إن كان، كيف يكون؟.

فأما ﴿الْبَرِّ﴾ فهو القفر.

وفي «البحر» قولان:

أحدهما: أنه الماء، قاله الجمهور.

والثاني: أنه القرى، قاله مجاهد.

(١) رواه ابن جرير الطبري (٥٨٧/١٨) بلفظ: «كُلُّ شَيْءٍ أُوتِيَ نَبِيُّكُمْ ﷺ إِلَّا عِلْمَ الْغَيْبِ الْخَفِيِّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٦٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٥٧).

قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة، كما تقول: ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه، ليس تأويله: أعرفه في حال مجيئه فقط^(١).

فأما ﴿ظَلُمْتَ الْأَرْضِ﴾ فالمراد بها بطن الأرض.

وفي «الرَّطْب واليابس» خمسة أقوال:

أحدها: أن الرَّطْب: الماء، واليابس: البادية.

والثاني: الرَّطْب: ما ينبت، واليابس: ما لا ينبت.

والثالث: الرَّطْب: الحي، واليابس: الميت.

والرابع: الرَّطْب: لسان المؤمن يذكر الله، واليابس: لسان الكافر لا يتحرك بذكر الله.

والخامس: أنهما الشيء ينتقل من إحدى الحالتين^(٢) إلى الأخرى، فهو يعلمه رطباً، ويعلمه يابساً.

وفي «الكتاب المبين» قولان:

أحدهما: أنه اللُّوح المحفوظ، قاله مقاتل^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٧).

(٢) في (ج): (الحالين).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٤).

والثاني: أنه علم الله المتقن، ذكره الرَّجَّاحُ^(١).

فإن قيل: ما الفائدة في إحصاء هذه الأشياء في كتاب؟

فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرهن ابن الأنباري:

أحدها: أنه أحصاها في كتاب، لتقف الملائكة على نفاذ علمه.

والثاني: أنه نبّه بذلك عباده على تعظيم الحساب، وأعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون، لأن من ثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب، فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع.

والثالث: أن المراد بالكتاب: العلم؛ فالمعنى: أنها مثبتة في علمه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ﴾.

يريد به النوم، لأنه يقبض الأرواح عن التصرف، كما يقبض بالموت.

وقال ابن عباس: يقبض أرواحكم في منامكم^(٢).

و﴿جَرَحْتُم﴾: بمعنى كسبتم.

﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يوقظكم ﴿فِيهِ﴾ أي: في النهار.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٨١).

﴿لِيُقَضَّىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لتبلغوا الأجل المسمى لانقطاع حياتكم،

فدَلَّ باليقظة بعد النوم على البعث بعد الموت. [٢٣٤/ب]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ

أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

قوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

«الحفظة»: الملائكة، واحدهم: حافظ، والجمع: حفظة، مثل كاتب

وكتبة، وفاعل وفعله.

وفيما يحفظونه قولان:

أحدهما: أعمال بني آدم، قاله ابن عباس.

والثاني: أعمالهم وأجسادهم، قاله السُّدِّي.

قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.

وقرأ حمزة: «توفاه رسلنا»، وحجته أنه فعل مسند إلى مؤنث غير

حقيقي، وإنما التأنيث للجمع، فهو مثل: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ {يوسف: ٣٠} ^(١).

وفي المراد بالرسل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أعوان ملك الموت، قاله ابن عباس.

(١) هي قراءة حمزة في إعراب القرآن؛ للنحاس (١٤/٢)، والحجّة (٣/٣٢٥)، والتيسير

وقال النَّخعي: أعوانه يتوفَّون النُّفوس، وهو يأخذها منهم^(١).

والثاني: أن المراد بالرُّسل: مَلَك الموت وحده، قاله مقاتل^(٢).

والثالث: أنهم الحفظة، قاله الزَّجاج^(٣).

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

قال ابن عَبَّاسٍ: لا يضيِّعون.

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وبين قوله

تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ {السجدة: ١١}؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه يجوز أن يريد بالرُّسل ملك الموت وحده، وقد يقع

الجمع على الواحد.

والثاني: أن أعوان مَلَك الموت يفعلون بأمره، فأضيف الكلُّ إلى فعله.

وقيل: توفيُّ أعوان ملك الموت بالنَّزع، وتوفيُّ ملك الموت بأن يأمر

الأرواح فتجيب، ويدعوها فتخرج، وتوفيُّ الله تعالى أن يخلق الموت في الميِّت.

(١) رواه الثوري في تفسيره (١/١٠٨)، وعنه عبد الرزاق (٨٠٩)، وابن جرير الطبري

(٩/٢٩١)، وابن أبي حاتم (٧٣٨٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٦٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٥٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۚ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ

﴿٦٢﴾ [الأنعام: ٦٢].

قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ يعني العباد.

وفي متوَلَّى الرَّدِّ قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة، رَدَّتْهم بالموت إلى الله تعالى.

والثاني: أنه الله ﷻ، رَدَّهم بالبعث في الآخرة.

وفي معنى رَدَّهم إلى الله تعالى قولان:

أحدهما: أنهم رُدُّوا إلى المكان الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله وحده.

والثاني: أنهم رُدُّوا إلى تدبيره وحده؛ لأنه لما أنشأهم كان منفردًا

بتدبيرهم، فلما مكَّنهم من التَّصَرُّف صاروا في تدبير أنفسهم، ثم كفَّهم عنه بالموت فصاروا مردودين إلى تدبيره.

قوله: ﴿لَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ يعني القضاء.

وبيان «سرعة الحساب» في «البقرة»^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ لَئِنْ

أُنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ

﴿٦٤﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٠٢).

قوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ﴾.

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ﴾، ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ﴾^(١) [الأنعام: ٦٤] مشدّتين.

وقرأ يعقوب، والقزّاز عن عبد الوارث: بسكون النون وتخفيف الجيم^(٢).

قال الرّجّاج: والمشدّدة أجود للكثرة^(٣).

و﴿ظَلُمْتَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ﴾: شدائدها، والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة: يوم مظلم، حتى إنهم يقولون: يوم ذو كواكب، أي: قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل.

قال الشاعر^(٤): [من الطويل]:

فِدَى لِيَنِّي ذُهْلِ بْنِ^(٥) شَيْبَانَ نَاقَتِي إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا^(٦) كَوَاكِبَ أَشْنَعَا^(٧)

(١) هذه الآية ليست في (ف).

(٢) انظر: السبعة (١/٢٥٩)، والحجّة (٣/٣٢١-٣٢٢)، والمبسوط (١/١٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٥٩).

(٤) البيت لمُقَّاسِ العائِذِي، في الكتاب؛ لسيبويه (١/٤٧)، وغريب الحديث؛ للخطّابي (٢/٢٤٠)، وشرح المفصل (٤/٣٤٦)، وبلا نسبة في لسان العرب (١/٥٠٩).

(٥) قوله: (ذهل بن)، ليس في (ج).

(٦) ليست في (ف).

(٧) في (ج): (أشعثا).

قوله: ﴿تَدْعُونَهُ نَضْرَعًا﴾.

أي: مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر إلى الشيء، والحاجة. [٢٣٥/أ]

قوله: ﴿وَحُفِيَّةٌ﴾.

قرأ عاصم إلا حفصاً: «وَحُفِيَّةٌ» بكسر الخاء، وكذلك في «سورة (١) الأعراف». وقرأ الباقر بن بضم الخاء، وهما لغتان (٢).

قال الفراء: وفيها لغة أخرى بالواو، ولا تصلح في القراءة: حِفْوَةٌ، وَخَفْوَةٌ (٣). ومعنى الكلام، أنكم تدعون في أنفسكم، كما تدعونه ظاهراً. «لئن أنجيتنا» كذلك قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «لئن أنجيتنا».

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿لَّيْنٌ أُنَجِّنَا﴾ بألف، لمكان الغيبة في قوله: ﴿تَدْعُونَهُ﴾.

وكان حمزة، والكسائي، وخلف، يميلون الجيم (٤).

قوله: ﴿مِنْ هَٰذِهِ﴾ يعني: في أي شدة وقعتم، قلت: «لئن أنجيتنا من هذه».

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: السبعة (١/٢٥٩)، والحجة (٣/٣١٦-٣١٧)، والبسيط (١/١٩٦)، والتيسير (١/١٠٣).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/٣٣٨).

(٤) انظر: السبعة (١/٢٥٩)، والحجة (٣/٣٢٢)، والبسيط (١/١٩٥-١٩٦)، والتيسير (١/١٠٣).

قال ابن عباس: و«الشَّاكِرُونَ»^(١) هاهنا: المؤمنون. وكانت قريش تسافر في البرِّ والبحر، فإذا ضَلُّوا الطَّرِيقَ وخافوا الهلاك، دَعَوْا الله مخلصين، فَأَنْجَاهُمْ^(٢).

فأما «الكرب» فهو الغمُّ الذي يأخذ بالنَّفْس، ومنه اشتَقَّتْ الكربَة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُزَيِّقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۚ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

قوله: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن الذي فوقهم: العذاب النازل من السماء، كما حُصِب قوم لوط، وأصحاب الفيل، والذي من تحت أرجلهم: كما خُسِف بقارون، قاله ابن عباس، والسُّدِّي، ومقاتل^(٣).

وقال غيرهم: ومنه الطُّوفان، والرَّيح، والصَّيْحَة، والرَّجْفَة.

(١) في (ج): (الشَّاكِرِينَ).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٩/ ٢٩٥)، وابن أبي حاتم (١٠٣٠٢) في تفسيرهما من طريق عطية العوفي، به، بلفظ: «إِذَا أَضَلَّ الرَّجُلُ الطَّرِيقَ دَعَا اللَّهَ لَيْسَ أَنْجِينَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٥)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٨٣).

والقول الثاني: أن الذي من فوقهم: من قِبَل أمرائهم، والذي من تحتهم من سَفَلتهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس^(١).

وقال في رواية أخرى: الذي من فوقهم: أئمة السوء، والذي من تحت أرجلهم: عبيد السوء^(٢).

قوله: ﴿أَوْ يَلِيْسَكُم شَيْعًا﴾.

قال ابن عباس [ومجاهد]^(٣): يَبْتَ فيكم الأهواء المختلفة، فتصيرون فِرَقًا^(٤).

قال ابن قتيبة: ﴿يَلِيْسَكُم﴾: من الالتباس عليهم^(٥).

والمعنى: حتى تكونوا شيعًا، أي: فرقًا مختلفين^(٦). ثم يذيق بعضكم بأس بعض بالقتال والحرب.

وقال الزَّجَّاج: ﴿يَلِيْسَكُم﴾ أي: يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق. يقال: لَبَسْتُ عليهم الأمر، ألبسه: إذا لم أبيضه^(٧).

ومعنى ﴿شَيْعًا﴾: أي يجعلكم فرقًا، فإذا كنتم مختلفين، قاتل بعضكم بعضًا.

(١) رواه ابن جرير الطبري (٢٩٨/٩)، وابن أبي حاتم (٧٤٠٨) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٢٩٨/٩)، وابن أبي حاتم (٧٤٠٠) في تفسيرهما.

(٣) زيادة من (ج).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٢٨٤/٢).

(٥) انظر: غريب القرآن (١٥٤/١).

(٦) ليست في (ج).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٦٠/٢).

قوله: ﴿وَيَذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾. أي: يقتل بعضكم بيد بعض.

وفيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها في المسلمين أهل الصلاة، هذا مذهب ابن عباس، وأبي العالية، وقتادة.

وقال أبي بن كعب في هذه الآية: هن أربع خلال، وكلهن عذاب، وكلهن واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ [٢٣٥/ب] بخمس وعشرين سنة، ألبسوا شيعة، وأذيق بعضهم بأس بعض، وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجم^(١).

والثاني: أن العذاب للمشركين، وباقي الآية للمسلمين، قاله الحسن.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُصِيبَكُم بَعْدَ بَعْثِ أَصَابِ بِهِ مَنْ قَبْلُكُمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْكُمْ عَدُوًّا يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَكُمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَلْبِسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَمَنْعَنِيهَا»^(٢).

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن (١٧١٧)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١٥٢/٣٥)، وابن جرير الطبري (٣٠٩/٩)، وابن أبي حاتم (٧٣٩٨) في تفسيرهما، وأبو نعيم في الحلية (٢٣٥/١)، والضياء في المختارة (٣٥٦/٣) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، به، بنحوه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٠٣/٩)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٣٣٣).



والثالث: أنها تهذُّ للمشركين، قاله ابن جرير الطَّبْرِي^(١)، وأبو سليمان الدَّمَشْقِي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦].

قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾.

في هاء «به» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها كناية عن القرآن.

والثاني: عن تصريف الآيات.

والثالث: عن العذاب.

قوله: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لست حفيظًا على أعمالكم لأجازيكم بها، إنما أنا منذر، قاله الحسن.

والثاني: لست حفيظًا عليكم، آخذكم بالإيمان، إنما أدعوكم إلى الله تعالى، قاله الرَّجَّاج^(٢).

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبْرِي (٩/ ٣١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٠).

فصل

وفي هذا القدر من الآية قولان:

أحدهما: أنه اقتضى الاختصار في حقهم على الإنذار من غير زيادة، ثم نسخ ذلك بآية السيف.

والثاني: أن معناه: لست حفيظاً عليكم، إنما أطالبكم بالظواهر من الإقرار والعمل، لا بالأسرار فعلى هذا هو محكم.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٧) [الأنعام: ٦٧].

قوله: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾.

أي: لكل خبر يخبر الله به وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير.

قال السُّدِّي: فاستقرَّ نبيُّ القرآن بما كان يَعِدُهُم من العذاب يوم بدر^(١).

وقال مقاتل: منه في الدنيا يوم بدر، وفي الآخرة جهنم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيِلِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي

حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨)

[الأنعام: ٦٨].

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٣١١ / ٩)، وابن أبي حاتم (٧٤٢٠) في تفسيرهما.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٦٧ / ١).

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا﴾.

فيمن أريد بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: المشركون.

والثاني: اليهود.

والثالث: أصحاب الأهواء. والآيات: القرآن.

وخوض المشركين فيه: تكذيبهم به واستهزاؤهم، ويقاربه خوض اليهود، وخوض أهل الأهواء، والمرء، والخصومات.

قوله: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: فاترك مجالستهم، حتى يكون خوضهم في غير القرآن.

﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ﴾.

وقرأ ابن عامر: «يُنْسِيَنَّكَ»، بفتح النون، وتشديد السين، والنون الثانية^(١).

ومثل هذا: غَرْمُهُ وأَغْرَمْتُهُ. وفي التنزيل: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَتْمَلَهُمْ﴾ [الطارق: ١٧]، والمعنى: إذا أنساك الشيطان، فقعدت معهم ناسياً مَهِيناً لك، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾.

و«الذكر» و«الذكرى»: واحد. قال ابن عباس: قم إذا ذكرت^(٢).

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٦٠)، والحجّة (٣/ ٣٢٤)، والمبسوط (١/ ١٩٦)، والتيسير (١/ ١٠٣).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٨٥) بلفظ: إن نسيت فقعدت، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقم إذا ذكرت.

و«الظَّالِمُونَ»: المشركون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٦٩) [الأنعام: ٦٩].

قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

[٢٣٦/أ] في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المسلمين قالوا: لئن كنا كلنا استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه فمنعناهم، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ولا أن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية.

والثاني: أن المسلمين قالوا: إنا نخاف الإثم إن لم ننههم عن الخوض، فنزلت هذه الآية.

والثالث: أن المسلمين قالوا: لو قمنا عنهم إذا خاضوا، فإننا نخشى الإثم في مجالستهم، فنزلت هذه الآية. هذا عن مقاتل^(١)، والأولان عن ابن عباس^{(٢)(٣)}.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٦٧).

(٢) من قوله: (قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾). في سبب نزولها ثلاثة أقوال... إلى هنا، ليس في (ج).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٥٧).

قوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: يتقون الشرك.

والثاني: يتقون الخوض.

قوله: ﴿مِنْ حَسَابِهِمْ﴾ يعني: حساب الخائضين.

وفي «حسابهم» قولان:

أحدهما: أنه كفرهم وآثامهم.

والثاني: عقوبة خوضهم.

قوله: ﴿وَلَا يَكُنْ ذِكْرِي﴾ أي: ولكن عليكم أن تذكروهم.

وفيا يذكروهم^(١) به قولان:

أحدهما: المواعظ.

والثاني: قيامكم عنهم.

قال مقاتل: إذا قمتم عنهم، منعهم من الخوض الحياء منكم،

والرغبة في مجالستكم^(٢).

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

(١) قوله: (وفيا يذكروهم)، ليس في (ج).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٦٧).

فيه قولان:

أحدهما: يتقون الاستهزاء.

والثاني: يتقون الوعيد.

فصل^(١)

وقد ذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة، لأنها اقتضت جواز مجالسة الخائضين والاختصار على تذكيرهم، ثم نسخت بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

والصحيح أنها محكمة، لأنها خبر، وإنما دلت على أن كل عبد يختص بحساب نفسه، ولا يلزمه حساب غيره.

قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ أَعَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

قوله: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الكفار.

(١) ليست في (ج).

والثاني: اليهود والنصارى.

وفي اتخاذهم دينهم لعباً وهواً ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه استهزأؤهم بآيات الله إذا سمعوها.

والثاني: أنهم دانوا بما اشتَهوا، كما يلهون بما يشتهون.

والثالث: أنهم يحافظون على دينهم إذا اشتَهوا، كما يلهون إذا اشتَهوا.

قال الفراء: ويقال: إنه ليس من قوم إلا ولهم عيد، فهم يلهون في أعيادهم، إلا أمة محمد ﷺ، فإن أعيادهم صلاة وتكبير وبر وخير^(١).

فصل

ولعلماء النَّاسِخِ والمنسوخِ في هذا القدر من الآية قولان:

أحدهما: أنه خرج مخرج التهديد، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا﴾ [المدثر: ١١]. فعلى هذا هو محكم، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد.

والثاني: أنه اقتضى المسامحة لهم والإعراض عنهم، ثم نُسخَ بآية السَّيفِ، وإلى هذا ذهب قتادة، والسُّدِّي.

قوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ أي: عِظْ بالقرآن.

وفي قوله: ﴿أَنْ تَبْسَلَ﴾ قولان:

أحدهما: لئلا تبسل^(٢) نفس، كقوله: ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ٤٤].

[٢٣٦/ب]

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٩).

(٢) من قوله: (قولان)... إلى هنا، ليس في (ج).

والثاني: ذكّرهم إبسال المسلمين بجنایاتهم لعلّهم يخافون.

وفي معنى ﴿تُبْسَلُ﴾ سبعة أقوال:

أحدها: تُسَلَّم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسُّدِّي.

وقال ابن قتيبة: تُسَلَّم إلى الهلكة.

قال الشاعر^(١) [من الوافر]:

وإِبْسَالِي بَنِي بَغِيرِ جُرْمٍ بَعُونَاهُ وَلَا بِدَمٍ مُرَاقٍ

أي: بغير جرم أجرمناه، والبَعُو: الجناية^(٢).

وقال الزّجاج: تُسَلَّمُ بعملها غير قادرة على التّخلص.

و«المُسْتَبْسِلُ»: المُسْتَسْلِمُ الذي لا يعلم أنه يقدر على التّخلص^(٣).

والثاني: تُنْفَضَح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: تُدْفَع، رواه الضّحّاك عن ابن عباس.

والرّابع: تُهْلَك، روي عن ابن عباس أيضًا.

(١) البيت لعوف بن الأحوص الكلابي في الألفاظ؛ لابن السّكّيت (٣١٥/١)، وتفسير ابن جرير الطّبري (٣٢٣/٩)، والمحکم والمحيط (٣٧٧/٢)، ومجمل اللّغة (١٢٥/١)، ولسان العرب (٥٥/١١).

(٢) انظر: غريب القرآن (١٥٥/١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٦١/٢).

والخامس: نُحْبِسُ وَتُؤْخَذُ، قاله قتادة، وابن زيد.

والسادس: تُجْزَى، قاله ابن السائب، والكسائي.

والسابع: تُرْتَمَنَ، قاله الفرّاء. وقال أبو عبيدة: تُرْتَمَنَ وتسلم.

وأنشد^(١) [من الطويل]:

هُنَالِكَ لَا أَزْجُو حَيَاةَ تَسْرُنِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبَسَّلًا بِالْجَرَائِرِ

سمير الليالي: أَبَدَ الليالي.

فأما «الولي»: فهو النَّاصِر الذي يمنعها من عذاب الله.

و«العدل»^(٢): الفداء.

قال ابن زيد: وَإِنْ يَفْتَدِ كُلَّ فِدَاءٍ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا^(٣).

فأما «الحميم» فهو الماء الحار.

قال ابن قتيبة: وَمِنْهُ سَمِّيَ الْحَمَامُ^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن (٣٣٩/١)، ومجاز القرآن (١٩٥/١) والبيت للشنفرى في جمهرة اللغة (١٠٠٣/٢)، والخطّابى في غريب الحديث (٥٩/٢)، ولسان العرب (٣٧٧/٤).

(٢) في (ف): (والعذاب)!

(٣) رواه ابن جرير الطّبري في تفسيره (٣٢٤/٩) بلفظ: «وَإِنْ تَعْدِلْ: وَإِنْ تَقْتَدِ يَكُونُ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا يَفْتَدِي بِهَا لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ عَدْلًا عَنْ نَفْسِهِ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ».

(٤) انظر: غريب القرآن (١٥٥/١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُمْ أَصْحَابٌ يُدْعُونَهُ إِلَى الْهَدَىٰ أَفَتَبْنَىٰ قُلُوبًا هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَأَمْرُنَا لِتُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: ٧١، ٧٢].

قوله: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أي أنعبد ما لا يضرنا إن لم نعبد، ولا ينفعنا إن عبدناه، وهي الأصنام. ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ أي: نرجع إلى الكفر ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إلى الإسلام، فنكون ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾.

وقرأ حمزة: «استهواه الشياطين»، على قياس قراءته: «توفاه رُسُلنا»^(١).

وفي معنى «استهوائها» قولان:

أحدهما: أنها هوت به وذهبت، قاله ابن قتيبة^(٢).

وقال أبو عبيدة: تُشَبَّه له الشياطين، فيتبعها حتى تهوي به في الأرض، فتضلّه^(٣).

والثاني: زينت له هواه، قاله الزجاج.

(١) انظر: الحجة (٣/٣٢٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/١٦)، والتيسير (١/١٠٣)، وفي المصاحف؛ لابن أبي داود (١/١٧٦)، وإعراب القرآن (٢/١٦)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٤٣) ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَاهُ الشَّيْطَانُ﴾ عن عبد الله بن مسعود، والأعمش.

(٢) انظر: غريب القرآن (١/١٥٥).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/١٩٦).

قال: و«حيران» منصوب على الحال، أي: استهوته في حال حيرته^(١).

قال السُّدِّي: قال المشركون للمسلمين: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا، وَاتْرَكُوا دِينَ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ فنكون كرجل كان مع قوم على طريق، فضلَّ، فحيرته الشَّيَاطِينُ، وأصحابه على الطَّرِيق يدعونه: يَا فَلَانْ هَلُمَّ إِلَيْنَا، فَإِنَّا عَلَى الطَّرِيقِ، فَيَأْبَى^(٢).

وقال ابن عَبَّاسٍ: نزلت هذه الآية في عبد الرَّحْمَنِ بن أبي بكر الصَّدِيق، دعاه أبوه وأُمُّه إلى الإسلام فأبى^(٣).

قال مقاتل: والمراد بأصحابه: أبواه^(٤).

قوله: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾.

هذا ردُّ على من دعا إلى عبادة الأصنام، وزجرٌ عن إجابته، كأنه قيل له: لا تفعل ذلك، لأن هدى الله هو الهدى، لا هدى غيره. [أ/٢٣٧]

قوله: ﴿وَأَمَرْنَا لِلنُّسْلِمِ﴾.

قال الزَّجَّاج: العرب تقول: أَمَرْتُكَ بِأَنْ تَفْعَلَ، وَأَمَرْتُكَ لِتَفْعَلَ،

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٦٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٦٦) عن أسباط بن نصر، به.

(٣) نقله الثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٩٥) عن أبي عبيدة، وانظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٦٢)، والمحزر الوجيز (٢/٣٠٧)، والبحر المحيط (٤/٥٥٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٦٩).

وَأَمَرْتُكَ أَنْ تَفْعَلَ. فمن قال: «بأن» فالباء للإلصاق^(١). والمعنى: وقع الأمر بهذا الفعل، ومن قال: «أن تفعل»، فعلى حذف الباء، ومن قال: «لتفعل» فقد أخبر بالعلّة التي لها وقع الأمر.

قال: وفي قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وجهان:

أحدهما: أمرنا لأن نسلم، ولأن نقيم الصّلاة.

والثاني: أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى: أمرنا بالإسلام، وبإقامة الصّلاة^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: خلقهما للحق.

والثاني: خلقهما حقاً.

والثالث: خلقهما بكلامه وهو الحق.

والرابع: خلقهما بالحكمة.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٢٦٣).

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

قال الزَّجَّاج: الأجود أن يكون منصوباً على معنى: واذكر يوم نقول كن فيكون، لأن بعده: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ فالمعنى: واذكر هذا وهذا^(١).

وفي الذي يقول له كن فيكون، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يوم القيامة، قاله مقاتل^(٢).

والثاني: ما يكون في [يوم] القيامة^(٣).

والثالث: أنه الصُّور، وما ذكر من أمر الصُّور يدلُّ عليه، قالهما الزَّجَّاج.

قال: وخصَّ ذلك اليوم بسرعة إيجاد الشيء، ليدلَّ على سرعة أمر البعث^(٤).

قوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي: الصَّدق الكائن لا محالة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

وروى إسحاق بن يوسف الأزرق عن أبي عمرو: «نفخ» بنونين^(٥).

ومعنى الكلام: أن الملوك يومئذ لا ملك لهم، فهو المنفرد بالملك وحده، كما قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٦٩).

(٣) زيادة من (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٣).

(٥) انظر: السبعة (١/ ٤٢٤)، والحجّة (٥/ ٢٥٠)، والتيسير (١/ ١٥٣)، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٤٣): «يُنْفَخ» عن عبد الوارث، عن أبي عمرو.

وفي ﴿الصُّورِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصُّور، فقال: «هُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»^(١).

وقال مجاهد: الصُّور كهيئة البوق^(٢).

وحكى ابن قُتَيْبَةَ: أن الصُّور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن.

وأنشد^(٣) [من الرجز]:

نَحْنُ نَطْحَاهُمْ غَدَاةَ الْجَمْعَيْنِ بِالضَّابِحَاتِ فِي غُبَارِ النَّقَعَيْنِ
نَطْحًا شَدِيدًا لَا كَنَطْحِ الصُّورَيْنِ

(١) رواه أحمد (١١/ ٤١٠)، والدارمي (٢٨٤٠)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٣٢٤٤)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٠)، والطبراني في الكبير (١٤٥١٠)، وابن حبان في صحيحه (٧٣١٢)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٤٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤).

(٢) رواه مجاهد في تفسيره (١/ ٥٨٠)، وابن جرير الطبري (١٨/ ١٣١)، وابن أبي حاتم (١٦٦٢٣) في تفسيرهما.

(٣) بلا نسبة في غريب القرآن (١/ ٢٦)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤١٦)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٣/ ٢٦٩)، والأماشي (١/ ٣٦).

وأنشد الفراء^(١) [من البسيط]:

لَوْلَا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ يُفْتَحْ قُهَنْدُزُكُمْ^(٢) وَلَا خُرَاسَانُ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّوْرُ

وهذا اختيار الجمهور.

والثاني: أن الصُّور جمع صورة يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء، والمراد نفخ الأرواح في صُورِ النَّاسِ، قاله قتادة، وأبو عبيدة^(٣).

وكذلك قرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو مجلز، وأبو المتوكل: «في الصُّور» بفتح اواو^(٤).

قال ثعلب: الأجود أن يكون الصُّور: القرن، لأنه قال عنه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ [ب/٢٣٧] [الزمر: ٦٨] ولو كان الصُّور، كان: ثم نُفِخَ فيها، أو فيهنَّ، وهذا يدلُّ على

(١) بلا نسبة في معاني القرآن (١/ ٣٤٠)، والزاهر في معاني كلمات النَّاسِ (١/ ٤١٦)، ولسان العرب (٣/ ٦٣).

(٢) القُهَنْدُز: بضم القاف والهاء والدال، أعجميٌّ معرَّب، وهو اسم جنسٍ لكلِّ حصنٍ في وسط المدينة النظمي، وقلماً يخلو بلدٌ من خراسان وما وراء النهر من قهندز. انظر: تاج العروس (١٥/ ٢٩٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ١٩٦).

(٤) وعن عياض، قتادة في المحتسب (٢/ ٥٩-٢١٢)، وعن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٤).

أنه واحد، وظاهر القرآن يشهد أنه^(١) يُنفخ في الصُّور مرتين.

وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:
«الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى: نَفْخَةُ الْفَرْعِ. وَالثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ
الصَّعْقِ. وَالثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٢).

قال ابن عباس: وهذه النّفخة المذكورة في هذه الآية هي الأولى،
يعني: نفخة الصّعق^(٣).

قوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ وهو ما غاب عن العباد ممّا لم يعاينوه
﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ وهو ما شاهدوه ورأوه.

وقال الحسن: يعني بذلك السّرّ والعلانية^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَعِزَّنِي بِمَا أَنَا عَبْدٌ لِّإِلَهٍِ أُخْرَىٰ إِنَّكَ أَنتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾ [الأنعام: ٧٤].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَعِزَّنِي﴾.

(١) في (ج): (بأن).

(٢) رواه إسحاق في مسنده (١٠)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٣)،
وأبو الشيخ في العظمة (٣٨٦)، وابن جرير الطبري (٤١٨/١٥)، وابن أبي حاتم
(١٦٦٢١) في تفسيرهما، والبيهقي في البعث والنشور (٧٤٤/١)، وضعّفه الحافظ كما في
الفتح (٣٦٩/١١).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢٧٢/٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٨٦) بلفظ: «الشّهادة، مَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ خَلْقِهِ،
وَالْغَيْبُ: مَا غَابَ عَنْكُمْ مَا لَمْ تَرَوْهُ».

في ﴿أَزَرَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم أبيه، روي عن ابن عباس، والحسن، والسُّدِّي، وابن إسحاق.

والثاني: أنه اسم^(١) صنم، فأما اسم أبي إبراهيم: فتارخ، قاله مجاهد.
فيكون المعنى: أيتخذ آزر أصنامًا؟ فكأنه جعل أصنامًا بدلًا من آزر، والاستفهام معناه الإنكار.

والثالث: أنه ليس باسم، إنما هو سبٌّ يعيب^(٢).

وفي معناه قولان:

أحدهما: أنه المعوج، كأنه عابه بزيغته وتعويجه عن الحق، ذكره الفراء^(٣).
والثاني: أنه المخطئ، فكأنه قال: يا مخطئ أيتخذ أصنامًا؟ ذكره الزجاج^(٤).
والرابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، قاله مقاتل بن حيان.
قال ابن الأنباري: قد يغلب على اسم الرّجل لقبه، حتى يكون به أشهر منه باسمه^(٥).

والجمهور على قراءة «أَزَرَ» بالنصب.

(١) من قوله: (أبيه، روي عن ابن عباس)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) في الأصل: (سبب يعيب)، والمثبت من (ج) وغيرها.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٥).

(٥) انظر: الوسيط للواحد (٢/ ٢٨٩).

وقرأ الحسن، ويعقوب بالرفع^(١).

قال الزَّجَّاج: من نصب، فموضع «آزر» خفضٌ بدلاً من أبيه، ومن رفع فعلى النداء^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (٧٥) [الأنعام: ٧٥].

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه، نريه ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقيل: ﴿نُرَى﴾ بمعنى أرينا.

قال الزَّجَّاج: والملكوت بمنزلة الملك، إلا أن الملكوت أبلغ في اللغة، لأن الواو والتاء يزدان للمبالغة، ومثل الملكوت: الرَّعْبُوت، والرَّهْبُوت^(٣). قال مجاهد: ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: آياتها تفرَّجت له السماوات السَّبع، حتى العرش، فنظر فيهنَّ، وتفرَّجت له الأرضون السَّبع، فنظر فيهنَّ^(٤).

وقال قتادة: «ملكوت السماوات»: الشَّمس والقمر والنُّجوم،

(١) وفي المحتسب (٢٢٣/١) عن أبي وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن يزيد المدني ويعقوب، وزويت عن سليمان التيمي. وانظر: إيضاح الوقف والابتداء (٢٣٦/٢)، والمبسوط (١٩٦/١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٦٥/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (٣٤٩/٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٠٥) في تفسيرهما من طريق أبي حذيفة، عن شبل، عن ابن أبي نجيع، به، بنحوه.

و«ملكوت الأرض»: الجبال والشجر والبحار^(١).

وقال السُّدِّي: أُقِيمَ على صخرة، وفتحت له السَّمَاوَات والأَرْض، فنظر إلى ملك الله ﷻ، حتى نظر إلى العرش، وإلى منزله من الجنة، وفتحت له الأرضون السَّبع، حتى نظر إلى الصَّخرة التي عليها الأرضون^(٢).

قوله: ﴿وَلْيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

هذا عطف على المعنى، لأن معنى الآية: نريه ملكوت السَّمَاوَات والأرض ليستدلَّ به، ويكون من الموقنين.

وفي ما يوقن به ثلاثة أقوال:

أحدها: وحدانيَّة الله وقدرته.

والثاني: نبوَّته^(٣) ورسالته.

والثالث: ليكون موقناً بعلم كلِّ شيء حساً، لا خبراً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكِبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا

أُحِبُّ إِلَّا فَلَيْكَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام: ٧٦].

قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾.

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٣٥٢ / ٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٠٥) في تفسيرهما من طريق معمر، به.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٣٤٩ / ٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٠٢) في تفسيرهما من طريق أحمد بن المفضل، عن أسباط بن نصر، به، بنحوه.

(٣) قوله: (والثاني: نبوَّته)، ليس في (ج).

قال الزَّجَّاجُ: يقال: جَنَّ عليه الليلُ، وأَجَنَّهُ الليلُ: إذا أظلمَ حتَّى يَسْتَرِبَّ بظلمته، ويقال لكلِّ ما ستر: جَنَّ، وأَجَنَّ، والاختيار أن يقال: جَنَّ عليه الليلُ، وأَجَنَّهُ الليلُ^(١).

الإشارة إلى بُدُوِّ قصة^(٢) إبراهيم عليه السلام

روى أبو صالح عن ابن عباسٍ قال: وُلِدَ إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود، وكان لنمرود كُهَّان، فقالوا له: يولد في هذه السَّنة مولود يفسد آلهة أهل الأرض، ويدعوهم إلى غير دينهم، ويكون هلاك أهل بيتك على يديه، فعزل النساء عن الرجال، ودخل آزر إلى بيته، فوقع على زوجته، فحملت، فقال الكُهَّان لنمرود: إن الغلام قد مُحِلَّ به اللَّيلة. فقال: كُلُّ من ولدت غلامًا فاقتلوه. فلما أخذ أم إبراهيم المخاض، خرجت هاربة، فوضعت في نهر يابس، ولَفَّتْه في خرقة، ثم وضعت في حَلْفَاء، وأخبرت به أباه، فأتاه، فحفر له سربًا، وسدَّ عليه بصخرة، وكانت أمُّه تختلف إليه فترضعه، حتَّى شبَّ وتكلَّم، فقال لأُمِّه: من ربِّي؟ فقالت: أنا. قال: فمن ربِّك؟ قالت: أبوك. قال: فمن ربُّ أبي؟ قالت له: اسكت. فسكت، فرجعت إلى زوجها، فقالت: إن الغلام الذي كنا نتحدَّث أنه يغيِّر دين أهل الأرض، ابنك. فأتاه، فقال له مثل ذلك. فلما جَنَّ عليه اللَّيل، دنا من باب السَّرب، فنظر فرأى كوكبًا^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٦).

(٢) في (ج): (قصة بُدُوِّ).

(٣) أورده مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/ ٥٦٩-٥٧٠) بلا نسبة.

قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: «رَأَى»، بفتح الرَّاء والهمزة.

وقرأ أبو عمرو: «رِأَى» بفتح الرَّاء وكسر الهمزة.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكِسائي، وأبو بكر عن عاصم: «رِأَى»، بكسر الرَّاء والهمزة، واختلفوا فيها إذا لقيها ساكن، وهوأت في ستة مواضع: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ﴾^(١)، ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ﴾، وفي النحل ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٢)، ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الآيات: ٨٥-٨٦] وفي الكهف: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الآية: ٥٣]، وفي الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: ٢٢].

وقرأ أبو بكر عن عاصم، وحمزة إلا العبسي، وخلف -في اختياره-: بكسر الرَّاء^(٣) وفتح الهمزة في الكل. وروى العبسي كسرة الهمزة أيضًا.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكِسائي: بفتح الرَّاء والهمزة^(٤).

فإن اتَّصل ذلك بمكني، نحو: رَأَى، ورَأَى، ورَأَى، فإن حمزة، والكِسائي، وخلف، والوليد عن ابن عامر، والمفضل، وأبان، والقرَّاز عن [٢٣٨/ب] عبد الوارث، والكِسائي عن أبي بكر: يكسرون الرَّاء، ويميلون الهمزة.

(١) من (ج).

(٢) هذه الآية ليست في (ف).

(٣) في الأصل: (الخاء)؛ والمثبت من بقية النسخ.

(٤) انظر: السبعة (١/ ٢٦٠)، والحجَّة (٣/ ٣٢٦-٣٢٧)، والمبسوط (١/ ١٩٦-١٩٧).

وفي الكوكب الذي رآه قولان:

أحدهما: أنه الزُّهرة، قاله ابن عَبَّاسٍ، وقتادة.

والثاني: المشتري، قاله مجاهد، والسُّدِّي.

قوله: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عَبَّاسٍ: قال هذا ربِّي، فعبدته حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشَّمس حتى غابت^(١).

واحتجَّ أرباب هذا القول بقوله: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وهذا يدلُّ على نوع تحيُّر، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل.

وهذا القول لا يُرتضى، والمتأهلون للنُّبوة محفوظون من مثل هذا على كلِّ حال.

فأما قوله: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾.

فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرَّعون في دفع الضَّلال عنهم، كقولهم: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ولأنه قد آتاه رُشده من قبل، وأراه ملكوت السَّمَاوات والأرض ليكون موقناً، فكيف لا

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٣٥٦/٩)، وابن أبي حاتم (٧٥١١) في تفسيرهما.

يعصمه عن مثل هذا التحير؟!

والثاني: أنه قال ذلك استدراجاً للحجة، ليعيب آلهتهم ويريهـم بغضها عند أفولها، ولا بد أن يضمـر في نفسه: إما على زعمكم، أو فيما تظنون، فيكون كقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ [القصص: ٦٢] وإما أن يضمـر: يقولون، فيكون كقوله تعالى^(١): ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مَنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر بن الأنباري.

ويكون مراده بذلك استدراج الحجة عليهم، كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل يقوم يعبدون صنماً، فأظهر تعظيمه، فأكرمـوه، وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدو، فشاورهم ملكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال: هاهنا إله ندعوه، فيستجيب، فدعوا الله، فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا.

والثالث: أنه قال مستفهماً، تقديره: أهذا ربِّي؟ فأضمرت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]؟ أي: أفهم الخالدون؟.

قال الشاعر^(٢) [من الكامل]:

(١) من قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) البيت للأخطل في ديوانه (ص: ٣٨٥)، والكتاب (٣ / ١٧٤)، وشرح أبيات سيويـه (٢ / ٦٧)، وشرح التصريح (٢ / ١٤٤)، وشرح شواهد المغني (١ / ١٤٣)، ولسان العرب (١ / ٧٠٦، ٧٠٩).

كَذَّبْتَكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خِيَالًا
أراد: أكذبتك؟.

قال ابن الأنباري: وهذا القول شاذٌّ، لأن حرف الاستفهام لا يُضمَرُ إذ كان فارقاً بين الإخبار والاستخبار، وظاهر قوله: هذا رَبِّي، إشارة إلى الصَّانِع. وقال الزَّجَّاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا رَبِّي، أي هذا الذي يدبِّرني، فاحتجَّ عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مدبِّر، لا يرى فيه إلا أثر مدبِّر^(١).

[٢٣٩/أ] و﴿أَفَلْ﴾ بمعنى: غاب يقال: أفل النجم يأفل ويأفل أفولاً.

قوله: ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: حبَّ ربِّ معبود، لأن ما ظهر وأفل كان حادثاً مدبِّراً.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَ الْقَمَرُ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَ الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَوِرَ إِلَيَّ بَرِيٌّ مِمَّا دُشِرُكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٧، ٧٨].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٧).

قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ﴾.

قال ابن قتيبة: سُمِّي القمر قمرًا لبياضه، والأقمر: الأبيض، وليلة قمرء، أي: مضيئة^(١).

فأما «البازغ» فهو الطالع.

ومعنى ﴿لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِي﴾: لئن لم يثبتني على الهدى.

فإن قيل: لم قال في الشمس: هذا، ولم يقل: هذه؟

فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أنه رأى ضوء الشمس، لا عينها، قاله محمد بن مقاتل.

والثاني: أنه أراد: هذا الطالع ربِّي، قاله الأخفش^(٢).

والثالث: أن الشمس بمعنى الضياء والنور، فحمل الكلام على المعنى.

و الرابع: أن الشمس ليس في لفظها علامة من علامات التَّائِبِ، وإنما يشبه لفظها لفظ المذكر، فجاز تذكيرها. ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ [الأنعام: ٧٩، ٨٠].

(١) انظر: البحر المحيط (٤/ ٥٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٦).

قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾.

قال الزَّجَّاج: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين ﴿١﴾.

وباقى الآية قد تقدّم.

قوله: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾.

قال ابن عباس: جادلوه في آلهتهم، وخوفوه بها، فقال منكراً عليهم: ﴿أَتُحْجَوْنَ﴾ ﴿٢﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿أَتُحْجَوْنَ﴾ و﴿تَأْمُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] بتشديد النون.

وقرأ نافع، وابن عامر بتخفيفها، فحذفا النون الثانية لالتقاء النونين ﴿٣﴾.

ومعنى ﴿أَتُحْجَوْنَ فِي اللَّهِ﴾ أي: في توحيده. ﴿وَقَدْ هَدَيْنِ﴾ أي: بيّن لي ما به اهتديت.

وقرأ الكسائي: «هداني»، بإمالة الدال ﴿٤﴾.

والإمالة حسنة فيما كان أصله الياء، وهذا من هدى يهدي.

قوله: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٨).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٩١).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٦١)، والحجّة (٣/ ٣٣٢-٣٣٣)، والتيسير (١/ ١٠٤)، والمبسوط (١/ ١٩٧).

(٤) انظر: السبعة (١/ ٢٦١).

أي: لا أرهب ألهتكم، وذلك أنهم قالوا: نخاف أن تمسك ألهتنا بسوء، فقال: لا أخافها لأنها لا تضر ولا تنفع ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ ﴿٨١﴾ فله أخاف ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: عليمه علماً تاماً.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ﴾ عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالآمن إن كنتم تعلمون ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾.

أي: من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله الذي خلقكم ورزقكم، وهو قادر على ضرركم ونفعكم ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ﴾ عليكم سلطاناً ﴿أي: حجة﴾ ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أي: بأن يأمن العذاب، الموحد الذي يعبد من بيده الضر والنفع؟ أم المشرك الذي يعبد ما لا يضر ولا ينفع؟ ثم بين الأحق من هو بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوه بشرك.

روى البخاري، ومسلم في «صحيحهما» من حديث ابن مسعود

قال: لما نزلت هذه الآية، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، [٢٣٩/ب] وأينا ذلك؟ فقال: «إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» [لقمان: ١٣] ^(١).

(١) رواه البخاري (٣٣٦٠، ٣٤٢٨)، ومسلم (١٢٤).

وفيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه إبراهيم وأصحابه، وليست في هذه الأمة، قاله علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال في رواية أخرى: هذه الآية لإبراهيم خاصة، ليس لهذه الأمة منها شيء. والثاني: أنه من هاجر إلى المدينة، قاله عكرمة.

والثالث: أنها عامة، ذكره بعض المفسرين.

وهل هي من قول إبراهيم لقومه، أم جواب من الله تعالى؟ فيه قولان.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٨٣: الأنعام].

قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾.

يعني ما جرى بينه وبين قومه من الاستدلال على حدوث الكوكب والقمر والشمس، وعبادتهم، إذ سَوَّوا بين الصغير والكبير، وعبدوا من لا ينطق، والزامه إياهم الحجة.

﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه إليها بالإلهام.

وقال مجاهد: الحجة قول إبراهيم: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ ^(١).

(١) رواه ابن جرير الطبري (٣٧٩/٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٣٨) في تفسيرهما.

قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «درجات من نشاء»، مضافاً.
وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿دَرَجَاتٍ﴾ منوَّناً، وكذلك قرءوا
في «يوسف»^(١).

ثم في المعنى قولان:

أحدهما: يرفع^(٢) بالعلم والفهم والمعرفة.

والثاني: بالاصطفاء للرُّسالة.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾.

قال ابن جرير: حكيم في سياسة خلقه، وتلقينه أنبياءه^(٣) الحجج
على أمهم المكذبة ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يؤول إليه أمر الكل^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا
مِّن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ
وَالْإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا ؕ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتَهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٤، ٨٧].

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٦١-٢٦٢)، والحجة (٣/ ٣٣٥-٣٣٦)، والتيسير (١/ ١٠٤).

(٢) في (ج)، و(ف): (أن الرِّفَع).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٩/ ٣٨٠).

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ولَدًا لصلبه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولَدًا لإسحاق ﴿كُلًّا﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿هَدَيْنَا﴾ أي: أرشدنا. قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾.

في «هاء الكناية» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى نوح، رواه أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، ومقاتل، وابن جرير الطبري^(١).

والثاني: إلى إبراهيم، قاله عطاء.

وقال الزجاج: كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعًا قد جرى^(٢).

واحتج ابن جرير للقول الأول بأن الله تعالى ذكر في سياق الآيات لو طًا، وليس من ذرية إبراهيم^(٣).

وأجاب عنه أبو سليمان الدمشقي بأنه يحتمل أن يكون أراد: ووهبنا له لو طًا في المعاضدة والنصرة، ثم قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ من أبين دليل على أنه إبراهيم، لأن افتتاح الكلام إنما هو بذكر ما أثاب به إبراهيم.

فأما «يوسف» فهو اسم أعجمي. قال الفراء: «يوسف» بضم السين من غير همز، لغة أهل الحجاز، وبعض بني أسد يقول: «يوسف» بالهمز،

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٢)، وتفسير مقاتل (١/ ٥٧٣)، وتفسير الطبري (٩/ ٣٨١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٩/ ٣٨١).

وبعض العرب تقول: «يوسف» بكسر السين، وبعض بني عقيل تقول: «يوسف»^(١) بفتح السين^(٢).

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [٢٤٠/أ]

أي: كما جزينا إبراهيم على توحيدهِ وثباتهِ على دينهِ، بأن رفعنا درجته، ووهبنا له أولادًا أنبياء أتقياء، كذلك نجزي المحسنين.

فأما «عيسى، وإلياس، واليسع، ولوطًا» فأسماء أعجمية.

وجمهور القراء يقرءون: «اليسع» بلام واحدة مخففة، منهم ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر.

وقرأ حمزة، والكسائي هاهنا وفي «ص»: «إِلْيَسَع» بلامين مع التشديد^(٣).

قال الفراء: وهي أشبه بالصواب، وبأسماء الأنبياء من بني إسرائيل، ولأن العرب لا تدخل على «يَفْعَل»، إذا كان في معنى فلان، ألفًا ولا مًا، يقولون: هذا يسع قد جاء، وهذا يعمر، وهذا يزيد، فهكذا الفصح من الكلام. وأنشدني بعضهم^(٤) [من الطويل]:

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ

(١) من قوله: (باهمز، وبعض العرب)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٥٩).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٦٢)، والحجة (٣/ ٣٣٧)، والتيسير (١/ ١٠٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٠٨) والبيت لابن ميادة في شرح أبيات المغني (١/ ٣٠٩)، والمحكم والمحيط (٩/ ٨٦)، وخزانة الأدب (٢/ ٢٢٦)، ولسان العرب (٣/ ٢٠٠).

فلما ذكر الوليد بالالف واللام، أتبعه يزيد بالالف واللام، وكلُّ صواب.

وقال مَكِّي: من قرأه بلام واحدة، فالأصل عنده: يسع، ومن قرأه بلامين، فالأصل عنده: «لَيْسَعُ» فأدخلوا عليه حرف التعريف^(١).

وباقى أسماء الأنبياء قد تقدّم بيانها.

والمراد بـ «العالمين»: عالمو زمانهم.

قوله: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ «من» هاهنا للتبعيض.

قال الزَّجَّاج: المعنى: هدينا هؤلاء، وهدينا بعض آبائهم وذريَّاتهم^(٢).

﴿وَأَجَبَيْنَاهُمْ﴾ مثل اخترناهم واصطفيناهم، وهو مأخوذ من جبيت الشيء: إذا أخلصته لنفسك. وجبيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه.

فأما «الصُّراط المستقيم» فهو التَّوحيد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

قوله: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾

قال ابن عباس: ذلك دين الله الذي هم عليه ﴿يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٣).

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٥٩ - ٢٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٩).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٢٩٦).

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ يعني الأنبياء المذكورين ﴿لَحِطَ﴾ أي: لبطل وزال عملهم، لأنه لا يقبل عمل مشرك.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني الكتب التي أنزلها عليهم ﴿وَالْحِكْمَ﴾: الفقه والعلم ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ يعني بآياتنا.

وفيمن أشير إليه بـ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وقتادة.

والثاني: أنهم قريش، قاله السدي.

والثالث: أمة النبي ﷺ، قاله الحسن.

قوله: ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾.

قال أبو عبيدة: فقد رزقناها قوماً^(١).

وقال الزجاج: وكَلْنَا بالإيمان بها قوماً^(٢).

وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل المدينة من الأنصار، قاله ابن عباس، وابن المسيب، وقتادة، والسدي.

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٠).

والثاني: الأنبياء والصالحون، قاله الحسن.

[٢٤٠/ب] وقال قتادة: هم النبيون الثمانية عشر المذكورون في هذا المكان، وهذا اختيار الزجاج، وابن جرير^(١).

والثالث: أنهم الملائكة، قاله أبو رجاء.

والرابع: أنهم المهاجرون والأنصار.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ قُلْ لَا أَشْكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني النبيين المذكورين.

وفي قوله: ﴿فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ﴾ قولان:

أحدهما: بشرائعهم وبسننهم فاعمل، قاله ابن السائب.

والثاني: اقتد بهم في صبرهم، قاله الزجاج^(٢).

وكان ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، يثبتون الهاء من قوله: ﴿أَلْتَدَةُ﴾ في الوصل ساكنة.

وكان حمزة، والكسائي^(٣)، وخلف، ويعقوب، والكسائي عن أبي بكر، واليزيدي - في اختياره - يحذفون الهاء في الوصل^(٤).

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٨٢٤)، وابن جرير الطبري (٣٩٠/٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٧٦) في تفسيرهما.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٧٠/٢).

(٣) ليست في (ف).

(٤) انظر: السبعة (١٨٨-١٨٩)، والحجة (٣٥٠-٣٥١)، والتيسير (١٠٥/١).

ولا خلاف في إثباتها في الوقف، وإسكانها فيه.

قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يعني على القرآن.

و«الذكرى»: العظة. و«العالون» هاهنا: الجن والإنس.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: ٩١].

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

في سبب نزولها سبعة أقوال:

أحدها: أن مالك بن الصِّيف^(١) رأس اليهود، أتى رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال له رسول الله ﷺ: «أَنْشُدْكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، أَمْجِدُ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ يُغْضُ الْخَبَرَ السَّمِينُ؟» قال: نعم. قال: «فَأَنْتَ الْخَبَرُ السَّمِينُ»^(٢). فغضب، ثم^(٣) قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٤). وكذلك قال سعيد بن جبَر،

(١) في (ف): (الصِّيف).

(٢) في جميع ألفاظ الأثر: «وَكَانَ خَبْرًا سَمِينًا».

(٣) ليست في (ف).

(٤) بهذا اللفظ رواه ابن جرير الطبري (٣٩٣/٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٩٧) في تفسيرهما من قول سعيد بن جبَر.

وعكرمة^(١): نزلت في مالك بن الصَّيف^(٢).

والثاني: أن اليهود قالوا: يا محمد، أنزل الله عليك كتابًا؟ قال: «نَعَمْ». قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا، فنزلت هذه الآية، رواه الوالبيُّ عن ابن عباس^(٣).

والثالث: أن اليهود قالوا: يا محمد، إن موسى جاء بألواح يحملها من عند الله، فأتينا بآية كما جاء موسى، فنزل: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النساء: ١٥٣]، إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]. فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة، قالوا: والله ما أنزل الله عليك ولا على موسى وعيسى، ولا على بشر، من شيء، فنزلت هذه الآية، قاله محمد بن^(٤) كعب^(٥).
والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، آتاهم الله علمًا، فلم ينتفعوا به، قاله قتادة^(٦).

والخامس: أنها نزلت في فنحاص اليهودي، وهو الذي قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، قاله السُّدِّي^(٧).

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٣٩٤ / ٩).

(٢) في (ف): (الصَّيف).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٣٩٦ / ٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٩١) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٤) ليست في (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٣٩٥ / ٩).

(٦) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٣٩٥ / ٩).

(٧) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٣٩٤ / ٩) من طريق أسباط بن نصر، به.

والسَّادس: أنها نزلت في مشركي قريش، قالوا: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد^(١).

والسَّابع: أن أولها، إلى قوله: ﴿مَنْ شِئْ﴾ في مشركي قريش. وقوله: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ في اليهود، رواه ابن كثير عن مجاهد^(٢).

وفي معنى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٣) ثلاثة أقوال:

أحدها: ما عظموا الله حقَّ عظمته، قاله ابن عباس، والحسن، [٢٤١/أ] والفرَّاء، وثعلب، والزَّجاج^(٤).

والثَّاني: ما وصفوه حقَّ صفته، قاله أبو العالية، واختاره الخليل^(٥).

والثَّالث: ما عرفوه حقَّ معرفته، قاله أبو عبيدة^(٦).

قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ﴾ معناه: يكتبونه في قراطيس.

وقيل: إنما قال: ﴿قَرَأِيسَ﴾ لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطَّعة، حتى لا تكون مجموعة، ليخفوا منها ما شاءوا.

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٣٩٧/٩)، وابن أبي حاتم (٧٥٧٨) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٣٩٦/٩)، وابن أبي حاتم مختصراً (٧٥٩٢) في تفسيرهما.

(٣) قوله: (حقَّ قدره)، ليس في (ف).

(٤) انظر: معاني القرآن (٣٤٣/١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٧١/٢).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢٩٧/٢).

(٦) انظر: مجاز القرآن (٢٠٠/١).

قوله: ﴿تُبْدُونَهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون» بالياء فيهن.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: بالتاء فيهن^(١).

فمن قرأ بالياء، فلأن القوم عُيِّب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. ومن قرأ بالتاء، فعلى الخطاب، والمعنى: تبدون منها ما تحبون، وتخفون كثيرا، مثل صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ونحو ذلك مما كتموه.

قوله: ﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾.

في المخاطب بهذا قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور.

والثاني: أنه خطاب للمسلمين، قاله مجاهد.

فعلى الأول: عُلِّمُوا ما في التَّوراة، وعلى الثاني: عُلِّمُوا على لسان محمد ﷺ.

قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هذا جواب لقوله: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ وتقديره: فإن أجابوك، وإلا فقل: الله أنزله.

وقوله: ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ﴾ تهديد. ﴿خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم.

وقيل: إن هذا أمر بالإعراض عنهم، ثم نُسخ بآية السِّيف.

(١) انظر: السبعة (١/٢٦٢)، والوقف والابتداء؛ لابن الأنباري (٢/٦٤٠)، والحجّة (٣/٣٥٤-٣٥٥)، والبسوط (١/١٨٩).

قَوْلُهُ نَعَالَى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ٩٢].

قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن.

قال الزَّجَّاج: و«المبارك»: الذي يأتي من قبله الخير الكثير^(١).

والمعنى: أنزلناه للبركة والإنذار.

قوله: ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب.

قوله: ﴿وَلِتُنْذِرَ﴾.

قرأ عاصم إلا حفصاً: «ولينذر» بالياء فيكون الكتاب هو المنذر.

وقرأ الباقون: بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ^(٢).

فأما ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾، فهي مكة.

قال الزَّجَّاج: والمعنى: لتنذر أهل أُمَّ القري^(٣).

وفي تسميتها بأُمَّ القري أربعة أقوال:

أحدها: أنها سُمِّيت بذلك، لأن الأرض دُحيت من تحتها، قاله ابن عباس.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠٦/٢).

(٢) انظر: السبعة (١/٢٦٣)، والحجّة (٣/٣٥٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٧١).

والثاني: لأنها أقدمها، قاله ابن قتيبة^(١).

والثالث: لأنها قبله جميع الناس، يؤمونها.

والرابع: لأنها كانت أعظم القرى شأنًا، ذكرهما الزجاج^(٢).

قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

قال ابن عباس: يريد الأرض كلها^(٣).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن.

والثاني: إلى النبي محمد ﷺ.

والمعنى: من آمن بالآخرة آمن به، ومن لم يؤمن به، فليس إيمانه

[٢٤١/ب] بالآخرة حقيقة، ولا يعتد به، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

فدلّ على أنه أراد المؤمنين الذين يحافظون على الصلوات.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ

وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا

أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ

الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ [الأنعام: ٩٣].

(١) انظر: غريب القرآن (١/١٥٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٧١).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٩/٤٠٣)، وابن أبي حاتم (٧٦١٤) في تفسيرهما من طريق علي

بن أبي طلحة، به.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أولها، إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزل في مسيلمة الكذاب. وقوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلم بالإسلام، وكان يكتب لرسول الله ﷺ في بعض الأحيان فإذا أُملي عليه: «عزيز حكيم» كتب: «غفور رحيم» فيقول رسول الله ﷺ: «هَذَا وَذَلِكَ سَوَاءٌ». فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: ﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾ عجب عبد الله بن سعد، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فقال رسول الله ﷺ: «كَذًا أَنْزَلْتُ عَلَيَّ، فَانْكُتِبْهَا» فشك حينئذ، وقال: لئن كان محمد صادقًا، لقد أوحى إلي كما أوحى إليه، ولئن كان كاذبًا، لقد قلت كما قال، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال عكرمة: ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة^(١).

والقول الثاني: أن جميع الآية في عبد الله بن سعد، قاله السُّدِّي^(٢).

والثالث: أنها نزلت في مسيلمة، والأسود العنسي، قاله قتادة^(٣).

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٤٠٥/٩) من طريق ابن جُرَيْج، عن عكرمة من قوله. ورواه ابن جرير الطَّبْرِي (٤٠٨/٩) من طريق العَوْفِي عن ابن عباس مختصراً.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٤٠٥/٩).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٤٠٦/٩)، وابن أبي حاتم (٧٦٢٥) في تفسيرهما من طريق معمر، به، بنحوه.

فإن قيل: كيف أفرد قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَىٰ﴾ من قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ﴾ وذاك مفترٍ أيضًا؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن الوصفين لرجل واحد، وصف بأمر بعد أمر ليدل على جرأته.
والثاني: أنه خصَّ بقوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَىٰ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾^(١) بعد أن عمَّ بقوله: ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ لأنه ليس كلُّ مفترٍ على الله يدَّعي أنه أُوحي إليه، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله: ﴿سَأَزِلُّ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: سأقول.

قال ابن عباس: يعنون الشعر، وهم المستهزون^(٢).

وقيل: هو قول عبد الله بن سعد بن أبي سرح^(٣).

قال الزجاج: وهذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١]^(٤).

(١) قوله: (وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) زيادة من (ج).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٤٠٨/٩)، وابن أبي حاتم (٧٦٢٧) في تفسيرهما من طريق عطية العوفي، به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٦٢٩) عن السدي.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾.

فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قوم كانوا مسلمين بمكة، فأخرجهم الكفار معهم إلى قتال بدر، فلما أبصروا قلّة أصحاب رسول الله ﷺ رجعوا عن الإيمان، فنزلت^(١) فيهم هذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين قالوا: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قاله أبو سليمان.

والثالث: الموصوفون في هذه الآية، وهم المفترون والمدّعون الوحي إليهم، ومماثلة كلام الله.

قال الزّجاج: وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو تراهم في غمرات الموت لرأيت عذاباً عظيماً^(٢).

ويقال لكلّ من كان في شيء كثير: قد غمر فلاناً ذلك. [٢٤٢/أ]

قال ابن عباس: غمرات الموت: سكراته^(٣).

قال ابن الأنباري: قال اللّغويون: سمّيت غمرات لأن أهواها يغمرن من يقعن به^(٤).

(١) في (ف): (فتزل).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٧٢).

(٣) رواه ابن جرير الطّبري في تفسيره (٩/٤٠٩) من طريق ابن جُرَيج، به.

(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات النّاس (٢/٢٩٢-٢٩٣).

قوله: ﴿وَالْمَلَكَةُ بِاسْطَوْأَ أَيْدِيهِمْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: بالضرب، قاله ابن عباس.

والثاني: بالعذاب، قاله الحسن، والضَّحَّاك.

والثالث: باسطوها لقبض الأرواح من الأجساد، قاله الفراء^(١).

وفي الوقت الذي يكون هذا فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عند الموت. قال ابن عباس: هذا عند الموت، الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وملك الموت يتوفاهم^(٢).

والثاني: يوم القيامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: في النار، قاله الحسن.

قوله: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فيه إضمار «يقولون».

وفي معناه قولان:

أحدهما: استسلموا لإخراج أنفسكم.

والثاني: أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم.

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٩/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم (٧٦٣٠) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قوله: ﴿تَجَزَّوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾.

قال أبو عبيدة: الهون: مضموم، وهو الهوان، وإذا فتحوا أوله، فهو الرفق والدعة^(١).

قال الزجاج: والمعنى: تجزون العذاب الذي^(٢) يقع به الهوان الشديد^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾.

سبب نزولها:

أن النضر [بن الحارث]^(٤) قال: سوف تشفع لي اللات والعزى، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة^(٥).

ومعنى ﴿فُرَادَىٰ﴾: وحداً.

وهذا إخبار من الله تعالى بما يوبّخ به المشركين يوم القيامة.

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢/ ٢٧٢).

(٤) ما بين المعكوفين زيادة من (ج).

(٥) رواه ابن جرير الطبري (٩/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم (٧٦٤٤) في تفسيرهما من طريق ابن جُرَيْج، عن الحكم بن أبان، به، بنحوه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٢٣) لابن المنذر، وأبي الشيخ.

قال أبو عبيدة: ﴿فُرْدَى﴾ أي: فرد فرد^(١)(٢).

وقال ابن قتيبة: فرادى: جمع فرد^(٣).

وللمفسرين في معنى ﴿فُرْدَى﴾ خمسة أقوال متقاربة المعنى:

أحدها: فرادى من الأهل والمال والولد، قاله ابن عباس.

والثاني: كل واحد على حدة، قاله الحسن.

والثالث: ليس معكم من الدنيا شيء، قاله مقاتل^(٤).

والرابع: فكل واحد منفرد من شريكه في الغي وشقيقه، قاله الزجاج^(٥).

والخامس: فرادى من المعبودين، قاله ابن كيسان.

قوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا مال ولا أهل ولا ولد.

والثاني: حفاة عراة غرلاً. والغزل: القلف.

والثالث: أحياء.

(١) من قوله: (وهذا إخبار من الله تعالى)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٧٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٣).

﴿خَوَّلْنَكُمْ﴾: بمعنى ملأناكم. ﴿وَرَأَى ظُهُورَكُمْ﴾ أي: في الدنيا. والمعنى: أن ما دأبتم في تحصيله في الدنيا فني، وبقي الندم على سوء الاختيار.

وفي شفعاتهم قولان:

أحدهما: أنها الأصنام.

قال ابن عباس: ﴿شَفَعَاءَكُمْ﴾ أي: أهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم. ﴿رَزَعْتُمْ^(١) أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: عندكم ﴿شُرَكَاؤُكُمْ﴾.

وقال ابن قتيبة: زعمتم أنهم لي في خلقكم شركاء^(٢).

والثاني: أنها الملائكة كانوا يعتقدون شفاعتها، قاله مقاتل^(٣). [٢٤٢/ب]

قوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم^(٤): بالرفع.

وقرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم: بنصب النون على الظرف^(٥).

قال الزجاج: الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطع وصلكم، والنصب جائز ومعناه: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشراكة بينكم^(٦).

(١) من قوله: (أنهم يشفعون لكم)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٧٩).

(٤) من قوله: (قرأ ابن كثير)... إلى هنا، ليس في (ج).

(٥) انظر: السبعة (١/ ٢٦٣)، والحقبة (٣/ ٣٥٧)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٣).

وقال ابن الأنباري: التَّقْدِير: لقد تَقَطَّعَ ما بينكم، فحذف «ما»
لوضوح معناها.

قال أبو علي: الذين رفعوه، جعلوه اسماً، فأسندوا الفعل الذي هو
«تَقَطَّعَ» إليه، والمعنى: لقد تَقَطَّعَ وصلكم. والذين نصبوا، أضمرُوا اسم
الفاعل في الفعل، والمضمر هو الوصل، فالتَّقْدِير: لقد تَقَطَّعَ وصلكم بينكم^(١).
وفي الذين كانوا يزعمون قولان:

أحدهما: شفاعة آلهتهم.

والثاني: عدم البعث والجزاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ
الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١٥﴾ [الأنعام: ٩٥].

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾

في معنى الفلق قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الخلق، فالمعنى: خالق الحبِّ والنَّوى، رواه
العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضَّحَّاك، ومقاتل^(٢).
والثاني: أن الفلق بمعنى الشَّقِّ.

(١) انظر: الحجة (٣/ ٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٧٩).

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنه فلق الحبة عن السنبل، والنواة عن النخلة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الشقان اللذان في الحب والنوى، قاله مجاهد، وأبو مالك.

قال ابن السائب: «الحب»: ما لم يكن له نوى، كالبر، والشعير. و«النوى»: مثل نوى التمر^(١).

قوله: ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْحَيِّ﴾ قد سبق تفسيره في «آل عمران»^(٢).

قوله: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تُصرفون عن الحق بعد هذا البيان^(٣).
قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١١﴾ [الأنعام: ٩٦].

قوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ في معنى «الفلق» قولان قد سبقا.

فأما ﴿الْإِصْبَاحِ﴾ فقال الأخفش: هو مصدر من أصبح^(٤).

وقال الزجاج: الإصباح والصُّبح واحد^(٥).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٠٢).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية (٢٧).

(٣) من قوله: (قوله: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾...) إلى هنا، ليس في (ج).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٧).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٤).

وللمفسرين في ﴿الإصباح﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ضوء الشمس بالنَّهار، وضوء القمر بالليل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباسٍ.

والثاني: أنه إضاءة الفجر، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: فلق الإصباح من الليل.

والثالث: أنه نور النَّهار، قاله الضَّحَّاك.

وقرأ أنس بن مالك، والحسن، وأبو مجلز، وأيوب، والجحدري: «فالق الأصباح» بفتح الهمزة^(١).

قال أبو عبيدة^(٢): ومعناه جمع صبح.

قوله: ﴿وَجَعَلَ أَيْلَ سَكَنًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «جاعل» بألف.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «وجعل» بغير ألف. «الليل» نصباً^(٣).

قال أبو علي: من قرأ: «وجاعل» فلاجل «فالق» وهم يراعون المشاكلة. ومن قرأ: «جعل» فلأنَّ «فاعلاً» هاهنا بمعنى: «فعل» بدليل قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾^(٤).

(١) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي إعراب القرآن (٢/ ٨٤) عن عيسى بن عمر، وزاد في المحرر الوجيز (٢/ ٣٢٥)، والبحر المحيط (٤/ ٥٩٣) أبا رجاء.

(٢) في (ف): (أبو عبيد).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٦٣)، والحجة (٣/ ٣٦١)، والمبسوط (١/ ١٩٩).

(٤) انظر: الحجة (٣/ ٣٦١).

فأما «السَّكَن» فهو ما سكنت إليه.

والمعنى: أن الناس يسكنون فيه [سكون] ^(١) راحة.

وفي الحساب قولان:

أحدهما: أنه الحساب، قاله الجمهور.

قال ابن قُتَيْبَة: يقال: خذ من كل شيء ^(٢) بحسابه، أي: بحسابه ^(٣) ^(٤).

وفي المراد بهذا الحساب ^(٥) ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها يجريان إلى أجل يُجعل لهما، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: يجريان في منازلهما بحساب، ويرجعان إلى زيادة ونقصان، قاله السُّدِّي.

والثالث: أن جريانهما سبب لمعرفة حساب الشهور، والأعوام، قاله مقاتل ^(٦).

والقول الثاني: أن معنى الحساب: الضياء، قاله قتادة.

قال الماوردي: كأنه أخذه من قوله: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠] أي: نارا ^(٧).

(١) زيادة من (ج)، و(ر)، و(ف).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قوله: (أي: بحسابه)، ليس في (ج)، وفي (ر): (أي: بحسابه).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٥) في (ج): (الحساب).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٠).

(٧) انظر: النكت والعيون (٢/ ١٤٨).

قال ابن جرير: وليس هذا من ذاك في شيء^(١).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾.

«جعل» بمعنى^(٢) خلق.

وإنما امتنَّ عليهم بالنُّجوم، لأن سالكي القفار وراكبي البحار، إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بها.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، إلا رؤيسًا: بكسر القاف.

وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي: بفتحها^(٣).

قال الزَّجَّاج: من كسر، فالمعنى: «فمنكم مستقر»، ومن نصب، فالمعنى: «فلکم مستقر»^(٤).

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٩/ ٤٣٠).

(٢) ليست في (ر).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٦٣)، والحجّة (٣/ ٣٦٤)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٦٤).



فأما «مستودع» فبالفتح، لا غير. ومعناه على فتح القاف: «ولكم مستودع» وعلى كسرهما: «ومنكم مستودع».

وللمفسرين في معنى «المستقر» و«المستودع» تسعة أقوال:

أحدها: فمستقر في الأرحام، ومستودع في الأصلاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والنخعي، وقتادة، والسدي، وابن زيد.

والثاني: المستقر في الأرحام، والمستودع في القبر، قاله ابن مسعود.

والثالث: المستقر في الأرض، والمستودع في الأصلاب، رواه ابن جبر عن ابن عباس.

والرابع: المستقر والمستودع في الرحم، رواه قابوس عن أبيه عن ابن عباس.

والخامس: المستقر حيث يأوي، والمستودع حيث يموت، رواه ميسم عن ابن عباس.

والسادس: المستقر في الدنيا، والمستودع في القبر.

والسابع: المستقر في القبر، والمستودع في الدنيا، وهو عكس الذي قبله، روي عن الحسن.

والثامن: المستقر في الدنيا، والمستودع عند الله تعالى، قاله مجاهد.

والتاسع: المستقر في الأصلاب، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر^(١)، وهو عكس الأول.

(١) هو: عمرو بن بحر بن محبوب، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مُمَشِيهَا وَغَيْرَ مُتَسِّبٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطر.

وفي قوله: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قولان:

[٢٤٣/ب] أحدهما: نبات كل شيء من الثمار، لأن كل ما ينبت، فنباته بالماء.

والثاني: رزق كل شيء وغذاؤه.

وفي قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ قولان:

أحدهما: من الماء، أي: به.

والثاني: من النبات.

قال الزَّجَّاج: الحَضِرُ بمعنى الأخضر، يقال: اخضرَّ، فهو أخضر، وخضر، مثل: اعورَّ، فهو أعورَّ، وعور^(١).

قوله: ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي: من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ كالسَّنبل والشَّعير.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٢).

و«المتراكب»: الذي بعضه فوق بعض.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِمَّنْ طَلَعَهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾.

وروى الخفاف عن أبي عمرو: «قِنْوَان» بضم القاف^(١)، وروى هارون عنه بفتحها^(٢).

قال الفرّاء: معناه: ومن النخل ما قنوانه دانية، وأهل الحجاز يقولون: «قِنْوَان» بكسر القاف، وقيس يضمونها، وضبة وتميم يقولون: «قِنْيان». أنشدني المفضل عنهم^(٣) [من الطويل]:

فَأُتِّ أَعَالِيهِ وَأَدَّتْ أَصُولُهُ وَمَالَ بِقِنْيَانٍ مِنَ الْبُسْرِ أَحْمَرًا
ويجتمعون جميعًا، فيقولون: «قِنْو» و«قِنْو»، ولا يقولون: «قِنْي» ولا «قِنْي»، وكلب^(٤) تقول^(٥): «وَمَالَ بِقِنْيَانٍ».

(١) انظر: الكامل في القراءات العشر (١/ ٥٤٤). وعن أبي عمرو والأعمش والسلمي، عن علي رضي الله عنه، وكذا في ﴿صُنْوَان﴾.

(٢) وعن الأعرج في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، والمحتسب (١/ ٢٢٣)، والتحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٣١) وقال: ورؤي عنه أيضًا: ضمها، والمحزر الوجيز (٢/ ٣٢٨)، والبحر المحيط (٤/ ٥٩٧) وقال ابن جنّي: ينبغي أن يكون ﴿قِنْوَان﴾ هذا اسمًا للجمع غير مكسر؛ لأن فعلان ليس من أمثلة الجمع.

(٣) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٢)، والبيت لامرئ القيس في ديوانه (ص ٥٧)، ولسان العرب (٣/ ٧٧)، وتهذيب اللغة (٩/ ٣١٥)، وتاج العروس (٧/ ٣٩٦).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ف): (يقولون).

(٦) ليست في (ج).

قلت^(١): هذا البيت لامرئ القيس رواه أبو سعيد الشُّكْرِي^(٢): «وما لبِقَنُوان» مكسورة القاف مع الواو، ففيه أربع لغات: قَنُوان، وقُنُوان، وقِنِيان^(٣)، وقُنِيان، و«أثت»: كثرت، ومنه: شعر أثيث، و«آدت»: اشتدَّت. وقال ابن قُتَيْبَةَ: «القَنُوانُ»: عُدُوقُ النَّخْلِ، واحدها قَنُوءٌ، جمع على لفظ ثنية صِنُوء وصِنُوان في الثَّنية، وصِنُوان في الجمع^(٤).

وقال الرَّجَّاج: قَنُوان: جمع قَنُوء، وإذا ثَنَيْتَهُ فهما قَنُوان، بكسر النون، ودانية، أي: قريبة المتناول، ولم يقل: «ومنها قَنُوان بعيدة»؛ لأن في الكلام دليلاً أن البعيدة السَّحيقة قد كانت غير سحيقة، فاجتزئ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة كقوله تعالى: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ﴾^(٥) [الحر: ٨١]^(٦).

(١) في (ف): (قال المصنّف).

(٢) هو: الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، أَبُو سَعِيدِ الشُّكْرِي النَّحْوِيُّ، سَمِعَ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، وَأَبَا حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيَّ، وَمُحَمَّدَ بْنَ حَبِيبٍ، وَعُمَرَ بْنَ شَبَّةٍ، وَغَيْرَهُمْ، وَكَانَ ثِقَةً دَيُّناً صَادِقاً، يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، لَهُ مِنَ الْكُتُبِ كِتَابُ أَشْعَارِ هَذِيلَ، وَالنَّقَائِضِ، وَكِتَابُ النَّبَاتِ، وَكِتَابُ الْوَحُوشِ، وَكِتَابُ الْمَنَاهِلِ وَالْقُرَى، وَكِتَابُ الْأَبْيَاتِ السَّائِرَةِ. وَعَمِلَ أَشْعَارَ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنْهُمْ: أَمْرُو الْقَيْسِ، وَالنَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي، وَالنَّابِغَةُ الْجَعْدِي، وَزُهَيْرٌ، وَالْحَطِيشَةُ، وَلَبِيدٌ، وَغَيْرُهُمْ. تَوَفِيَ سَنَةَ (٢٧٥هـ). انظر ترجمته: تاريخ بغداد (٣٠٧/٧)، والسير (١٢٦/١٣)، ومعجم الأدباء (٨٥٦/٢).

(٣) ليست في (ج).

(٤) انظر: غريب القرآن (١٥٧/١).

(٥) ليست في (ج).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢٧٥/٢).

وقال ابن عباس: «القنوان الدانية»: قِصار النخل اللاصقة عُذوقها بالأرض^(١).

قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾.

قال الزجاج: هو نسق على قوله: ﴿خَضِرًا﴾^(٢).

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ المعنى: وأخرجنا منه شجر الزيتون والرمان.

وقد روى أبو زيد عن الفضل: «وجنَّاتٌ» بالرفع^(٣).

قوله: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: مشتبهًا في المنظر، وغير متشابه في الطعم، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: مشتبهًا ورقه، مختلفًا ثمره، قاله قتادة، وهو في معنى الأول.

والثالث: منه ما يشبه بعضه بعضًا، ومنه ما يخالف.

قال الزجاج: وإنما قرن الزيتون بالرمان، لأنهما شجرتان تعرف

(١) رواه ابن جرير الطبري (٤٤٦/٩)، وابن أبي حاتم (٧٧٠٥) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٧٦/٢).

(٣) عن الأعمش كما في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي التَّحْصِيل (١/٦٣١) عن عاصم، وفي إعراب القرآن (٨٦/٢) عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى من قراءة عاصم.

العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره^(١).

قال الشاعر^(٢) [من الخفيف]:

بُورِكَ الْمَيْتُ الْغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ نَضْحُ الرُّمَانِ وَالزَّيْتُونِ

[٢٤٤/أ] ومعناه: أن البركة في ورقه اشتماله على عوده كله.

قوله: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾، و﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، و﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [يس: ٣٥]: بالفتح في ذلك.

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالضمّ فيهنّ^(٣).

قال الزّجاج: يقال: ثَمَرَةٌ، وَثَمَرٌ^(٤)، وَثِمَارٌ، وَثُمُرٌ، فمن قرأ: «إلى ثُمَره» بالضمّ أراد جمع الجمع^(٥).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

(٢) البيت لأبي طالب بن عبد المطلب في المحرر الوجيز (٤/ ٢٥٠)، ولسان العرب (٢/ ٦٢٠ — ١٠/ ٣٩٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٦٤)، والحجّة (٣/ ٣٦٦)، والتيسير (١/ ١٠٥).

(٤) ليست في (ج).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

وقال أبو عليٍّ: يَحْتَمِلُ وجهين:

أحدهما: هذا، وهو أن يكون الثَّمَرُ جمع^(١) ثمار.

والثَّاني: أن يكون الثَّمَرُ جمع ثمرة، وكذلك: أكمة، وأكُم، وخشبة، وخُشْب.

قال الفرَّاء: يقول: انظروا إليه أوَّلَ ما يَعْقِد، وانظروا إلى ينعه، وهو نضجه وبلوغه. وأهل الحجاز يقولون: يَنْعَ، بفتح الياء، وبعض أهل نجد يضمونها^(٢).

قال ابن قُتَيْبَة: يقال: يَنْعَت الثَّمَرَة وأَيْعَنْت: إذا أذْرَكَت. وهو اليَنْع واليَنْع واليُنُوع^(٣).

وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، والأعمش، وابن^(٤) محيصن: «ويُنْعِه» بضم الياء^(٥).

قال الزَّجَّاج^(٦): اليَنْع^(٧): النُّضج^(٨).

(١) من قوله: (الجمع. وقال أبو علي) ... إلى هنا، ليس في (ج).

(٢) انظر: الحَجَّة (٣/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٧).

(٤) في (ر): (ابن) بدون واو.

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥) عن مجاهد، وابن إسحاق، وفي التَّحْصِيل؛ للمهدوي (١/ ٣٦٠) عن مجاهد، وابن محيصن، وانظر: إعراب القراءات الشاذة (١/ ٥٠٠).

(٦) قوله: (قال الزججاج)، ليس في (ر).

(٧) في (ر): (والينع).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٦).

قال الشاعر^(١) [من المديد]:

فِي قِبَابِ حَوْلٍ دَسْكَرَةٍ حَوْهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا

وبين الله تعالى لهم بتصريف ما خلق، ونقله من حال إلى حال لا يقدر عليه الخلق، أنه كذلك يبعثهم.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن عباس: يصدقون أن الذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى^(٢).

وقال مقاتل: يصدقون بالتوحيد^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَائِصِفُوتٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾.

«جعلوا» بمعنى وصفوا.

قال الزَّجَّاج: نصبُ «الجن» من وجهين:

(١) البيت ليزيد بن معاوية كما في جمهرة اللغة (٢/٩٥٦)، ونُسب للأخطل كما في المحكم والمحيط (٧/١٦٢)، وتاج العروس (١١/٢٩٣)، ولسان العرب (٤/٢٨٥).

قال أبو عبيدة: هذا الشعر يختلف فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. انظر: الكامل (١/٣٠١).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/٣٠٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٨١).

أحدهما: أن يكون مفعولاً، فيكون المعنى: وجعلوا الله الجنَّ شركاء، ويكون الجنُّ مفعولاً ثانياً، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

والثاني: أن يكون الجنُّ بدلاً من شركاء، ومفسراً للشركاء^(١).

وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وأبو حيوة، والجحدري: «شركاء الجنُّ» برفع النون^(٢).

وقرأ ابن أبي عبله، ومعاذ القاري: «الجنُّ» بخفض النون^(٣).

وفي معنى جعلهم الجنُّ شركاء ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله، قاله الحسن، والزجاج^(٤).

والثاني: قالوا: إن الملائكة بنات الله فهم شركاؤه، كقوله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِيبًا﴾ [الصافات: ١٥٨] فسمَّى الملائكة جنًّا لاجتماعهم، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد.

والثالث: أن الزنادقة قالوا: الله خالق النور والماء والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وفيهم نزلت هذه [٢٤٤/ب] الآية. قاله ابن السائب.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٧٧).

(٢) عن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي البحر المحيط (٤/١٩٦) عن أبي حيوة.

(٣) عن أبي البرهسم في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، وفي البحر المحيط (٤/١٩٦) شعيب بن أبي حمزة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٧٧).

قوله: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾.

في الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الجاعلين له الشركاء، فيكون المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون.

والثاني: أنها ترجع إلى الجن، فيكون المعنى: والله خلق الجن، فكيف يكون الشريك لله محدثاً؟ ذكرهما الزجاج^(١).

قوله: ﴿وَحَرِّقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ﴾^(٢).

وقرأ نافع: «وَحَرِّقُوا» بالتشديد، للمبالغة والتكثير، لأن المشركين ادَّعُوا الملائكة [بناتِ الله]^(٣)، والنصارى المسيح، واليهود عزيزاً^(٤).

وقرأ ابن عباس، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «وَحَرِّقُوا» بحاء غير معجمة وبتشديد الراء وبالفاء^(٥)^(٦).

وقرأ ابن السَّمِيفَع، والجحدري^(٧): «وَحَارِقُوا» بألف وخاء معجمة.

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) ليست في (ف).

(٣) ما بين المعكوفين زيادة من (ج)، و(ر)، وفي (ف): (بنات).

(٤) انظر: السبعة (١/٢٦٤)، والحجة (٣/٣٧٢)، والتيسير (١/١٠٥).

(٥) ليست في (ر).

(٦) عن ابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهما في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، ووقع تصحيف في المطبوع فقال: (وَحَرِّقُوا)، والمحتسب (١/٢٢٤)، والتَّحْصِيلُ؛ للمهدوي (١/٦٥٠).

(٧) ليست في (ج).

قال السُّدِّي: أما «البنون»، فقول اليهود: عزيز ابن الله، وقول النَّصَارَى: المسيح ابن الله، وأما «البنات» فقول مشركي العرب: الملائكة بناتُ الله^(١) (٢).

قال الفراء: خَرَقُوا، واخترقوا، وخلقوا، واختلقوا، بمعنى: افْتَرَوْا^(٣).

وقال أبو عبيدة: خرقوا: جعلوا^(٤).

قال الزَّجَّاج: ومعنى: ﴿يَغْيِرُ عَلِيمٌ﴾ أنهم لم يذكروه من^(٥) علم، إنما ذكروه تكذُّباً^(٦).

قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٠١) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام: ١٠١، ١٠٢].

قوله: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: من أين يكون له ولد، والولد لا يكون إلا من صاحبة؟!.

واحتجَّ عليهم في نفي الولد بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فليس مثل خالق الأشياء، فكيف يكون الولد لمن لا مثل له؟! فإذا نُسب إليه

(١) قول السُّدِّي جاء بعد كلام أبي عبيدة في (ر).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٩/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٧٧٢٤) في تفسيرهما.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٨).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٣).

(٥) في (ر): (عن).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

الولد، فقد جعل له مثل^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

في الإدراك قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الإحاطة.

والثاني: بمعنى الرؤية.

وفي ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها العيون، قاله الجمهور.

والثاني: أنها العقول، رواه عبد الرحمن بن مهدي عن أبي حصين القارئ.

ففي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تحيط به الأبصار، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيّب، وعطاء.

وقال الزجاج: معنى الآية: الإحاطة بحقيقته، وليس فيها دفع للرؤية، لما صحَّ عن رسول الله ﷺ من الرؤية، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث^(٢).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٩).

والثاني: لا تدركه الأبصار إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: لا تدركه الأبصار في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومقاتل^(١).

ويدلُّ على أن الآية مخصوصة بالدنيا، قوله تعالى: ﴿وَجُودُ يُؤْمِرُ نَازِرَةً﴾ {القيامة: ٢٢-٢٣} فقيّد النظر إليه بالقيامة، وأطلق في هذه الآية، والمطلق يحمل على المقيّد.

وقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصَرَ﴾ فيه القولان.

قال الزّجاج: وفي هذا الإعلام دليل على أن خلقه لا يدركون [٢٤٥/أ] الأبصار، أي: لا يعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه، فأعلم الله أن خلقاً من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه فكيف به ﷻ؟!^(٢).
فأما ﴿اللّطِيفُ﴾ فقال أبو سليمان الخطّابي: هو البرُّ بعباده، الذي يلطف لهم^(٣) من حيث لا يعلمون، ويسبّب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون^(٤).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٨).

(٣) في (ج)، و(ر): (بهم).

(٤) انظر: شأن الدعاء (ص: ٦٢).

قال ابن الأعرابي^(١): اللَّطِيفُ الَّذِي يُوصَلُ إِلَيْكَ أَرَبَكَ فِي رَفْقٍ، ومنه قولهم^(٢): لطف الله بك، ويقال: هو الذي لَطَفَ عَنْ أَنْ يُدْرَكَ بِالْكِفِيَّةِ^(٣).

وقد يكون اللُّطْفُ بمعنى الدِّقَّةِ والغموض، ويكون بمعنى الصُّغَرِ في نعوت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه.

وقال الأزهري: ﴿اللَّطِيفُ﴾ من أسماء الله، معناه: الرَّفِيقُ بعباده. و﴿الْخَبِيرُ﴾: العالم بكنه الشيء، المَطَّلَعُ على حقيقته^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ (١٠٤) [الأنعام: ١٠٤].

قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

«البصائر»: جمع بصيرة، وهي الدَّلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به.

قال الزَّجَّاج: والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر^(٥).

(١) هو: محمد بن زياد أبي عبد الله — المعروف — بابن الأعرابي الكوفي النحوي اللُّغوي، كان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها، توفي (٢٣١هـ). انظر: ترجمته: معجم الأدباء (٦/ ٢٥٣٠)، وإنباه الرواة (٣/ ١٢٩)، وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٩).

(٢) في (ف): (قوله).

(٣) انظر: التفسير الوسيط (٢/ ٣٠٨).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٣٥).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٩).

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ نفع ذلك ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ فعلى نفسه ضرر ذلك،
لأن الله ﷻ غني عن خلقه.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ
والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال.

فصل

وذكر المفسرون أن هذه الآية نُسخت بآية السيف.

وقال بعضهم: معناها: لست رقيباً عليكم، أحصي أعمالكم، فعلى
هذا لا وجه للنسخ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ آلَآيَاتٍ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ آلَآيَاتٍ﴾.

قال الأخفش: وَكَذَلِكَ معناها: وهكذا^(١).

وقال الزجاج: المعنى: وَمِثْلُ مَا بَيَّنَّا فِيْمَا تُلِي عَلَيْكَ، نُبَيِّنُ الْآيَاتِ^(٢).

قال ابن عباس: ﴿نُنْصِرُ آلَآيَاتٍ﴾ أي نبينها في كل وجه، ندعوهم
بها مرة، ونخوفهم بها أخرى^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٧٩).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٠٨).

﴿وَلِيَقُولُوا﴾ يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن: «دارست»^(١).

قال ابن الأنباري: معنى الآية: وكذلك نصرّف الآيات، لنلزمهم الحجة، وليقولوا: دارست، وإنما صرّف الآيات ليسعد قوم بفهمها والعمل بها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها، فمن عمل بها سعد، ومن قال: دارست، شقي.

قال الزّجاج: وهذه اللام في: «ليقولوا» يسميها أهل اللغة لام الصيرورة.

والمعنى: أن السبب الذي أذاهم إلى أن يقولوا: دارست!، هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله: ﴿فَالنَّقْطَةُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] وهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديهم، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدوًّا وحزنًا. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم يقصد أن يهلك نفسه بالكتاب، ولكن العاقبة كانت الهلاك^(٢).

فأما «درست» فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «دارست» بالألف وسكون السين وفتح التاء، ومعناها: ذاكرت أهل الكتاب.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «درست» بسكون السين وفتح التاء، من غير ألف، على معنى: قرأت كتب أهل الكتاب.

(١) رواه ابن جرير الطبري (٤٧٢/٩)، وابن أبي حاتم (٧٧٤٨) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ: قالوا: «قَرَأَتْ وَتَعَلَّمَتْ، تُقُولُ ذَلِكَ قُرَيْشٌ».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠).

قال المفسرون: معناها: تعلّمت من جَبْرِ^(١) وَيَسَارٍ، وسننّ هذا في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] إن شاء الله.

وقرأ ابن عامر، ويعقوب: «دَرَسْتُ» بفتح الرَّاء والسين وسكون التاء من غير ألف، والمعنى: هذه الأخبار التي تلوها علينا قديمة قد دَرَسْتُ. أي: قد مضت وانحلت.

وجميع من ذكرنا فتح الدّال في قراءته^(٢).

وقد روي عن نافع أنه قال: «دُرِسْتُ» برفع الدّال وكسر الرَّاء وتخفيف التاء، وهي قراءة ابن يعمر^(٣). ومعناها قُرئت.

وقرأ أبي بن كعب: «دَرَسْتُ» بفتح الدّال والسين وضم الرَّاء وتسكين التاء^(٤).

قال الزّجاج: وهي بمعنى: «دَرَسْتُ» أي: انحلت إلا أن المضمومة الرَّاء أشدّ مبالغة^(٥).

وقرأ معاذ القارئ، وأبو العالية، ومورّق: «دُرِسْتُ» برفع الدّال، وكسر الرَّاء وتشديدها ساكنة السين^(٦).

(١) في (ف): (خير)، وفي (ر): (حبر).

(٢) انظر: السبعة (١/ ٢٦٤)، والحجة (٣/ ٣٧٣)، والمبسوط (١/ ٢٠٠).

(٣) وعن ابن عباس في خلاف، وقتادة، والحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥)، والتّحصيل (١/ ٦٥١)، والمحزر الوجيز (٢/ ٣٣١)، والبحر المحيط (٤/ ٦٠٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢/ ٢٨٠)، والبحر المحيط (٤/ ٦٠٨) بلا نسبة.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢/ ٢٨٠).

(٦) انظر: البحر المحيط (٤/ ٦٠٨).

وقرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف: «دَرَسَ» بفتح الرَّاء والسين بلا ألف ولا تاء^(١).

وروى عصمة عن الأعمش: «دارس» بألف^(٢).

قوله: ﴿وَلْيُبَيِّنْهُ﴾ يعني: التَّصْرِيفُ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما بُيِّنَ لهم من الحقِّ فيقبلوه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ [الأنعام: ١٠٦، ١٠٧].

قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قال المفسرون: نُسخَ بآية السَّيف.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾.

فيه ثلاثة أقوال حكاهما الزَّجَّاج:

أحدها^(٣): لو شاء لجعلهم مؤمنين.

والثاني: لو شاء لأنزل آية تضطرهم إلى الإيمان.

والثالث: لو شاء لاستأصلهم، فقطع سبب شركهم^(٤).

(١) عن ابن مسعود في المحتسب (١/ ٢٢٥)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٤٥).

(٢) انظر: الكامل (١/ ٥٤٥).

(٣) في (ر): (فيه ثلاثة أقوال: أحدها حكاه الزَّجَّاج).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٠).

قال ابن عباس: وباقي الآية نُسخ بآية السيف^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما قال للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قالوا: لتنتهين يا محمد عن سبِّ آلهتنا وعبادتها، أو لنهجون إلهك الذي تعبد، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٢).

والثاني: أن المسلمين كانوا يسبون أو ثان الكفار، فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوما جهلة لا علم لهم بالله، قاله قتادة^(٣).

ومعنى ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون، وهي الأصنام.

(١) قوله: (بآية السيف)، ليس في (ر).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٤٨٠/٩)، وابن أبي حاتم (٧٧٦٠) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به. وأورده الواحدي في أسباب النزول (٢٢١/١) عن سعيد بن جبّير، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٤٨٠/٩) في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة، وابن أبي حاتم (٧٧٦١) في تفسيره من طريق معمر، كلاهما عن قتادة، بنحوه.

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ أي: فيسبُّوا من أمركم بعيها، فيعود ذلك إلى الله [٢٤٦/أ] تعالى، لا أنهم كانوا يصرِّحون بسبِّ الله تعالى، لأنهم كانوا يقرُّون أنه خالقهم، وإن أشركوا به.

وقوله: ﴿عَدُوًّا بَغِيْرَ عِلْمٍ﴾ أي: ظلماً بالجهل.

وقرأ يعقوب: «عُدُوًّا»، بضم العين والدال وتشديد الواو^(١).

والعرب تقول في الظلم: عدا فلان عُدُوًّا وعُدُوًّا وعُدُوًّا. وعدا، أي: ظلم.
قوله: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ آمَةٍ عَمَلُهُمْ﴾ أي: كما زيننا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام، وطاعة الشيطان، كذلك زيننا لكل جماعة اجتمعت على حقٍّ أو باطل عملهم من خير أو شرٍّ.

قال المفسِّرون: وهذه الآية نُسخَت بتنبية الخطاب في آية السِّيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنِ جَاءَهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما نزل في «الشعراء»: ﴿إِنْ شَاءَ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الآية: ٤] قال المشركون: أنزلها علينا حتى والله نؤمن بها، فقال المسلمون:

(١) عن الحسن، وأبي رجاء، وقتادة، وسلام، ويعقوب في المحتسب (٢٢٦/١)، والتَّحْصِيل (٦٥١/١)، والكامل (٥٤٦/١)، والمبسوط (٢٠٠/١) عن يعقوب، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٤٥) بعض المكين.

يا رسول الله، أنزلها عليهم لكي يؤمنوا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١).

والثاني: أن قريشاً قالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر، فينفجر منها اثنتا عشرة عيناً، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقه، فائتنا بمثل هذه الآيات حتى نصدقك: فقال: «أَيُّ شَيْءٍ تُحِبُّونَ؟» قالوا: أن تجعل لنا الصفا ذهباً. قال: «فَإِنْ فَعَلْتُ تُصَدِّقُونِي؟» فقالوا: نعم، والله لئن فعلت لتتبعنك أجمعين. فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل فقال: «إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ الصَّفَا ذَهَبًا، وَلَكِنِّي لَمْ أُرْسَلْ آيَةً فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا، إِلَّا أَنْزَلْتُ الْعَذَابَ، وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتُهُمْ حَتَّى يَتُوبَ تَائِبُهُمْ». فقال رسول الله ﷺ «اتْرُكْهُمْ حَتَّى يَتُوبَ تَائِبُهُمْ»، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، هذا قول محمد بن كعب القرظي^(٢).

وقد ذكرنا معنى ﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ [الآية: ٥٣] في «المائدة» وإنما حلفوا على ما اقترحوا من الآيات، كقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هو القادر على الإتيان بها دوني ودون أحد من خلقه ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا﴾ أي: يدريكم أنها.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، وخلف في اختياره: بكسر الألف^(٣).

(١) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦١٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٤٨٥-٤٨٦)، والواحد في أسباب النزول (١/ ٢٢٣).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٦٥)، والحجّة (٣/ ٣٧٥)، والتيسير (١/ ٧٣).

فعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله: ﴿يُشْعِرْكُمْ﴾ للمشركين، ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرْكُمْ﴾ ويكون المعنى: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت؟ وتكون «إنها» مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم.

وقال أبو علي: التقدير: وما يشعركم إيمانهم، فحذف المفعول.

[٢٤٦/ب] والمعنى: لو جاءت الآية التي اقترحوها، لم يؤمنوا. فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: «وما يشعركم إنها» فقلت: ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن^(١) ذلك في هذا الموضع إنما قال: ﴿وَمَا يُشْعِرْكُمْ﴾ ثم ابتداء فأوجب، فقال: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون» ولو قال: ﴿وَمَا يُشْعِرْكُمْ﴾^(٢) أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ كان ذلك عذراً لهم^(٣).

وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، وحزمة، والكسائي^(٤): «إنها» بفتح الألف^(٥).

فعلى هذا، المخاطب بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرْكُمْ﴾ رسول الله ﷺ وأصحابه.

(١) في (ف): (تحسين).

(٢) قوله: (ثم ابتداء فأوجب) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: الحجة (٣/ ٣٧٥-٣٧٧).

(٤) قوله: (والكسائي)، ليس في (ر).

(٥) انظر: السبعة (١/ ٢٦٥)، والحجة (٣/ ٣٧٥).

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: وما يدريكم لعلّها إذا جاءت لا يؤمنون.

وفي قراءة أبيّ: «لعلّها إذا جاءت لا يؤمنون»^(١).

والعرب تجعل «أن» بمعنى «لعلّ». يقولون: ائت السوق أنك تشتري لنا شيئاً، أي: لعلّك.

قال عدي بن زيد^(٢) [من الطويل]:

أَعَاذِلَ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ مَنِّيَّ إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى غَدٍ
أي: لعلّ منيّي.

وإلى هذا المعنى ذهب الخليل، والفراء في توجيه هذه القراءة^(٣).

والثاني: أن المعنى: وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون، وتكون «لا» صلة كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] وقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، ذكره الفراء، وردّه الزّجاج واختار الأوّل^(٤).

(١) عن أبي بن كعب رضي الله عنه في معاني القرآن؛ للنحاس (٢/ ٤٧٤)، وبلا نسبة في معاني القراءات؛ للأزهري (١/ ٣٧٩).

(٢) البيت لعدي بن زيد العباديّ في ديوانه (ص: ١٠٣)، ولسان العرب (١٣/ ٣٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٠-٣٥٢).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٢-٢٨٣).

والأكثر على قراءة: «يؤمنون» بالياء منهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم.

وقرأ ابن عامر، وحمزة: بالتاء، على الخطاب للمشركين.

قال أبو علي: من قرأ بالياء، فلأن الذين أقسموا غيب، ومن قرأ بالتاء، فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب^(١).

قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ التَّغْلِب: تحويل الشيء عن وجهه.

وفي معنى الكلام أربعة أقوال:

أحدها: لو أتيناهم بآية كما سألوا، لقلبنا أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها، وحلنا بينهم وبين الهدى، فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها، عقوبة لهم على ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد.

والثاني: أنه جواب لسؤالهم في الآخرة الرجوع إلى الدنيا، فالمعنى: لو ردُّوا حلُّنا بينهم وبين الهدى كما حلُّنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا، روى هذا المعنى ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(١) انظر: السبعة (١/٢٦٥)، والحجة (٣/٣٨٢-٣٨٣)، والمبسوط (١/٢٠٠).



والثالث: ونقلب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات، قاله مقاتل^(١).

والرابع: أن ذلك التقلب في النار، عقوبة لهم، ذكره الماوردي^(٢).

وفي هاء «به» أربعة أقوال.

أحدها: أنها كناية عن القرآن.

والثاني: عن النبي ﷺ.

[٢٤٧/أ]

والثالث: عما ظهر من الآيات.

والرابع: عن التقلب.

وفي المراد بـ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المرة^(٣) الأولى: دار الدنيا.

والثاني: أنها معجزات الأنبياء قبل محمد.

والثالث: أنها صرف قلوبهم عن الإيمان قبل نزول الآيات أن لو

نزلت، والطغيان والعمه مذكوران في «[سورة]»^(٤) البقرة^(٥).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٤).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ١٥٦).

(٣) في (ف): (المراد).

(٤) زيادة من (ف).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحِشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ﴾.

سبب نزولها:

أن المستهزئين أتوا رسول الله ﷺ في رهط من أهل مكة، فقالوا له: ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم: أحق ما تقول، أم باطل؟ أو أرنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله، أو اثنا بالله والملائكة قبيلاً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١).

ومعنى الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ﴾ كما سألوا ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ﴾ فشهدوا لك بالنبوة ﴿وَحِشَرْنَا﴾ أي: جمعنا: ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿قُبَلًا﴾ ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، فأخبر أن وقوع الإيمان بمشيئته، لا كما ظنوا أنهم متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا لم يؤمنوا.

فأما قوله تعالى: «قُبَلًا»، فقرأ ابن عامر، ونافع: بكسر القاف وفتح الباء^(٢).

قال ابن قتيبة: معناها: معاينة^(٣).

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: ﴿قُبَلًا﴾ بضم القاف والباء^(٤).

(١) لم نقف عليه.

(٢) انظر: السبعة (١/٢٦٥-٢٦٦)، والحجة (٣/٣٨٣)، والتيسير (١/١٠٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/١٥٨).

(٤) انظر: السبعة (١/٢٦٥-٢٦٦)، والحجة (٣/٣٨٣)، والتيسير (١/١٠٦).



وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه جمع قبيل، وهو الصَّنْف.

فالمعنى: وحشرنا عليهم كلَّ شيءٍ قبيلًا قبيلًا، قاله مجاهد، واختاره أبو عبيدة، وابن قتيبة^(١).

والثاني: أنه جمع قبيل أيضًا، إلا أنه: الكفيل.

فالمعنى: وحشرنا عليهم كلَّ شيءٍ، فكفَّلَ بصحَّة ما تقول، اختاره الفراء^(٢).
وعليه اعتراض، وهو أن يقال: إذا لم يؤمنوا بإنزال الملائكة، وتكليم الموتى، فلأن لا يؤمنوا بالكفالة التي هي قول، أولى.

فالجواب: أنه لو كفَّلت الأشياء المحشورة، فنطق ما لم ينطق، كان ذلك آية^(٣) بينة.

والثالث: أنه بمعنى المقابل.

فيكون المعنى: وحشرنا عليهم كلَّ شيءٍ، فقابلهم، قاله ابن زيد.

قال أبو زيد^(٤): يُقال: لقيت فلانًا قِبَلًا وقِبَلًا وقُبُلًا وقَبِلًا وقَبِلًا ومقابلةً، وكلُّه واحد، وهو المواجهة.

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٤)، وغريب القرآن (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٠).

(٣) ليست في (ف).

(٤) هو سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري، صاحب النحو واللغة، له من الكتب كتاب المغزى، وكتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان، وغيرها، توفي (٢١٥هـ).
انظر: نباه الرواة (٢/ ٣٠-٣٥).

قال أبو علي: فالمعنى في القرآن - على ما قاله أبو زيد - واحد، وإن اختلفت الألفاظ^(١).

قوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: يجهلون أن الأشياء لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى.

والثاني: أنهم يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢).

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾.

أي: وكما جعلنا لك ولأمتك شياطين الإنس والجن أعداء، كذلك [٢٤٧/ب] جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء وأممهم.

والمعنى: كما ابتليناك بالأعداء، ابتلينا من قبلك، ليعظم الثواب عند الصبر على الأذى.

قال الزجاج: «عدو»: في معنى أعداء، و«شياطين الإنس والجن»: منصوب على البدل من «عدو»، ومفسر له، ويجوز أن يكون: «عدوًا» منصوب على أنه مفعول ثان، المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداءً لأممهم^(٢).

(١) انظر: الحجة (٣/ ٣٨٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨١-٢٨٤).

وفي ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم مرده الإنس والجن، قاله الحسن، وقتادة.

والثاني: أن «شياطين الإنس»: الذين مع الإنس، و«شياطين الجن»: الذين مع الجن، قاله عكرمة، والسُّدي.

والثالث: أن «شياطين الإنس والجن»: كفارهم، قاله مجاهد.

قوله: ﴿يُوحِي﴾ أصل الوحي: الإعلام والدلالة بِسِتْرٍ وإخفاء.

وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: يأمر.

والثاني: يوسوس.

والثالث: يشير.

وأما ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ فهو ما زُيِّنَ منه، وحُسِّنَ، ومُؤَّه، وأصل الزُّخْرَف: الذهب.

قال أبو عبيدة^(١): كلُّ شيءٍ حَسَنَتِهِ وَزَيَّنَتَهُ وهو باطل، فهو زخرف^(٢).

وقال الزَّجَّاج: «الزُّخْرَف» في اللُّغة: الزَّيْنَةُ؛ فالمعنى: أن بعضهم يزَيِّنُ لبعض الأعمال القبيحة و﴿عَمُورًا﴾ منصوب على المصدر، وهذا المصدر محمول على المعنى، لأن معنى إحياء الزُّخْرَف من القول: معنى الغرور،

(١) في (ر): (أبو عبيد)!

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٥).

فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَغْرُونَ غُرُورًا^(١).

وقال ابن عباس: ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾: الأمانُ بالباطل^(٢).

قال مقاتل: وَكَلَّ إبليسُ بالإنسِ شياطينَ يُضِلُّونَهُمْ، فإذا التقى شيطانُ الإنسِ بشيطانَ الجنِّ قال أحدهما لصاحبه: إني أضللتُ صاحبي بكذا وكذا، فأضلُّ أنتَ صاحبك بكذا وكذا، فذلك وحي بعضهم إلى بعض^(٣).

وقال غيره: إن المؤمن إذا أعيأ شيطانه، ذهب إلى متمرِّدٍ من الإنسِ، وهو شيطانُ الإنسِ، فأغراه بالمؤمن ليفتنه.

وقال قتادة: إن من الجنِّ شياطينَ، وإن من الإنسِ شياطينَ^(٤).

وقال مالك بن دينار: إن شيطانَ الإنسِ أشدُّ عليَّ من شيطانِ الجنِّ، لأنِّي إذا تعودت من ذاك ذهب عني، وهذا يجرُّني إلى المعاصي عيانًا^(٥).

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

في هاء الكناية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلى الوسوسة.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٤).

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٦٢) ومن طريقه ابن جرير الطبري (٩/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم (٧٧٨٨) في تفسيرهما.

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣١٣).

والثاني: ترجع إلى الكفر.

والثالث: إلى الغرور، وأذى النبيين.

قوله: ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

قال مقاتل: يريد كفار مكة وما يفترون من الكذب^(١).

وقال غيره: فذر المشركين وما يخاصمونك به مما يوحي إليهم أولياؤهم، وما يخلقون من كذب.

وهذا القدر من هذه الآية منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣].

قوله: ﴿وَلِنَصْغِي إِلَيْهِ﴾.

[أي]^(٢): ولتميل، والهاء: كناية عن الزخرف والغرور.

[أ/٢٤٨]

و«الأفئدة»: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة.

قال ابن الأنباري: فعلنا بهم ذلك لكي تصغي إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، «وليرضوا» الباطل.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ أي: ليكتسبوا، وليعملوا ما هم عاملون.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٥).

(٢) زيادة من (ف)، و(ر).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

قوله: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾.

سبب نزولها:

أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً إن شئت من أحوار اليهود، وإن شئت^(١) من أحوار النصارى، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت هذه الآية، ذكره الماوردي^(٢).

فأما «الحكم» فهو بمعنى الحاكم. والمعنى: أغير الله أطلب قاضياً بيني وبينكم؟!.

و﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن.

و«المفصل»: المبين الذي بان فيه الحق من الباطل، والأمر من النهي، والحلال من الحرام.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ فيهم قولان:

أحدهما: علماء أهل الكتابين، قاله الجمهور.

والثاني: رؤساء أصحاب النبي محمد ﷺ، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأشباههم، قاله عطاء.

(١) من قوله: (قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ١٦٠).

قوله: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾.

قرأ ابن عامر^(١)، وحفص عن عاصم: ﴿مُنَزَّلٌ﴾ بالتشديد.
وخففها الباقون^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾ [١١٥] ﴿الأنعام: ١١٥﴾.

قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع: «كلمات» على الجمع.
وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، ويعقوب: «كلمة» على التوحيد^(٣).
وقد ذكرت العرب الكلمة، وأرادت الكثرة يقولون: قال قُسٌّ في
كلمته، أي: في خطبته، وقال زهير في كلمته، أي: في قصيدته.

وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها القرآن، قاله قتادة.

والثاني: أفضيته وعداته^(٤).

والثالث: وعده ووعيده وثوابه وعقابه.

(١) في الأصل: (أبو عمرو)، والمثبت من (ف) وغيرها، وهو الصواب.

(٢) انظر: السبعة (١/٢٦٦)، والمبسوط (١/٢٠١)، والتيسير (١/١٠٦).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

(٤) في (ر): (وعذابه).



وفي ماذا يطيعهم فيه أربعة أقوال:

أحدها: في أكل الميتة.

والثاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام.

والثالث: في عبادة الأوثان.

والرابع: في اتباع ملل الآباء.

و﴿سَبِيلَ اللَّهِ﴾: دينه.

قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿يَخْرُصُونَ﴾: يَحْدُسُونَ ويوقعون، ومنه قيل للحازر: خَارِصٌ^(١).

فإن قيل: كيف يجوز تعذيب من هو على ظنٍّ من شركه، وليس [٢٤٨/ب] على يقينٍ من كفره؟! فالجواب: أنهم لما تركوا التماس الحجّة، واتبعوا أهواءهم، واقتصروا على الظنِّ والجهل، عُدُّبوا، ذكره الرَّجَّاجُ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

﴾ [الأنعام: ١١٧].

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

(١) انظر: غريب القرآن (١/١٥٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٨٥).

قال الزَّجَّاج: موضع ﴿مَنْ﴾ رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلم أيُّ النَّاسِ يُضِلُّ عن سبيله^(١).

وقرأ الحسن: «مَنْ يُضِلُّ» بضم الياء وكسر الضاد، وهي رواية ابن أبي شريح^(٢).

قال أبو سليمان: ومقصود الآية: لا تلتفت إلى قسم من أقسم أنه يؤمن عند مجيء الآيات، فلن يؤمن إلا من سبق له القدر بالإيمان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٨)
[الأنعام: ١١٨].

قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

سبب نزولها:

أن الله تعالى لما حرم الميتة، قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم، يريدون الميتة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٣).

(١) انظر: المصدر السابق (٢/٢٨٦).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن الحسن، ونصير عن الكِسَائِي، وفي المحتسب (١/٢٢٨)، والتَّحْصِيل (١/٦٥٣) قراءة الحسن، وزاد في البحر المحيط (٤/٢١٠) أحمد بن أبي شريح.

(٣) تقدم قريباً من رواية عكرمة، عن ابن عباس ؓ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ (١١٨) ﴿[الأنعام: ١١٩].

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: وأي شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا؟. وموضع «أن» نصب، لأن «في» سقطت، فوصل المعنى إلى «أن» فنصبها^(١).

قوله: ﴿وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «فُضِّلَ لكم ما حُرِّمَ عليكم» مرفوعتان.

وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، ويعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: «فُضِّلَ» بفتح الفاء، «ما حُرِّمَ» بفتح الحاء.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «فُضِّلَ» بفتح الفاء، «ما حُرِّمَ» بضم الحاء^(٢).

قال الزَّجَّاج: أي: فُضِّلَ لكم الحلال من الحرام، وأُحِلَّ لكم في الاضطرار ما حُرِّمَ^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٦).

(٢) انظر: السبعة (١/ ٢٦٧)، والحجّة (٣/ ٣٩٠)، والمبسوط (١/ ٢٠٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٦).

وقال سعيد بن جبَر: فَضَّلَ لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، يعني: ما بُيِّنَ في «المائدة» من الميتة، والدَّم، إلى آخر الآية^(١).

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيَضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ﴾ يعني: مشركي العرب يَضِلُّونَ في أمر الذَّبَائِح وغيره.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «ليَضِلُّونَ»، وفي «يونس»: «ربنا ليَضِلُّوا» وفي «إبراهيم»: «أندادًا ليَضِلُّوا» وفي «الحج»: «ثاني عطفه ليَضِلَّ» وفي «لقمان»: «ليَضِلَّ عن سبيل الله بغير علم» وفي «الزمر»: «أندادًا ليَضِلَّ»، بفتح الياء في هذه المواضع الستة.

وَضَمَّهْنَ عاصم، وحزمة، والكسائي.

وقرأ نافع، وابن عامر: «ليَضِلُّونَ بأهوائهم»، وفي «يونس» «ليَضِلُّوا» بالفتح، وضَمًّا الأربعة الباقية^(٢).

فمن فتح، أراد: أنهم هم الذين ضلوا، ومن ضم، أراد: أنهم أضلوا غيرهم، وذلك أبلغ في الضلال؛ لأنَّ كُلَّ مَضِلٍّ ضالٌّ، وليس كُلُّ ضالٍّ مَضِلًّا^(٣).

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨١٨) بلفظ: «إِلَّا مَا اضْطَرُّرْتُمْ إِلَيْهِ يَغْنِي: مَا حَرَّمَ عَلَيْكُم مِّنَ الْمَيْتَةِ، فَهُوَ الْاضْطِرَارُّ كُلُّهُ».

(٢) انظر: السبعة (٢٦٧/١)، والحجَّة (٣٩٢/٣)، والمبسوط (٢٠١/١)، والتيسير (١٠٦/١).

(٣) من قوله: (قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ليضلون) ... إلى هنا، ليس في (ر).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٠).

قوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾.

في الإثم هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الزنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

[١/٢٤٩]

فعلى هذا في ظاهره وباطنه قولان:

أحدهما: أن ظاهره: الإعلان به، وباطنه: الاستسار به، قاله الضحّاك، والسُّدي.

قال الضحّاك: وكانوا يرون الاستسار بالزنا حلالاً.

والثاني: أن ظاهره نكاح المحرّمات، كالأمهات، والبنات، وما نكح الآباء. وباطنه: الزنا، قاله سعيد بن جبّير.

والثاني: أنه عامٌّ في كلّ إثم. والمعنى: ذروا المعاصي سرّها وعلانيتها، وهذا مذهب أبي العالية، ومجاهد، وقتادة، والزّجاج^(١).

وقال ابن الأنباريّ: المعنى: ذروا الإثم من جميع جهاته.

والثالث: أن الإثم: المعصية، إلّا أنّ المراد به هاهنا أمر خاصّ.

قال ابن زيد: ظاهره هاهنا: نزع أثوابهم، إذ كانوا يطوفون بالبيت عراة، وباطنه: الزنا^(٢).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٨٦).

(٢) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/٦٣٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدْ لَكُمْ^١ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

سبب نزولها:

مجادلة المشركين للمؤمنين في قولهم: أأأكلون مما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله! على ما ذكرنا في سبب قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨] هذا قول ابن عباس^(١).

وقال عكرمة: كتبت فارس إلى قريش: إن محمداً وأصحابه لا يأكلون ما ذبحه الله، ويأكلون ما ذبحوا لأنفسهم، فكتب المشركون إلى أصحاب النبي ﷺ بذلك، فوقع في أنفس ناسٍ من المسلمين من ذلك شيء، فنزلت هذه الآية^(٢).

وفي المراد بما لم يُذكر اسم الله عليه أربعة أقوال:

أحدها: أنه الميتة، رواه ابن جُبَيْر عن ابن عباس.

والثاني: أنه ﴿الْمَيْتَةُ﴾، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] روي عن ابن عباس.

(١) تقدم من رواية عكرمة، عنه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٢١/٩) من طريق عمرو بن دينار، به، بنحوه.

والثالث: أنها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها، قاله عطاء.

والرابع: أنه عامٌ فيما لم يسمَّ الله^(١) عند ذبحه، وإلى هذا المعنى ذهب

عبد الله بن يزيد الخطمي، ومحمد بن سيرين.

فصلٌ

فإن تعمَّد ترك التسمية فهل يباح؟

فيه عن أحمد روايتان. وإن تركها ناسياً أبيحت.

وقال الشافعي: لا يحرم في الحالين جميعاً.

وقال شيخنا علي بن عبيد الله: فإذا قلنا: إن ترك التسمية عمداً

يمنع الإباحة، فقد نُسخ من هذه الآية ذبائح أهل الكتاب بقوله تعالى:

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ {المائدة: ٥}.

وعلى قول الشافعي: الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ يعني: وإنَّ أكل ما لم يُذكر عليه اسم الله

لفسقٌ، أي: خروج عن الحقِّ والدين.

وفي المراد بـ ﴿الشَّيْطَانِ﴾ هاهنا قولان:

أحدهما: أنهم شياطين الجنِّ، روي عن ابن عباسٍ.

والثاني: قوم من أهل فارس، وقد ذكرناه عن عكرمة.

(١) في (ر): (أنه عامٌ فيما لم يُذكر اسم الله).

فعلى الأول: وحيهم الوسوسة، وعلى الثاني: وحيهم الرسالة.
والمراد بـ﴿أُولَآئِهِمْ﴾ الكفار الذين جادلوا رسول الله ﷺ في ترك
أكل الميتة.

ثم فيهم قولان:

أحدهما: أنهم مشركو قريش.

والثاني: اليهود.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ
كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قوله: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وأبي جهل، وذلك أن
أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بفرث، وحمزة لم يؤمن بعد، فأخبر حمزة بما
فعل أبو جهل، فأقبل حتى علا أبا جهل بالقوس، فقال له: أما ترى
ما جاء به؟ سفه عقولنا، وسب آهتنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم؟
تعبدون الحجارة من دون الله؟! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده
ورسوله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس^(١).

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٢٤).

والثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر، وأبي جهل، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١)، وبه قال عكرمة^(٢).

والثالث: في عمر بن الخطاب، وأبي جهل، قاله زيد بن أسلم^(٣)، والضحاك^(٤).

والرابع: في النبي ﷺ، وأبي جهل، قاله مقاتل^(٥).

والخامس: أنها عامة في كل مؤمن وكافر، قاله الحسن في آخرين^(٦).

وفي قوله: ﴿كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قولان:

أحدهما: كان ضالاً فهديناه، قاله مجاهد.

والثاني: كان جاهلاً، فعلمناه، قاله الماوردي^(٧).

(١) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٤/ ٦٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٥٣٤) عن رجل، عن عكرمة، به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨٥٣) عن خالد ابن حميد، عن حماد بن عمار، عن زيد بن أسلم أنه قال في قول الله: ﴿أَوْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ». قَالَ: وَكَانَا مَيِّتَيْنِ فِي صَلَاتِهِمَا، فَأَحْيَا اللَّهُ عُمَرَ بِالْإِسْلَامِ، وَأَعَزَّهُ، وَأَقَرَّ أَبَا جَهْلٍ فِي صَلَاتِهِ وَمَوْتِهِ، قَالَ: فَفِيهِمَا أَنْزَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٥٣٣).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

(٦) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٤٦).

(٧) انظر: النكت والعيون (٢/ ١٦٣).

وقرأ نافع: «مَيْتًا» بالتَّشْدِيدِ^(١).

قال أبو عبيدة: المَيْتَةُ، مَخْفَفَةٌ: مِنْ مَيْتَةٍ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ^(٢).

وفي «النُّور» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الهدى، قاله ابن عَبَّاسٍ.

والثَّانِي: الْقُرْآنُ، قَالَ الْحَسَنُ.

وَالثَّالِثُ: الْعِلْمُ.

وفي قوله: ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يَهْتَدِي بِهِ فِي النَّاسِ، قَالَ مِقَاتِلٌ^(٣).

وَالثَّانِي: يَمْشِي بِهِ بَيْنَ النَّاسِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَالثَّالِثُ: يَنْشُرُ بِهِ دِينَهُ فِي النَّاسِ، فَيَصِيرُ كَالْمَاشِي، ذَكَرَهُمَا الْمَاوَرِدِيُّ^(٤).

قوله: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾.

المَثَلُ: صِلَةٌ، وَالْمَعْنَى: كَمَنْ هُوَ فِي الظُّلُمَاتِ.

وقيل: الْمَعْنَى: كَمَنْ لَوْ شُبِّهَ بِشَيْءٍ كَانَ شَبِيهُهُ مِنْ فِي الظُّلُمَاتِ.

وقيل: الْمُرَادُ بِالظُّلُمَاتِ هَاهُنَا: الْكُفْرُ.

(١) انظر: السَّبعة (١/٢٦٨)، وَالْحَجَّةَ (٣/٣٩٨)، وَالتَّيْسِيرَ (١/١٠٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/١٤٨).

(٣) انظر: تفسير مِقَاتِلِ بْنِ سَلِيْمَانَ (١/٥٨٧).

(٤) انظر: النُّكْتُ وَالْعِيُونُ (٢/١٦٣).

قوله: ﴿كَذَلِكَ زُتِنَ﴾.

أي: كما بقي هذا في ظلماته لا يتخلص منها ﴿كَذَلِكَ زُتِنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾.

أي: وكما زينا للكافرين عملهم، فذلك جعلنا في كل قرية ﴿أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا﴾، وقيل معناه: وكما جعلنا فساق مئة أكابرها، فذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها.

وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرياسة والسعة. [أ/٢٥٠]

وقال ابن قتيبة: تقدير الآية: وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر، و«أكابر» لا ينصرف، وهم العظماء^(١).

قوله: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾.

قال أبو عبيدة: المكر: الخديعة، والحيلة، والفجور، والغدر، والخلاف^(٢).

قال ابن عباس: ليقولوا فيها الكذب.

(١) انظر: غريب القرآن (١/١٥٩).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/٢٠٦).

قال مجاهد: أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة، ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون للناس: هذا شاعر، وكاهن^(١).

قوله: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ذلك المكر بهم يخبى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾.

سبب نزولها:

أن أبا جهل قال: زاحمتنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كَفَرَسَيِّ رِهَان، قالوا: منّا نبيُّ يوحى إليه. والله لا نؤمن به ولا نتبعه أو أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل^(٢).

قال الزجاج: الهاء والميم تعود على الأكابر الذين جرى ذكرهم^(٣).

وقال أبو سليمان: يعود^(٤) على المجادلين في تحريم الميتة.

قال مقاتل: والآية: انشقاق القمر، والدُّخان^(٥).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣١٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٨٨).

(٤) في (ر): (تعود).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٧).

قال ابن عباس في قوله: ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ قال: حتى يوحى إلينا، ويأتينا جبريل، فيخبرنا أن محمداً صادق^(١).

قال الضحاك: سأل كل واحد منهم أن يختص بالرسالة والوحي^(٢).

قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿رِسَالَتَهُ﴾ بنصب التاء على التوحيد^(٣).

وامعنى: أنهم ليسوا لها بأهل^(٤)، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى به منك، لأنى أكبر منك سنًا، وأكثر منك مالاً، فنزل قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

وقال أهل المعاني: الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين في قومهم، لأن الطعن كان يتوجه عليهم، فيقال: إنما كانوا رؤساء فأتبعوا، فكان الله أعلم حيث جعل الرسالة ليتيم أبي طالب، دون أبي جهل والوليد، وأكابر مكة.

قوله: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣١٩).

(٢) أورده النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٥٨).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٤٦)، والحجة (٣/ ٢٣٩)، والتيسير (١/ ١٠٦).

(٤) قوله: (والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهل)، ليس في (ر).

قال أبو عبيدة: «الصَّغَارُ»: أَشَدُّ الدُّلِّ^(١).

وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: هم، وإن كانوا أكابر في الدنيا، فسيصيبهم صغار عند الله، أي: صغار ثابت لهم عند الله^(٢).

وجائز أن يكون المعنى: سيصيبهم عند الله صغار.

وقال الفرَّاءُ: معناه: صغار من عند الله، فحذفت «مِنْ»^(٣).

وقال أبو روق: صغار في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٢٥] [الأنعام].

قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾.

قال مقاتل: نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جهل^(٥).

(١) انظر: مجاز القرآن (١/٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢/٢٨٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/٣٥٣).

(٤) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٤/١٨٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٨٨) وفيه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ لدينه ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ نزلت في النَّبِيِّ ﷺ يعني يوسع قلبه ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ عن دينه ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتَّوْحِيدِ يعني أبا جهل حَتَّى لَا يَجِدَ التَّوْحِيدَ مِنَ الضِّيقِ مجازًا.

قوله: ﴿يَشْرَحْ صَدْرُهُ﴾.

قال ابن الأعرابي: الشَّرْح: الفتح^(١).

قال ابن قُتَيْبَةَ: ومنه يقال: شرحتُ لك الأمر، وشرحتُ اللحم: إذا [٢٥٠/ب] فتحتَه^(٢).

وقال ابن عباس: ﴿يَشْرَحْ صَدْرُهُ﴾ أي: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان^(٣).

وقد روى ابن مسعود أن النَّبِيَّ ﷺ قرأ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، ف قيل له: يا رسول الله، وما هذا الشَّرْح؟ قال: «نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، فَيَنْفُتِحُ الْقَلْبُ». قالوا: فهل لذلك من أمانة؟ قال: «نَعَمْ». قيل: وما هي؟ قال: «الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزْوِهِ»^(٤).

قوله: ﴿ضَيِّقًا﴾.

قرأ الأكثرون بالتَّشْدِيدِ.

وقرأ ابن كثير: «ضَيِّقًا»، وفي «الفرقان»: «مَكَانًا ضَيِّقًا». بتسكين الياء خفيفة.

(١) انظر: التفسير الوسيط (٢/ ٣٢٠)، والبحر المحيط (٤/ ٦٢١).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٥٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٨٧٤) من طريق عكرمة، به.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٣١٥)، وابن جرير الطبري (٩/ ٥٤٢)، والحاكم في

المستدرک (٤/ ٣٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٦٨)، وفي القضاء والقدر (٣٨٩)

من طرق لا تسلم من ضعف عن عبد الله بن مسعود ؓ، به، بنحوه.

قال أبو علي: الضَّيِّقُ، والضَّيِّقُ: مثل المَيْتِ، والمَيْتُ^(١).

قوله: ﴿حَرَجًا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِيُّ: ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الراء.

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الراء^(٢).

قال الفراء: وهما لغتان^(٣).

وكذلك قال يونس بن حبيب النُّحَوي: هما لغتان. إلا أن الفتح أكثر على ألسنة العرب من الكسر، ومجراهما مجرى الدَّنْفِ والدَّنَفِ.

وقال الزَّجَّاج: الحرج في اللُّغة: أضيق الضُّيق^(٤).

قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ﴾.

قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكِسَائِيُّ: ﴿يَصْعَدُ﴾ بتشديد الصاد والعين وفتح الصَّاد من غير ألف.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «يَصَّاعِد» بتشديد الصَّاد وبعدها ألف.

وقرأ ابن كثير: «يَصْعَد» بتخفيف الصَّاد والعين من غير ألف والصَّاد ساكنة^(٥).

(١) انظر: السَّبعة (١/٢٦٨)، والحجَّة (٣/٣٩٩-٤٠٠)، والتَّيسير (١/١٠٦).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/٣٥٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٩٠).

(٥) انظر: السَّبعة (١/٢٦٨-٢٦٩)، والحجَّة (٣/٤٠١-٤٠٢)، والتَّيسير (١/١٠٦-١٠٧).

وقرأ ابن مسعود، وطلحة: «تَصْعَدُ»^(١) بتاء من غير ألف^(٢).

وقرأ أبي بن كعب: «يَتَصَاعَدُ» بألف وتاء^(٣).

قال الزجاج: قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾، و«يَصَاعَدُ»^(٤)، أصله^(٥): «يَتَصَاعَدُ»، و«يَتَصَعَّدُ»، إلا أن التاء تدغم في الصاد لقربها منها، والمعنى كأنه قد كُلف أن يَصْعَدَ إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. ويجوز أن يكون المعنى: كأن قلبه يصعد في السماء بُبُوءاً عن الإسلام والحكمة^(٦).

وقال الفراء: ضاق عليه المذهب، فلم يجد إلا أن يصعد في السماء، وليس يقدر على ذلك^(٧).

وقال أبو علي: «يَصْعَدُ» و«يَصَاعَدُ»: من المشقة، وصعوبة الشيء، ومنه قول عمر: ما تَصْعَدُنِي شيء كما تَصْعَدُنِي^(٨) خطبة النكاح، أي: ما شقَّ عليَّ شيء مشقتها^(٩).

(١) في (ر): (يتصعد).

(٢) في المصاحف؛ لابن أبي داود (١/١٧٦).

(٣) في معاني القراءات (١/٣٨٥)، وحجة القراءات (١/٢٧١) بلا نسبة.

(٤) من قوله: (قال الزجاج) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٥) في (ر): (وأصله).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٩٠).

(٧) انظر: معاني القرآن (١/٣٥٤).

(٨) في (ر): (ما يصعد في شيء كما تصعدني).

(٩) انظر: الحجّة (٣/٤٠٤).

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما قصصنا عليك.

﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ﴾ وفيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه الشَّيْطَانُ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباسٍ. يعني: أن الله يسلِّطه عليهم.

والثاني: أنه المأثم، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ.

والثالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد.

والرابع: العذاب، قاله عطاء، وابن زيد، وأبو عبيدة^(١).

والخامس: أنه اللَّعْنَةُ في الدُّنْيَا والعذاب في الآخرة، قاله الرَّجَّاجُ^(٢). [٢٥١/أ]

وهذه الآية تقطع كلام القَدَرِيَّةِ، إذ قد صرَّحت بأن الهداية والإضلال متعلَّقة بإرادة الله تعالى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦].

قوله: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، قاله ابن مسعود.

والثاني: التَّوْحِيدُ، قاله ابن عباسٍ.

(١) انظر: مجاز القرآن (١/٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٩٠).

والثالث: ما هو^(١) عليه من الدين، قاله عطاء.

ومعنى استقامته: أنه يؤدي بسالكة إلى الفوز.

قال مَكِّي بن أبي طالب: ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: نصب على الحال من ﴿صِرَاطُ﴾، وهذه الحال يقال لها: الحال المؤكدة، لأن صراط الله، لا يكون إلا مستقيمًا، ولم يؤت بها لتفرّق بين حالتين، إذ لا يتغيّر صراط الله عن الاستقامة أبدًا، وليست هذه الحال كالحال من قولك: هذا زيد راكبًا. لأن زيدًا قد يخلو من الركوب^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧) [الأنعام: ١٢٧].

قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ يعني الجنة.

وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن السَّلام، هو الله، وهي داره، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي.

والثاني: أنها دار السَّلامة التي لا تنقطع، قاله الزَّجاج^(٣).

والثالث: أن تحية أهلها فيها السَّلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩١).

والرابع: أن جميع حالاتها مقرونة بالسَّلام، ففي ابتداء دخولهم: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ [الحجر: ٤٦]، وبعد استقرارهم: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (١٣) ﴿سَلَامٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلَ سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦]، وعند لقاء الله تعالى ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وقوله: ﴿يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

ومعنى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مضمونة لهم عنده، ﴿وَهُوَ لِيَهُمْ﴾ أي: متولي إيصال المنافع إليهم، ودفع المضار عنهم ﴿يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعات. قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا نَمْعَ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَخَلَلْنَا فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢٨) [الأنعام: ١٢٨].

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني الجنَّ والإنس.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء^(١).

قال أبو سليمان: يعني: المشركين وشياطينهم الذين كانوا يوحون إليهم بالمجادلة لكم فيما حَرَّمَهُ اللهُ مِنَ المِيتَةِ.

(١) انظر: السبعة (١/٢٦٩)، والحجّة (٣/٤٠٦)، والتيسير (١/١٠٧).

قوله: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ﴾.

فيه إضمار تقديره^(١): فيقال لهم: يا معشر الجن^(٢)، والمعشر^(٣): الجماعة أمرهم واحد، والجمع: المعاشر.

وقوله: ﴿قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: من إغوائهم وإضلالهم.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ يعني الذين أضلّهم الجن.

﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن استمتع الإنس بالجن: أنهم كانوا إذا سافروا، فزلوا وادبوا، وأرادوا مبيتاً، قال أحدهم: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شرّ أهله، واستمتع الجن بالإنس: أنهم كانوا يفخرون على قومهم، ويقولون: قد سدنا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، [٢٥١/ب] وبه قال مقاتل، والفراء^(٤)،^(٥).

والثاني: أن استمتع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يغروهم به من الضلالة والكفر والمعاصي. واستمتع الإنس بالجن^(٦): أن الجن زينت لهم

(١) ليست في (ف).

(٢) زيد في (ر): (والإنس).

(٣) في (ر): (المعشر) بدون واو.

(٤) قوله: (والفراء)، ليس في (ر).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٨٨)، ومعاني القرآن (١/٣٥٤).

(٦) في (ر): (والجن).

الأمور التي يهتوونها ويشتهونها^(١) إليهم حتى سهل عليهم فعلها، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وبه قال محمد بن كعب، والزجاج^(٢).

والثالث: أن استمتاع الجن بالإنس: إغواؤهم إياهم. واستمتاع الإنس بالجن: ما يتلقون منهم من السحر والكهانة ونحو ذلك.

والمراد بالجن في هذه^(٣) الآية: الشياطين.

قوله: ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: الموت، قاله الحسن، والسدي.

والثاني: الحشر، ذكره الماوردي^(٤).

قوله: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ﴾.

قال الزجاج: المثوى: المقام، و﴿خَلِيدِينَ﴾ منصوب على الحال^(٥).

المعنى: النار مقامكم في حال خلود دائم، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ هو استثناء من يوم القيامة، والمعنى: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ مذكرون ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من مقدار حشرهم من قبورهم، ومدتهم في محاسبتهم.

(١) في (ف)، و(ر): (يهونها وشهوها).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩١).

(٣) في (ر): (وهذه) بدلاً من: (في هذه).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ١٦٨).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩١).

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ يَزِيدَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ.
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ مِنْ كَوْنِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَذَابٍ.
 وَقِيلَ فِي هَذَا غَيْرُ قَوْلٍ، سَتَجِدُهَا مَشْرُوحَةً فِي «هُود» إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٢٩)
 [الأنعام: ١٢٩].

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾.
 فِي مَعْنَاهُ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:
 أَحَدُهَا: جَعَلَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ، رَوَاهُ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ.
 وَالثَّانِي: تُتَّبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ مِنَ الْمَوَالَاةِ، وَهِيَ
 الْمَتَابَعَةُ، رَوَاهُ مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ.
 وَالثَّلَاثُ: يُسَلَّطُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.
 وَالرَّابِعُ: نَكَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَلَا نَعِينُهُمْ، ذَكَرَهُ الْمَوَارِدِيُّ^(١).

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أَي: مِنَ الْمَعَاصِي.
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ النَّارَ يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ
 آيَاتِي وَيُذِيقُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (١٣٠) [الأنعام: ١٣٠].

(١) انظر: النكت والعيون (١٦٩/٢).

قوله: ﴿يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾.

قرأ الحسن، وقتادة: ﴿تَأْتِكُمْ﴾^(١) بالتاء^(٢).

﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾

واختلفوا في الرسالة إلى الجنّ على أربعة أقوال:

أحدها: أن الرُّسل كانت تبعث إلى الإنس خاصّة، وأن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الإنس والجنّ، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن رسل الجنّ، هم الذين سمعوا القرآن، فولّوا إلى قومهم منذرين، روي عن ابن عباس أيضاً.

وقال مجاهد: الرُّسل من الإنس، والنُّذر من الجنّ، وهم قوم يسمعون كلام الرُّسل، فيبلغون الجنّ ما سمعوا^(٣).

والثالث: أن الله تعالى بعث إليهم رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، قاله الضَّحَّاك^(٤)، ومقاتل^(٥)، وأبو سليمان، وهو ظاهر الكلام.

والرَّابع: أن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلاً منهم، وإنما جاءتهم رسل

[٢٥٢/أ]

(١) قوله: (قرأ الحسن)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٢) في التَّحْصِيل (١/٦٧٩) عن الحسن، وابن هرمز.

(٣) انظر: الكشف والبيان (٤/١٩١)، والتفسير الوسيط (٢/٣٢٢).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٩/٥٦٠) من رواية عبيد بن سليمان، به.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٨٩).

الإنس، قاله ابن جُرَيْج، والفرَّاء، والزَّجَّاج^(١).

قالوا: ولا يكون الجمع في قوله: ﴿الْمَآيَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ مانعاً أن تكون الرُّسل من أحد الفريقين، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما هو خارج من الملح وحده.

وفي دخول الجنَّ الجنة إذا آمنوا قولان:

أحدهما: يدخلونها، ويأكلون ويشربون، قاله الضَّحَّاك.

والثاني: [أن]^(٢) ثوابهم أن يُجاروا من النار ويصيروا تراباً، رواه سفيان عن ليث.

قوله: ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ مَّا بَيْنَ يَدَيْ﴾ أي: يقرءون عليكم كتبتي، ﴿وَسُنِّدُوا نَكْمَ﴾ أي: يخوِّفونكم بيوم القيامة.

وفي قوله: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ قولان:

أحدهما: أقررنا على أنفسنا بإنذار الرُّسل لنا^(٣).

والثاني: شهد بعضنا على بعض بإنذار الرُّسل إياهم.

ثم أخبرنا الله تعالى بحالهم، فقال: ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ أي: بريبتها وإمهالهم فيها ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: أقرُّوا أنهم كانوا في الدنيا كافرين.

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطُّبري (٩/ ٥٦١)، ومعاني القرآن (١/ ٣٥٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٢).

(٢) زيادة من (ر).

(٣) ليست في (ف).

وقال مقاتل: ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ﴾ (١٣١)

[الأنعام: ١٣١].

قوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾.

قال الزَّجَّاج: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرُّسل، وأمر عذاب من كَذَب، لأنه لم يكن ربُّك مهلك القرى بظلم، أي: لا يهلكهم حتى يبعث إليهم رسولاً^(٢).

قال ابن عَبَّاسٍ: ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك ﴿وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ﴾ لم يأتهم رسول^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

﴿١٣٢﴾ [الأنعام: ١٣٢].

قوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: لكل عامل بطاعة الله أو

بمعصيته درجات، أي: منازل يبلغها بعمله، إن كان خيراً فخييراً، وإن كان شراً فشرّاً.

وإنما سُمِّيت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط، كتفاضل الدرج.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٣).

(٣) انظر: تفسير الوسيط (٢/ ٣٢٤).

قوله: ﴿عَمَّا يَفْعَلُونَ﴾.

قرأ الجمهور بالياء.

وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب^(١).

قَوْلُهُ نَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام: ١٣٣، ١٣٤].

قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ يريد: الغني عن خلقه.

﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ قال ابن عباس: بأوليائه وأهل طاعته^(٢).

وقال غيره: بالكل.

ومن رحمته تأخير الانتقام من المخالفين.

﴿إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ﴾ بالهلاك وقيل: هذا الوعيد لأهل مكة.

﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ﴾ أي: ابتدأكم ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ يعني: آباءهم الماضين.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ به من مجيء السَّعَةِ والحشر ﴿لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفائتين.

(١) انظر: السبعة (١/١٦١)، والحجة (٣/٤٠٩)، والتيسير (١/١٠٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/٣٢٤).

قال أبو عبيدة: يقال: أعجزني كذا، أي: فاتني وسبقني^(١).

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].
قوله: ﴿عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿مَكَانَاتِكُمْ﴾ على الجمع^(٢).

[٢٥٢/ب] قال ابن قتيبة: أي: على موضعكم، يقال: مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة^(٣).

وقال الزجاج: اعملوا على تمكنكم.

قال: ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه. تقول للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: كن على مكانتك^(٤).

قوله: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ أي: عامل ما أمرني به ربي.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿مَن تَكُونُ﴾ بالتاء.

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القراءات (١/ ٣٨٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٣)، والتيسير (١/ ١٠٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٣).

وقرأ حمزة، والكسائي: بالياء^(١). وكذلك خلافهم في «القصص».

ووجه التأنيث: للفظ، ووجه التذكير: أنه ليس بتأنيث حقيقي.

و﴿عَقِبَةُ الدَّارِ﴾: الجنة. و﴿الظَّالِمُونَ﴾ هاهنا: المشركون.

فإن قيل: ظاهر هذه الآية أمرهم بالإقامة على ما هم عليه، وذلك لا يجوز؟

فالجواب: أن معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد، فكأنه قال: أقيموا^(٢)

على ما أنتم عليه، إن رضيتم بالعذاب، قاله الزجاج^(٣).

فصل

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أن المراد بها التهديد؛ فعلى هذا هي محكمة.

والثاني: أن المراد بها ترك القتال، فعلى هذا هي منسوخة بآية السيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا

فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا

يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا

يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ [الأنعام: ١٣٦].

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٧٠)، والحجّة (٣/ ٤٠٨)، والتيسير (١/ ١٠٨).

(٢) من قوله: (أن معنى هذا الأمر)... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢/ ٢٩٤).

قوله: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِثًا ذَرَأً﴾.

قال ابن قتيبة: ﴿ذَرَأً﴾ بمعنى خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾ وهو الزَّرْع ﴿وَالْأَنْعَمِ﴾: الإبل والبقر والغنم، وكانوا إذا زرعوا، خطُّوا خطًّا، فقالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا، فإذا حصدوا ما جعلوه لله، فوقع منه شيء فيما جعلوه لآلهتهم، تركوه وقالوا: هي إليه محتاجة، وإذا حصدوا ما جعلوه لآلهتهم، فوقع منه شيء في مال الله، أعادوه إلى موضعه. وكانوا يجعلون من الأنعام شيئاً لله؛ فإذا ولدت إنثاء مِثًّا أكلوه، وإذا ولدت أنعام آلهتهم مِثًّا عظموه فلم يأكلوه^(١).

وقال الزَّجَّاج: معنى الآية: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِثًا ذَرَأً مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَمِ نَصِيبًا﴾ وجعلوا شركائهم نصيباً، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لِسُرَّكَيْنَا﴾، فدلَّ بالإشارة إلى النصيبين على نصيب الشُّركاء، وكانوا إذا زكا ما لله، ولم يزك ما لشركائهم، ردُّوا الزَّكَاةَ على أصنامهم، وقالوا: هذه أحوج، والله غنيٌّ، وإذا زكا ما للأصنام، ولم يزك ما لله، أقرُّوه على ما به^(٢).

قال المفسِّرون: وكانوا يصرفون ما جعلوا لله إلى الضُّيفان والمساكين.

فمعنى قوله: ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى هؤلاء. ويصرفون نصيب آلهتهم في الزَّرْع إلى النِّفَقَةِ على خُدَّامها.

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

فأما نصيبها في الأنعام ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان للنفقة عليها أيضًا.

والثاني: أنهم كانوا يتقربون به، فيذبحونه لها.

والثالث: أنه البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. [٢٥٣/١]

وقال الحسن: كان إذا هلك ما لأوثانهم غريموه، وإذا هلك ما لله لم يغرموه^(١).

وقال ابن زيد: كانوا لا يأكلون ما جعلوه لله حتى يذكروا عليه

اسم أوثانهم، ولا يذكرون الله على ما جعلوه للأوثان^(٢).

فأما قوله: ﴿بِرَّعَمِهِمْ﴾

فقرأ الجمهور: بفتح الزَّاي.

وقرأ الكسائي، والأعمش: بضمِّها^(٣).

وفي الزَّعم ثلاث لغات:

ضم الزَّاي، وفتحها، وكسرها. ومثله: السُّقْط، والسَّقْط، والسَّقْط^(٤)،

والفَتْكَ والفُتْكَ، والفِثْكَ، والزَّعم، والزَّعم، والزَّعم.

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٧٤).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٠)، والحجَّة (٣/ ٤٠٩)، والتَّيسير (١/ ١٠٧).

(٤) ليست في (ر).

قال الفراء: فتح الزاي في الزعم، لأهل الحجاز وضمها لأسد وكسرها لبعض قيس فيما يحكي^(١) الكسائي^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُزْذَوْهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ﴾ أي: ومثل ذلك الفعل القبيح فيما قسموا بالجهل زين.

قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مستأنفاً، غير مشارٍ به إلى ما قبله، فيكون المعنى: وهكذا زين.

وقرأ الجمهور: ﴿زَيْنٌ﴾ بفتح الزاي والياء، ونصب اللام من ﴿قَتَلَ﴾، وكسر الدال من ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾، ورفع «الشركاء». ووجه هذه القراءة ظاهر.

وقرأ ابن عامر: بضم زاي «زُين»، ورفع اللام^(٣)، ونصب الدال من «أولادهم»، وخفض «الشركاء».

قال أبو علي: ومعناها: قتل شركائهم أولادهم؛ ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهذا قبيح، قليل في الاستعمال^(٤).

(١) في (ف)، و(ر): (حكي).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/٣٥٦).

(٣) يعني: اللام من (قتل).

(٤) انظر: الحجة (٣/٤٠٩-٤١٠)، والتيسير (١/١٠٧).

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلمي، والحسن: «زَيْن» بالرفع، «قَتْلُ» بالرفع أيضًا، «أولادهم» بالجر، «شركاؤهم» رفعًا^(١).

قال الفراء: رفع القتل إذا لم يسمَّ فاعله، ورفع الشركاء بفعل نواه، كأنه قال: زَيْنه لهم شركاؤهم^(٢).

وكذلك قال سيبويه في هذه القراءة كأنه قيل: مَنْ زَيْنه؟ فقال: شركاؤهم.

قال مَكِّي بن أبي طالب: وقد روي عن ابن عامر أيضًا أنه قرأ بضم الزاي، ورفع اللام، وخفض الأولاد والشركاء؛ فيصير الشركاء اسمًا للأولاد، لمشاركتهم للأباء في النسب والميراث والدين^(٣).

وللمفسرين في المراد بشر كائهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الشياطين، قاله الحسن، ومجاهد، والسُّدي.

والثاني: شركاؤهم في الشرك، قاله قتادة.

والثالث: قوم كانوا يخدمون الأوثان، قاله الفراء، والزَّجَّاج^(٤).

والرَّابع: أنهم الغواة من النَّاس، ذكره الماوردي. وإنما أضيف الشركاء إليهم، لأنهم هم الذين اختلقوا ذلك وزعموه.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦)، عن علي بن أبي طالب، وفي التَّحْصِيل (١/ ٦٨٠) عن الحسن، والسُّلمي.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٨).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٥٤).

وفي الذي زَيَّنُوهُ لَهُمْ مِنْ قَتْلِ أَوْلَادِهِمْ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ وَأَدِ الْبَنَاتِ أَحْيَاءَ خِيفَةَ الْفَقْرِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

والثَّانِي: أَنَّهُ كَانَ يَحْلِفُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ إِنْ وُلِدَ لَهُ كَذَا وَكَذَا غُلَامًا أَنْ

[٢٥٣/ب] يَنْحَرُ أَحَدَهُمْ، كَمَا حَلَفَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ فِي نَحْرِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ، وَمُقَاتِلٌ^(١).

قَوْلُهُ: ﴿لِيُرْذُوهُمْ﴾ أَيُّ: لِيَهْلِكُوهُمْ.

وفي هذه اللَّامِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهَا لَامٌ «كِي».

والثَّانِي: أَنَّهَا لَامُ الْعَاقِبَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ {الْقَصَصُ: ٨}

أَيُّ: آلَ أَمْرِهِمْ إِلَى الرَّدَى، لَا أَنَّهُمْ قَصَدُوا ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: ﴿وَلَيْسَلِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أَيُّ: لِيَخْلُطُوا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِيُدْخِلُوا عَلَيْهِمُ الشُّكَّ فِي دِينِهِمْ، وَكَانُوا عَلَى دِينِ

إِسْمَاعِيلَ، فَرَجَعُوا عَنْهُ بِتَزْيِينِ الشَّيَاطِينِ^(٢).

قَوْلُهُ: ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا دَفَنُوا بَنَاتِهِمْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِذَلِكَ

فَقَالَ: ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أَيُّ: يَكْذِبُونَ وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ، فَهُوَ مُحْكَمٌ.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٢).

(٢) أورده الواحدي في تفسيره (٢/ ٣٢٨).

وقال قوم: مقصوده ترك قتالهم، فهو منسوخ بآية السيف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٨).

قوله: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ﴾.

«الحرث»: الزرع، و«الحجر»: الحرام، والمعنى: أنهم حرّموا أنعامًا وحرثًا جعلوه لأصنامهم.

قال ابن قتيبة: وإنما قيل للحرام: حجر، لأنه حُجر على الناس أن يصيبوه^(١).
وقرأ الحسن، و قتادة: «حُجر» بضم الحاء^(٢).

قال الفرّاء: يقال: حَجَر، وحُجِر، بكسر الحاء وضمّها، وهي في قراءة ابن مسعود: «حَرْجُ»^(٣)، مثل: «جذب» و«جبد»^(٤).

وفي هذه الأنعام التي جعلوها للأصنام قولان:

أحدهما: أنها البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦١).

(٢) في إعراب القرآن؛ للتخّاس (٢/ ٣٤)، والتّحصيل؛ للمهدوي (١/ ٦٨٠)، وزاد أبا رجاء، والكمال (١/ ٥٤٨) وزاد عبد الوهاب، عن أبي عمرو.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) أبي بن كعب فقط، وفي المحتسب (١/ ٢٣١)، والمحرّر الوجيز (٢/ ٣٥١) أبي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير، والأعمش، وعكرمة، وعمرو بن دينار.

(٤) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٣).

والثاني: أنها الذبائح [التي] ^(١) للأوثان ^(٢)، وقد سبق ذكرهما.

قوله: ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ هو كقولك: لا يذوقها إلا من نريد.

وفيمن أطلقوا له تناولها قولان:

أحدهما: أنهم منعوا منها النساء، وجعلوها للرجال، قاله ابن السائب.

والثاني: عكسه، قاله ابن زيد.

قال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن هذا التحريم زعم منهم، لا حجة فيه ولا برهان ^(٣).

وفي قوله: ﴿وَأَنْعَمُ حَرَمْتُ ظُهُورَهَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحام، قاله ابن عباس.

والثاني: البحيرة، كانوا لا يحججون عليها، قاله أبو وائل.

والثالث: البحيرة، والسائبة، والحام، قاله السدي.

قوله: ﴿وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

هي قربان آلهتهم، يذكرون عليها اسم الأوثان خاصة.

وقال أبو وائل: هي التي كانوا لا يحججون عليها ^(٤).

(١) من (ر).

(٢) في (ر): (الأوثان).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٥٨٢).

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٥٨٣/٩) من طريق ابن جُرَيْج، به.

قوله: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾.

قرأ الجمهور: «خَالِصَةٌ» على لفظ التَّأْنِيثِ^(١).

وفيهما أربعة أوجه:

أحدها: أنه إنما أُثِّتَ^(٢)، لأن الأنعام مؤنثة، وما في بطونها مثلها،
قاله الفراء^(٣).

والثاني: أن معنى «ما» التَّأْنِيثُ، لأنها في معنى الجماعة، فكأنه قال:
جماعة ما في بطون هذه الأنعام خالصة، قاله الزَّجَّاجُ^(٤).

والثالث: أن الهاء دخلت للمبالغة في الوصف، كما قالوا: «عَلَّامة» و«نَسَّابة».

والرابع: أنه أُجْرِيَ مجرى المصادر التي تكون بلفظ التَّأْنِيثِ عن الأسماء
المذكَّرة، كقولك: عطاؤك عافية، والرُّخصُ نعمة، ذكرهما ابن الأنباري.

وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والضَّحَّاك، والأعمش، وابن أبي
عبلة: «خالِصٌ» بالرفع، من غير هاء^(٥).

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ١٣)، والتيسير (١/ ١٠٩).

(٢) في (ر): (أثبت).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن ابن عباس، وفي المحتسب (١/ ٢٣٢) عن ابن
عباس وابن مسعود والأعمش بخلاف، وفي إعراب القرآن (٢/ ٣٤) عن الأعمش،
وفي التَّحْصِيلِ (١/ ٦٨١) ابن مسعود، وابن عباس.

قال الفرّاء: وإنما ذُكِرَ لتذكير «ما»^(١).

وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وعكرمة، وابن يعمر: «خالصة» برفع الصاد والهاء على ضمير مذكّر^(٢).

قال الزّجاج: والمعنى: ما خلص حيّاً^(٣).

وقرأ قتادة: «خالصة» بالنّصب^(٤).

فأما «الذكور» فهم الرّجال، و«الأزواج»: النّساء.

قوله: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً﴾.

قرأ الأكثرون: ﴿يَكُنْ﴾ بالياء، ﴿مَيِّتَةً﴾ بالنّصب، وذلك مردودٌ على لفظ «ما». والمعنى: وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة.

وقرأ ابن كثير: ﴿يَكُنْ﴾ بالياء، «ميتة» بالرفع.

وافقه ابن عامر في رفع «الميتة» غير أنه قرأ: «تكن» بالتاء. والمعنى: وإن تحدث وتقع؛ فجعل «كان»: تامة لا تحتاج إلى خبر.

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٨).

(٢) ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦)، والتّحصيل (١/ ٦٨١)، وفي المحتسب (١/ ٢٣٢) ابن عباس بخلاف، والزّهري، والأعمش، وأبو طالوت، وفي الكامل (١/ ٥٤٩) قرأ الشيزري، والأنطاكي عن أبي جعفر، والأصمعي عن نافع، وابن مقسّم، وأبو حيوة.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

(٤) في المحتسب (١/ ٢٣٢)، ابن عباس بخلاف، والأعرج، وقاتدة، وسفيان بن حسين، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن الزّهري، وفي التّحصيل (١/ ٦٨١) قاتدة وابن هرمز.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتاء، «ميتة» بالنصب^(١).
 والمعنى: وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة.
 قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ يعني الرّجال والنساء.
 ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾

قال الرّجاج: أراد جزاء وصفهم الذي هو كذب^(٢).
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا
 رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].
 قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾

وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قتلوا» بالتشديد^(٣).
 قال ابن عباس: نزلت في ربيعة، ومضر، والذين كانوا يدفنون
 بناتهم أحياء في الجاهلية من العرب^(٤).
 وقال قتادة: كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم بنته مخافة السّبي
 والفاقة، ويغذّو كلبه^(٥).

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٧٠-٢٧١)، والحجة (٣/ ٤١٤-٤١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٧١)، والحجة (٣/ ٤١٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٤).

(٤) في الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ١٩٦) بلا نسبة.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (٩/ ٥٩٢)، وابن أبي حاتم (٧٩٤٣) في تفسيرهما من طريق يزيد
 بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، به، بنحوه.

قال الزَّجَّاج: وقوله: «سَفْهًا» منصوب على معنى اللام. تقديره: للسَّفه تقول: فعلت ذلك حذر الشَّرِّ^(١).

وقرأ ابن السَّمِيع، والجَحْدَرِي، ومعاذ القارِي: «سُفْهَاء» برفع [٢٥٤/ب] السَّين وفتح الفاء والهمزة بالمدِّ والنَّصب والهمز^(٢).

قوله: ﴿يَغْيِرْ عَلِيمٌ﴾.

أي: كانوا يفعلون ذلك للسَّفه من غير أن أتاهم علم في ذلك، وحرَّموا ما رزقهم الله من الأنعام والحَرْث، وزعموا أن الله أمرهم بذلك.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ ۖ وَلَا تَسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض، فانتشر مما يعرَّش، كالكرم، والقرع، والبطيخ. وغير معروشات: ما قام على ساق، كالنَّخل، والزَّرع، وسائر الأشجار.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦)، والبحر المحيط (٤/ ٦٦٣) عن البياني.

والثاني: أن المعروشات: ما أنبتة الناس. وغير معروشات: ما خرج في البراري والجبال من الثمار، رُويَا عن ابن عباسٍ.

والثالث: أن المعروشات، وغير المعروشات: الكرم، منه ما عُرِّشَ، ومنه ما لم يُعَرِّشَ، قاله الضَّحَّاك.

والرَّابِع: أن المعروشات: الكروم التي قد عُرِّشَ عنبها، وغير المعروشات: سائر الشجر الذي لا يُعَرِّشَ، قاله أبو عبيدة^(١). و«الأكلُ»: الثمر.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ مُتَشَكِّهًا﴾ قد سبق تفسيره.

قوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾.

هذا أمر إباحة وقيل: إنما قدَّم الأكل لينهى عن فعل الجاهلية في زروعهم من تحريم بعضها.

قوله: ﴿وَمَا أَثُوا حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الحاء، وهي لغة أهل نجد، وتميم.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكسائي: بكسر ها، وهي لغة أهل الحجاز، ذكره الفراء^(٢).

(١) انظر: مجاز القرآن (١/٢٠٧).

(٢) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/٦٣)، والسبعة (١/٢٧١)، والحجة (٣/٤١٦)، والتيسير (١/١٠٧).

وفي المراد بهذا الحق قولان:

أحدهما: أنه الزكاة، روي عن أنس بن مالك، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وطاوس، وجابر بن زيد، وابن الحنفية، وقتادة في آخرين. فعلى هذا، الآية محكمة.

والثاني: أنه حق غير الزكاة فرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر، قاله عطاء، ومجاهد.

وهل نسخ ذلك، أم لا؟

إن قلنا: إنه أمر وجوب، فهو منسوخ بالزكاة، وإن قلنا: إنه أمر استحباب، فهو باقي الحكم.

فإن قيل: هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد؟

فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام من حضر من الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد، وإن قلنا: إنه الزكاة؛ فقد ذكرنا عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن الأمر بالإيتاء محمول على التخيل، لأن صدقتها تجب يوم الحصاد. فأما الزرع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد؛ فيؤخر إلى زمان التنقية، ذكره بعض السلف.

والثاني: أن اليوم ظرف للحق، لا للإيتاء؛ فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية.

[٢٥٥/أ] والثالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه، إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه. وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحق يلزم بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى.

وفي قوله: ﴿وَلَا تُشْرِفُوا﴾ ستة أقوال:

أحدها: أنه تجاوز المفروض في الزكاة إلى حدٍّ يُحِفُّ به، قاله أبو العالية، وابن جُرَيْج.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس صَرَمَ خمسمائة نخلة، ثم قسمها في يوم واحد، فأمسى ولم يترك لأهله شيئاً، فكره الله تعالى له ذلك، فنزلت: ﴿وَلَا تُشْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١).

والثاني: أن الإسراف: منع الصدقة الواجبة، قاله سعيد بن المسيب.

والثالث: أنه الإنفاق في المعصية، قاله مجاهد، والزُّهري.

والرابع: أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام، قاله عطية، وابن السائب.

والخامس: أنه خطاب للسلطان لئلا يأخذ فوق الواجب من الصدقة، قاله ابن زيد.

والسادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة، قاله ابن بحر.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥١٦/٩) من قول ابن جُرَيْج.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَبْغُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

قوله: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ﴾ هذا نسق على ما قبله، والمعنى: أنشأ جنات، وأنشأ حمولة وفرشاً.

وفي ذلك خمسة أقوال:

أحدها: أن «الحمولة»: ما حمل من الإبل، و«الفرش»: صغارها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وابن قتيبة^(١).

والثاني: أن «الحمولة»: ما انتفعت بظهورها، و«الفرش»: الرّاعية، رواه الضّحّاك عن ابن عبّاس^(٢).

والثالث: أن^(٣) «الحمولة»: الإبل، والخيّل، والبغال، والحمير، وكل شيء يُحمّل عليه. و«الفرش»: الغنم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبّاس. والرّابع: «الحمولة»: من الإبل. و«الفرش»: من الغنم، قاله الضّحّاك.

والخامس: «الحمولة»: الإبل، والبقر. و«الفرش»: الغنم، وما لا يحمل عليه من الإبل، قاله قتادة.

وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «حمولة» بضم الحاء^(٤).

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٢).

(٢) في (ر): (عن ابن عمران)!

(٣) ليست في (ف)، و(ر).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٦) عن عيسى، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥١٧) =

قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: لا تحرموا ما حرمتكم مما جرى ذكره، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طرقة^(١).

قال: وقوله: ﴿ثُمَّ نَبِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾. والزَّوْج في اللغة: الواحد الذي يكون معه آخر.

قلت: وهذا كلام يفتقر إلى تمام، وهو أن يقال: الزوج: ما كان معه آخر^(٢) من جنسه، فحينئذ يقال لكل واحد منهما: زوج.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نَبِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلُومًا لِّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِيُّنِي بَعِيرٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٢﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلُومًا لِّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

قوله: ﴿مِّنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ﴾.

﴿الصَّانِ﴾^(٣): ذوات الصُّوف من الغنم، و﴿الْمَعْرِ﴾: ذوات الشَّعر منها.

= ويقرأ بالضم، وهو جمع حمل، وفيه حذف مضاف تقديره: ومن الأنعام ذوات حمولة.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٩٨).

(٢) من قوله: (قلت: وهذا كلام يفتقر) ... إلى هنا، ليس في (ر).

(٣) ليست في (ر).

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: من «المَعَز» بفتح العين.

وقرأ نافع، وحزمة، وعاصم، والكِسَائِي: بتسكين العين^(١).

والمراد بـ ﴿الْأُنثِيَّيْنَ﴾: الذكر والأنثى.

﴿قُلْ أَلَذَّكَرَيْنِ﴾ من الضَّأْن والمعز^(٢) حَرَّمَ الله عليكم أم [٢٥٥/ب]

﴿الْأُنثِيَّيْنَ﴾ منها؟ المعنى: فإن كان ما حَرَّمَ الله عليكم الذَّكَرَيْنِ. فكل الذُّكُور حرام، وإن كان حَرَّمَ الأنثيين، فكلُّ الإناث حرام، وإن كان حَرَّمَ ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فهي تشتمل على الذُّكُور، وتشتمل على الإناث^(٣)، وتشتمل على الذُّكُور والإناث، فيكون كلُّ جنين حرامًا.

وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ألْحَقَّكُمْ التَّحْرِيمَ مِنْ جِهَةِ الذَّكَرَيْنِ، أم من جهة الأنثيين؟ فإن قالوا: من جهة الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ عليهم كلُّ ذكر، وإن قالوا: من جهة الأنثيين، حرمت عليهم كلُّ أنثى، وإن قالوا: من جهة الرَّحِمِ، حَرَّمَ عليهم الذَّكَرَ والأنثى.

وقال ابن جرير الطَّبْرِي: إن قالوا: حَرَّمَ الذَّكَرَيْنِ، أوجبوا تحريم كلِّ ذكر من الضَّأْن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض الذُّكُور منها وظهوره، وفي ذلك فساد دعواهم. وإن قالوا: حَرَّمَ الأنثيين، أوجبوا تحريم لحوم كلِّ أنثى من ولد الضَّأْن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم

(١) انظر: السُّبُعَة (١/ ٢٧١)، والحجَّة (٣/ ٤١٨)، والتَّيْسِير (١/ ١٠٨).

(٢) ليست في (ر).

(٣) قوله: (وتشتمل على الإناث)، ليس في (ر).

بعض ذلك وظهوره. وإن قالوا: ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناتها^(١).

قال المفسرون: فاحتجَّ الله تعالى عليهم بهذه الآية والتي بعدها، لأنهم كانوا يجرِّمون أجناساً من النعم^(٢)، بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال.

وفي قوله: ﴿الَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾.

إبطال لما حرَّموه من البحيرة، والسَّائبة، والوصيلة، والحام.

وفي قوله: ﴿أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ إبطال قولهم: ﴿مَا فِي بَطْنٍ هَذِهِ الْأَنْفَعِ خَالِصَةٌ لِّذِكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾.

قوله: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾.

قال الزجاج: المعنى: فسِّروا ما حرَّمتم بعلم، أي: أنتم لا علم لكم، لأنكم لا تؤمنون بكتاب^(٣).

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: هل شاهدتم الله قد حرَّم هذا، إذا كنتم

لا تؤمنون برسول؟.

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٩/٦٢٥).

(٢) في الأصل: (الغنم)، والمثبت من (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢/٢٩٩).

قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

قال ابن عباس: يريد عمرو بن لُحَيٍّ، ومن جاء بعده^(١).

والظالمون هاهنا: المشركون.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزْيِرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

قوله: ﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾.

نبههم بهذا على أن التحريم والتحليل، إنما يثبت بالوحي.

وقال طاوس^(٢)، ومجاهد^(٣): معنى الآية: لا أجد محرماً مما كنتم تستحلون في الجاهلية إلا هذا.

والمراد بالطاعم: الآكل.

﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إلا أن يكون المأكول ميتة.

قرأ ابن كثير، وحمزة: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾ بالياء، ﴿مَيْتَةً﴾ نصباً.

وقرأ ابن عامر: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ بالتاء، «ميتة» بالرفع^(٤). على معنى: [أ/٢٥٦] إلا أن تقع ميتة، أو تحدث ميتة.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٣١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٩/ ٦٣٣)، وابن أبي حاتم (٨٠٠١) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ٦٣٣).

(٤) انظر: السبعة (١/ ١٩٣)، والحيجة (٣/ ٤٢٢)، والتيسير (١/ ١٠٨).

﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ قال قتادة: إنما حُرِّمَ المسفوح. فأما اللحم إذا خالطه دم، فلا بأس به^(١).

وقال الزَّجَّاج: المسفوح: المصْبُوب^(٢).

وكانوا إذا ذَكَّوْا يأكلون الدَّم كما يأكلون اللَّحْم.

و«الرَّجْس»: اسم لما يُسْتَقْدَر، والعذاب^(٣).

﴿أَوْ فَسَقًا﴾ المعنى: أو أن يكون المأكول فسقًا.

﴿أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: رُفِعَ الصَّوْت على ذبحه باسم غير الله، فُسِّمِيَ ما ذُكِر عليه غير اسم الله فسقًا.

و«الفسق»: الخروج من الدين.

فصل

اختلف علماء النَّاسِخِ والمَنْسُوخِ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها محكمة.

ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها خبر، والخبر لا يدخله النَّسخ.

(١) رواه عبد الرزاق (٢/ ٧٠)، وابن جرير الطَّبري (٩/ ٦٣٤)، وابن أبي حاتم (٨٠١٣) في تفاسيرهم، من طريق معمر، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٠).

(٣) في (ر): (وللعذاب).

والثاني: أنها جاءت جواباً عن سؤال سألوه؛ فكان الجواب بقدر السؤال، ثم حُرِّم بعد ذلك ما حُرِّم.

والثالث: أنه ليس في الحيوان محرَّم إلا ما ذكر فيها.

والقول الثاني: أنها منسوخة بما ذكر في «المائدة» من المنخقة والموقوذة، وفي السنة من تحريم^(١) الحُمُر الأهليَّة، وكلَّ ذي ناب من السَّبَاع، ومخلب من الطَّير.

وقيل: إن آية «المائدة» داخله في هذه الآية، لأن تلك الأشياء كلها ميتة.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْأَنْعَامِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾.

وقرأ الحسن، والأعمش: «ظفر» بسكون الفاء^(٢).

وهذا التحريم تحريم بلوى وعقوبة.

وفي «ذي الظفر» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل، والنعام، والإوز، والبط، قاله ابن عباس، وابن جُبَيْر، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي.

(١) قوله: (من تحريم)، ليس في (ر).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٧)، والتَّحْصِيل؛ للمهدوي (١/ ٦٨٢) عن الحسن، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٦٧٧) أبي بن كعب، والأعرج.

والثاني: أنه^(١) الإبل فقط، قاله ابن زيد.

والثالث: كلُّ ذي حافر من الدَّوَابِّ، ومخلب من الطَّيْرِ، قاله ابن قتيبة.

قال: وسمي الحافر ظفراً على الاستعارة، والعرب تجعل الحافر والأظلاف موضع القدم، استعارة.

وأنشدوا^(٢) [من الطويل]:

سَأْمَنْعُهَا أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تُشَقِّ

أراد قدميه، وإنما الأظلاف للشَّاء والبقر^(٣).

قال ابن الأنباري: الظُّفْر هاهنا، يجري مجرى الظُّفْر للإنسان، وفيه ثلاث لغات أعلاهن: ظُفْر، ويقال: ظُفْر، وأظفور^(٤).

وقال الشاعر^(٥) [من الطويل]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ أَذْرَكَ مَنْ مَضَى فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ ذَا جَنَاحٍ وَذَا ظُفْرٍ

(١) ليست في (ف).

(٢) البيت لِغُفَّانِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٩ / ٢٢٩)، وَسَمَطُ اللَّالِي (ص: ٧٤٦)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (٢٤ / ١١٥)، وَبِلَانِسْبَةِ فِي جَهْرَةِ اللُّغَةِ (ص: ١٣١٢)، وَأَمَالِي الْقَالِي (٢ / ١٢٠).

(٣) انظر: تَأْوِيلُ مَشْكَلِ الْقُرْآنِ (١ / ٩٩).

(٤) انظر: الْمَذْكَرُ وَالْمَوْثُ (١ / ٣٣٨).

(٥) البيت بِلَانِسْبَةِ فِي الْمَذْكَرِ وَالْمَوْثُ (١ / ٣٣٨).

وقال الآخر^(١) [من الطويل]:

لَقَدْ كُنْتُ ذَا نَابٍ وَظُفْرِ عَلَى الْعِدَى فَأَصْبَحْتُ مَا يَخْشَوْنَ نَابِي وَلَا ظُفْرِي

وقال الآخر^(٢) [من الطويل]:

مَا بَيْنَ لُقْمَتِهِ الْأُولَى إِذَا انْحَدَرَتْ وَبَيْنَ أُخْرَى تَلِيهَا قَيْدُ أَظْفُورِ

[٢٥٦/ب]

وفي شحوم البقر والغنم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه إنما حُرِّمَ من ذلك شحوم الثُّرُوبِ^(٣) خاصة، قاله قتادة.

والثاني: شحوم الثُّرُوبِ والكُلَى، قاله السُّدِّي، وابن زيد.

والثالث: كُلُّ شحم لم يكن مختلطاً بعظم، ولا على عظم، قاله ابن جُرَيْج.

وفي قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما علق بالظَّهَرِ من الشُّحُومِ، قاله ابن عَبَّاسٍ.

والثاني: الأَلْيَةِ، قاله أبو صالح، والسُّدِّي.

والثالث: ما علق بالظَّهَرِ والجنب من داخل بطونهما، قاله قتادة.

(١) البيت للعتبي كما في الدرّ الفريد (٢٨٢/٥)، والتذكرة الحمدونية (٢٧٤/٤)، وفي الحماسة البصرية (٢٤٠/١) لطريف أبو وهب العبي.

(٢) البيت لحميد بن الأرقط في العقد الفريد (٢٠٨/٧)، وبلا نسبة في المذكر والمؤنث (٣٣٩/١)، وجهرة اللغة (١١٩٤/٢).

(٣) الثُّرُوب: جمع ثَرْب: وهي الشَّحْمُ الرَّقِيقُ الذي يغشى الكرش والأمعاء من الذَّبَائِح والأنعام. وانظر: المصباح المنير؛ للفيومي (٨١/١).

فأما ﴿الْحَوَايَا﴾ فللمفسرين فيها أقوال تتقارب معانيها.

قال ابن عباس، والحسن، وابن جُبَيْر، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي، وابن قُتَيْبَة: هي المَبَاعِرُ^(١).

وقال ابن زيد: هي بنات اللَّبن، وهي المرباض التي تكون فيها الأمعاء^(٢).

وقال الفرَّاء: الحوايا: هي المَبَاعِرُ، وبنات اللَّبن^(٣).

وقال الأصمعي: هي بنات اللَّبن، واحدها: حاوية، وحاوية، وحاوية^(٤).

قال الشَّاعر^(٥): [من الرجز]:

أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَرَى مُعَاوِيَةَ الْجَا حِظَّ الْعَيْنِ الْعَظِيمِ الْحَاوِيَةَ

وقال الآخر^(٦): [من الطويل]:

كَأَنَّ نَفِيقَ الْحَبِّ فِي حَاوِيَائِهِ^(٧) فَحِجُّ الْأَفَاعِي أَوْ نَفِيقُ الْعَقَارِبِ

(١) في (ر): (الباعر).

(٢) رواه ابن جرير الطُّبري (٦٤٦/٩)، وابن أبي حاتم (٨٩٣٩) في تفسيرهما.

(٣) انظر: معاني القرآن (٣٦٣/١).

(٤) انظر: الأضداد؛ لابن الأنباري (٢٢٢/١).

(٥) البيت لعلي بن أبي طالب في ديوانه (ص: ٢٠٨)، ولسان العرب (٢٠٩/١٤)، وكتاب العين (٣/٣١٨)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص: ٢٣١)، والمخصص (٣٢/٢).

(٦) البيت لجرير في ذيل ديوانه (ص: ١٠٢١)، ولسان العرب (٣٦٠/١٠)، وديوان الأدب (٣/١٤٣)، ومقاييس اللغة (٢/١١٢)، ومجمل اللغة (٤/٥٤)، والمخصص (١٦/٧٤).

(٧) في الأصل و(ج): (حاوياته) بالتاء، والمثبت من (ر) وغيرها، ومصادر البيت.

وقال أبو عبيدة: الحوايا اسم لجميع ما تحوى من البطن، أي: ما استدار منها^(١).

وقال الزجاج: الحوايا: اسم لجميع ما تحوى من الأمعاء، أي: استدار^(٢).

وقال ابن جرير الطبري: الحوايا: ما تحوى من البطن. فاجتمع واستدار،

وهي بنات اللبن، وهي المباعر، وتسمى: المرباض، وفيها الأمعاء^(٣).

قوله: ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه شحم البطن والألية، لأنها على عظم، قاله السدي.

والثاني: كل شحم في القوائم، والجنب، والرأس، والعينين، والأذنين،

فهو مما اختلط بعظم، قاله ابن جريج^(٤).

واتفقوا على أن ما حملت ظهورهما حلال، بالاستثناء من التحريم.

فأما ما حملت الحوايا، أو ما اختلط بعظم، ففيه قولان:

أحدهما: أنه داخل في الاستثناء، فهو مباح، والمعنى: وأبيح لهم ما

حملت الحوايا من الشحم، وما اختلط بعظم، وهذا قول الأكثرين.

(١) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٥١١/٢)، وغريب الحديث (٣/٣٨٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠١/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦٤٣/٩).

(٤) في (ف): (ابن جرير).

والثاني: أنه نسق على ما حرّم، لا على الاستثناء. فالمعنى: حرّمنا عليهم شحومهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت الظهور، فإنه غير محرّم، قاله الزّجاج^(١).

فأما «أو» المذكورة هاهنا، فهي بمعنى الواو، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ﴾ أي: ذلك التّحريم عقوبة لهم على بغيهم. وفي بغيهم قولان:

أحدهما: أنه قتلهم الأنبياء، وأكلهم الرّبا.

والثاني: أنه تحريم ما أحلّ لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرْدُ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [١٣٧] [الأنعام: ١٤٧].

قوله: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ [٢٥٧/أ]

قال ابن عباس: لما قال رسول الله ﷺ للمشرّكين: «هَذَا مَا أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعَلَى الْيَهُودِ»، قالوا: فإنك لم تصب، فنزلت هذه الآية^(٢).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠١ / ٢).

(٢) لم نقف عليه.

وفي المكذبين قولان:

أحدهما: المشركون، قاله ابن عباس.

والثاني: اليهود، قاله مجاهد.

والمراد بذكر الرحمة الواسعة، أنه لا يعجل بالعقوبة. والبأس: العذاب.

وفي المراد بالمجرمين قولان:

أحدهما: المشركون.

والثاني: المكذبون.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي: إذا لزمتهم الحجة، وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾، فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل، فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه، وإنما قالوا ذلك مستهزئين، ودافعين للاحتجاج عليهم، فيقال لهم: لم تقولون عن مخالفكم: إنهم ضالون، وإنما هم على المشيئة أيضاً؟ فلا حجة لهم؛ لأنهم تعلقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر، ومشية الله تعم جميع الكائنات، وأمره لا يعم مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر.

قوله: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

قال ابن عباس: أي: قالوا لرسولهم مثلما قال هؤلاء لك.

﴿حَقِّ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ أي: عذابنا.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرّمتم.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ لا اليقين، و«إن» بمعنى «ما».

و﴿تَخْرُصُونَ﴾: تكذبون.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٩)

[الأنعام: ١٤٩].

قوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾.

قال الزجاج: حجته البالغة: تبيينه أنه الواحد، وإرساله الأنبياء بالحجج المعجزة^(١).

قال السّدي: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يوم أخذ الميثاق^(٢).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٠) [الأنعام: ١٥٠].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠٢/٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٦١/١٠).

قوله: ﴿قُلْ هَلَمْ شُهِدَاءُكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: زعم سيبويه أن هَلَمْ: هاء ضُمَّت إليها «لَمْ»، وجعلتا كالكلمة الواحدة، فأكثر اللُّغات أن يقال: «هَلَمْ»: للواحد والاثنين والجماعة، بذلك جاء القرآن. ومن العرب من يثني ويجمع ويؤنث، فيقول للذكر: «هَلَمْ»، وللمرأة: «هَلْمِي»، وللأثنين «هَلْمَا»، وللثنتين: «هَلْمَا»، وللجماعة: «هَلْمُوا»، وللنِّسوة: «هَلْمُنَّ»^(١).

وقال ابن قُتَيْبَة: هَلَمْ، بمعنى: «تعال». وأهل الحجاز لا يثنونها ولا يجمعونها، وأهل نجد يجعلونها من «هَلَمَمْتُ»؛ فيثنون ويجمعون ويؤنثون، وتوصل باللام، فيقال: «هَلَمْ لَكَ»، «وهَلَمْ لَكِ»^(٢).

قال: وقال الخليل: أصلها «لَمْ»، وزيدت الهاء في أولها^(٣).

وخالفه الفرَّاء فقال: أصلها «هل» ضُم إليها «أَمْ»، والرَّفْعَة التي في اللام من همزة «أَمْ» لما تركت انتقلت إلى ما قبلها، وكذلك «اللَّهُمَّ» يرى أصلها: «يا الله أَمَّا بخير» فكثرت في الكلام، فاختلطت، وتركت [٢٥٧/ب] الهمزة^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٣٠٣).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/٢٩٥).

(٣) هَلَمْ: كلمة دعوة إلى شيء. التَّثْنِيَةُ والجمعُ والوحدان والتَّأْنِيثُ والتَّذْكِيرُ فيه سواء، إلا في لغة بني سعد فإنَّهم يَحْمِلُونَهُ على تَصْرِيفِ الْفِعْلِ، فيقولون: هَلْمَا وهَلْمُوا ونحو ذلك. انظر: العين (٤/٥٦).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/٢٠٣).

وقال ابن^(١) الأنباري: معنى «هَلُمَّ»: أَقْبِلْ، وأصله: «أُمَّ يَا رَجُل»، أي: «اقصد»، فضمُّوا «هل» إلى «أُمَّ» وجعلوهما حرفاً واحداً، وأزالوا «أُمَّ» عن التَّصْرِيفِ، وَحَوَّلُوا ضَمَّةَ هَمْزَةِ «أُمَّ» إِلَى اللَّامِ، وَأَسْقَطُوا الهمزة، فاتصلت الميم باللام^(٢). وإذا قال الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: «هَلُمَّ»، فأراد أن يقول: لا أفعل، قال: لا أَهْلُمَّ، ولا أَهْلُمُّ^(٣).

قال مجاهد: هذه الآية جواب قولهم: إن الله حَرَّمَ البحيرة، والسَّائِبَةَ^(٤).

قال مقاتل: ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ الحَرثُ والأنعام، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ أن الله حَرَّمَهُ ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: لا تصدِّق قولهم^(٥).
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ «ما» بمعنى «الذي».

وفي «لا» قولان:

أحدهما: أنها زائدة كقوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢].

(١) سقطت من (ر).

(٢) في (ر): (فانقلبت الميم واللام) بدلاً من قوله: (فاتصلت الميم باللام).

(٣) انظر: الزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ النَّاسِ (٢/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٩/ ٦٥٥)، وابن أبي حاتم (٨٠٥٣) في تفسيرهما.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٤).

والثاني: أنها ليست زائدة، وإنما هي نافية.

فعلى هذا القول، في تقدير الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون قوله: ﴿أَلَا تُشْرِكُوا﴾، محمولاً على المعنى، فتقديره: أتل عليكم أن لا تشركوا، أي: أتل تحريم الشرك.

والثاني: أن يكون المعنى: أوصيكم أن لا تشركوا، لأن قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحساناً، ذكرهما الزجاج^(١).

والثالث: أن الكلام تمّ عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾.

ثم في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنها إغراء، كقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فالتقدير: عليكم أن لا تشركوا، ذكره ابن الأنباري.

والثاني: أن يكون بمعنى: فرض عليكم، ووجب عليكم أن لا تشركوا.

وفي هذا الشرك قولان:

أحدهما: أنه ادّعاء شريك مع الله ﷻ.

والثاني: أنه طاعة غيره في معصيته.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ يريد دفن البنات أحياء ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ أي: من خوف فقر.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٤).

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: أن الفواحش: الزَّنا، وما ظهر منه: الإعلان به، وما بطن: الاستسار به، قاله ابن عباس، والحسن، والسُّدي.

والثاني: أن ما ظهر: الخمر، ونكاح المحرمات، وما بطن: الزَّنا، قاله سعيد بن جبَر، ومجاهد.

والثالث: أن ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزَّنا، قاله الضَّحَّاك.

والرَّابع: أنه عامٌ في الفواحش، وظاهرها: علانيتها، وباطنها: سرُّها، قاله قتادة.

والخامس: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب^(١)، ذكره الماوردي في تفسير هذا الموضع^(٢)، وفي تفسير قوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ {الأنعام: ١٢٠}[٣].

و﴿النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: نفس مسلم أو معاهد.

والمراد ﴿بِالْحَقِّ﴾: إذن الشرع.

(١) في (ر): (القلب).

(٢) انظر: النُّكت والعيون (١٨٦/٢).

(٣) النظر: النُّكت والعيون (١٦١/٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ
كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾
[الأنعام: ١٥٢].

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

إنها خصَّ مال اليتيم^(١)؛ لأن الطَّمَع فيه لقلة مراعيه وضعف مالكة أقوى.

وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته، قاله [٢٥٨/أ] ابن عباس، وابن زيد.

والثاني: أنه^(٢) التجارة فيه، قاله سعيد بن جبّير، ومجاهد، والضَّحَّاك، والسُّدِّي.

والثالث: أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله ابن السائب.

والرابع: أنه حفظه عليه، وتثميّره له، قاله الزَّجَّاج^(٣).

قال: و﴿حَتَّىٰ﴾ محمولة على المعنى؛ فالمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشدّه، فإذا بلغ أشدّه، فادفعوه إليه.

فأما «الأشدُّ» فهو استحكام قوة الشَّباب والسَّن.

(١) قوله: (إنها خصَّ مال اليتيم)؛ ليس في (ر).

(٢) ليست في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٣٠٥).

قال ابن قتيبة: ومعنى الآية: حتى يتناهى في النبات إلى حدِّ الرجال. يقال: بلغ أشده: إذا انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النقصان^(١).

وقال أبو عبيدة: «الأشدُّ» لا واحد له منه؛ فإن أكرهوا على ذلك، قالوا: شدَّ، بمنزلة^(٢): ضَبَّ، والجمع: أَضْبُ^(٣).

قال ابن الأنباري: وقال جماعة من البصريين: واحد الأشدِّ: شُدُّ، بضم الشين^(٤).

وقال بعض البصريين: واحد الأشدِّ: شِدَّةٌ، كقولهم: نعمة، وأنعم.

وقال بعض أهل اللغة: الأشدُّ: اسم لا واحد له.

وللمفسرين في «الأشدِّ» ثمانية أقوال:

أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه سعيد بن جبَّير عن ابن عباس.

والثاني: ما بين ثمانٍ عشرة سنة إلى ثلاثين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أربعون سنة، روي عن عائشة رضي الله عنها.

والرابع: ثمانٍ عشرة سنة، قاله سعيد بن جبَّير، ومقاتل.

والخامس: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة.

(١) في غريب القرآن (١/ ٢٥٤): «يتناهى في الثِّبَاتِ إلى حدِّ الرجال».

(٢) في (ر): (معنى).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٧٨).

(٤) انظر: المذكر والمؤنث (١/ ٥٩٦).

والسَّادس: أربع وثلاثون سنة، قاله سفيان الثوري.

والسَّابع: ثلاثون سنة، قاله السُّدي. وقال: ثم جاء بعد هذه الآية:
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦] فكأنه يشير إلى النسخ.

والثَّامن: بلوغ الحلم، قاله زيد بن أسلم، والشَّعبي، ويحيى بن
يعمر، وربيعه، ومالك بن أنس.

وهو الصَّحيح، ولا أظنُّ بالذين حكينا عنهم الأقوال التي قبله
فسَّروا هذه الآية بما ذكر عنهم، وإنما أظنُّ الذين جمعوا التَّفاسير، نقلوا
هذه الأقوال من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [يوسف: ٢٢] إلى هذا
المكان، وذلك نهاية الأشدِّ، وهذا ابتداء تمامه، وليس هذا مثل^(١) ذاك.

قال ابن جرير: وفي الكلام محذوف، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما
ظهر عما حُذف، لأن المعنى: حتى يبلغ أشده؛ فإذا بلغ أشده^(٢)، فأنستم
منه رشدًا، فادفعوا إليه ماله^(٣).

قال الشَّيخ^(٤): إن أراد بما ظهر ما ظهر في هذه الآية، فليس بصحيح،
وإنما استفدنا إيناس الرُّشد والابتلاء من آية أخرى^(٥).

(١) في (ر): (ابتداء).

(٢) قوله: (فإذا بلغ أشده)، ليس في (ر).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٦٦٤/٩).

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ر)، وفي (ف): (قال المصنّف).

(٥) وفي (ر)، وحاشية الأصل، جاءت هذه العبارة بطريقة أخرى، هكذا: (وهذا الذي ذكره
ابن جرير ليس بصحيح؛ لأنه ليس في الآية إيناس الرُّشد، وإنما استفيد من سورة=



قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي: أتموه ولا تنقصوا منه. [٢٥٨/ب]

﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: وزن الميزان.

و«القسط»: العدل.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما يسعها، ولا يضيق عنه.

قال القاضي أبو يعلى: لما كان الكيل والوزن يتعذر فيهما التحديد بأقل القليل، كُلفنا الاجتهاد في التحري، دون تحقيق الكيل والوزن.

قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾.

أي: إذا تكلمتم أو شهدتم، فقولوا الحق، ولو كان المشهود له أو^(١) عليه ذا قرابة.

و«عهد الله» يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به، وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره.

﴿ذَلِكَ وَمَنْكُمْ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتذكروه^(٢) وتأخذوا به.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «تذكرون» و«يذكرون»^(٣) و«يذكر الإنسان» و«أن يذكر» و«ليذكروا» مشدداً ذلك كله.

= «النساء» إيناس الرشد، وابتلاء اليتامى، فوجب حمل هذا المطلق على ذلك التقييد).

(١) قوله: (له أو)، ليس في (ر).

(٢) في (ر): (ليتذكروه).

(٣) في (ر): (ويتذكرون).

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم، وابن عامر كل ذلك بالتشديد، إلا قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ [مريم: ٦٧] فإنهم خففوه.

روى أبان، وحفص عن عاصم: «تذكرون» خفيفة الذال في جميع القرآن. قرأ حمزة، والكسائي: «يَذْكُرُونَ» مشدداً إذا كان بالياء، وخففاً إذا كان بالتاء^(١). قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: ﴿وَأَنَّ﴾ بفتح الألف مع تشديد النون^(٢).

قال الفراء: إن شئت جعلت «أن» مفتوحة بوقوع «أتل» عليها، وإن شئت جعلتها خفصاً، على معنى: ذلکم وصّاکم به، وبأن هذا صراطي مستقيماً^(٣).

وقرأ ابن عامر بفتح الألف أيضاً، إلا أنه خفف النون، فجعلها مخففة من الثقيلة، وحكم إعرابها حكم تلك.

وقرأ حمزة، والكسائي: بتشديد النون مع كسر الألف.

قال الفراء: وكسر الألف على الاستئناف^(٤).

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٧٢)، والحجّة (٣/ ٤٢٥)، والتيسير (١/ ١٠٨).

(٢) انظر: السبعة (١/ ٢٧٣)، والحجّة (٣/ ٤٣٥)، والتيسير (١/ ١٠٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦٤).

(٤) انظر: المصدر السابق.

وفي «الصَّراط» قولان:

أحدهما: أنه القرآن.

والثاني: الإسلام.

وقد بينا إعراب قوله: ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ آنفاً.

فأما ﴿السَّبِيلَ﴾.

فقال ابن عباس: هي الصَّلَوات^(١).

وقال مجاهد: البدع والشبهات^(٢).

وقال مقاتل: أراد ما حرَّموا على أنفسهم من الأنعام والحرث^(٣).

﴿فَفَرَّقَ بَيْنَهُم مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: فضلكم عن دينه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

قوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾.

(١) رواه ابن جرير الطبري (٩/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٨١٠٣) في تفسيرهما، من طريق عطية العوفي، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٩/ ٦٧٠)، وابن أبي حاتم (٨١٠٤) في تفسيرهما، من طريق شبل، عن ابن أبي نجيح، به، بنحوه.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٧).

قال الزَّجَّاج: «ثُمَّ» هاهنا للعطف على معنى التَّلاوة، فالمعنى: أتْل ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ، ثُمَّ أتْل عليكم ما آتاه الله موسى ^(١) ^(٢).

وقال ابن الأنباري: الذي بعد «ثُمَّ» مقدَّم على الذي قبلها في النِّية، والتَّقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ.

قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾.

في قوله: ﴿تَمَامًا﴾ قولان:

أحدهما: أنها كلمة متَّصلة بما بعدها، تقول: أعطيتك كذا تمامًا على

كذا، وتامًا لكذا، وهذا قول الجمهور. [١/٢٥٩]

والثاني: أن قوله: ﴿تَمَامًا﴾ كلمة قائمة بنفسها، غير متَّصلة بما بعدها، والتَّقدير: آتينا موسى الكتاب تمامًا، أي: في دفعة واحدة، لم نفرِّق إنزاله كما فرَّق إنزال القرآن، ذكره أبو سليمان الدَّمشقي.

وفي المشار إليه بقوله: ﴿أَحْسَنَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه الله ﷻ.

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: تمامًا على إحسان الله تعالى إلى أنبيائه، قاله ابن زيد.

والثاني: تمامًا على إحسان الله ﷻ إلى موسى.

(١) ليست في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٣٠٦).

وعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى «ما».

والقول الثاني: أنه إبراهيم خليل؛ فالمعنى: تمامًا للنعمة على إبراهيم الذي أحسن في طاعة الله تعالى؛ فكانت نبوة موسى نعمة على إبراهيم، لأنه من ولده، ذكره الماوردي^(١).

والقول الثالث: أنه كلُّ محسن من الأنبياء، وغيرهم.

وقال مجاهد: تمامًا على المحسنين، أي: تمامًا لكل محسن^(٢).

وعلى هذا القول، يكون «الذي» بمعنى «مَنْ»، و«على» بمعنى لام الجر، ومن هذا قول العرب: أتمَّ عليه، وأتمَّ له. قال الراعي^(٣) [من الوافر]:

رَعَتْهُ أَشْهُرًا وَخَلَا عَلَيْهَا

أي: لها.

قال ابن قتيبة: ومثل هذا أن تقول: أوصي بهالي للذي غزا وحجَّ، تريد: للغازين والحاجين^(٤).

(١) انظر: النُّكْتُ والعُيُون (١٨٩/٢).

(٢) رواه ابن جرير الطُّبري في تفسيره (٦٧٤/٩) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) البيت للراعي الثُميري، أبو جندل، عبيد بن حصين، من بني نمير، كان سيِّدًا في قومه، وسُمِّي بالراعي؛ لأنه أكثر من وصف راعي الإبل في شعره. وتمام البيت: (فَطَارَ النَّيُّ فِيهَا وَاسْتَغَارَا). انظر: المخصص (٢٣٩/٤)، والزَّاهِر (٢١٣/١)، ولسان العرب (٣٨/٥).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (٢٢٧/١).

والقول الرَّابِع: أنه موسى.

ثم في معنى: ﴿أَحْسَنَ﴾ قولان:

أحدهما: أَحْسَنَ في الدُّنْيَا بطاعة الله ﷻ.

قال الحسن، و قتادة^(١): تمامًا لكرامته في الجنة إلى إحسانه في الدنيا.

وقال الرَّبِيع: هو إحسان موسى بطاعته^(٢).

وقال ابن جرير: تمامًا لنعمنا^(٣) عنده على إحسانه في قيامه بأمرنا ونهينا^(٤).

والثَّاني: أحسن من العلم وكُتِبَ اللهُ القديمة، فكأنه زيد على ما أحسنه من التَّوراة، ويكون «التَّمام» بمعنى الزَّيادة، ذكره ابن الأنباري.

فعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى: «ما».

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمي، وأبو رزين، والحسن، وابن يَعْمَرَ: «على الذي أحسنُ»، بالرَّفع^(٥).

قال الزَّجَّاج: معناه: على الذي هو أحسن الأشياء^(٦).

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي (٦٧٦/٩)، وابن أبي حاتم (٨١١٢) في تفسيرهما.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٦٧٦/٩) بلفظ: «فِيمَا أَعْطَاهُ اللهُ».

(٣) في (ر): (لنعمتنا).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبْرِي (٦٧٧/٩).

(٥) في المحتسب (٢٣٤/١)، والتَّحْصِيل (٧٠٢/١)، والكامل (٥٤٩/١) قراءة ابن يَعْمَرَ، و الحسن، وأحمد، والكِسَائِي عن أبي جعفر، وشَيْبَل.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠٦/٢).

وقرأ عبد الله بن عمرو، وأبو المتوكل، وأبو العالية: «على الذي أحسن» برفع الهمزة وكسر^(١) السين وفتح النون^(٢). وهي تحتمل الإحسان^(٣)، وتحتمل العلم^(٤).

قوله: ﴿وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تبياناً لكل شيء من أمر شريعتهم مما يحتاجون إلى علمه، لكي يؤمنوا بالبعث والجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ يعني القرآن ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾ أن تخالفوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

قال الزجاج: لتكونوا راجين للرحمة^(٥).

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ [١٥٦].

(١) في (ر): (وبكسر).

(٢) لم نقف على هذه القراءة.

(٣) في (ر): (الإنسان)!

(٤) قوله: (وتحتمل العلم)، ليس في (ر).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠٦/٢).

قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾.

سبب نزولها:

أن كفار مكّة قالوا: قاتل الله اليهود والنصارى، كيف كذبوا أنبياءهم فوالله لو جاءنا نذير وكتاب، لكنّا أهدي منهم، فنزلت هذه الآية، قاله [٢٥٩/ب] مقاتل^(١).

قال الفراء: «أن» في موضع نصب في مكانين: أحدهما: أنزلناه لئلا تقولوا. والآخر: من قوله: واتقوا أن تقولوا^(٢).

وذكر الزجاج عن البصريين، أن معناه: أنزلناه، كراهة أن تقولوا، ولا يميزون إضمار «لا»^(٣).

فأما الخطاب بهذه الآية، فهو لأهل مكّة، والمراد إثبات الحجّة عليهم بإنزال القرآن كي لا يقولوا^(٤) يوم القيامة: إن التّوراة والإنجيل أنزلا على اليهود والنصارى، وكنا غافلين عمّا فيهما.

و﴿دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم الكتاب.

قال الكسائي: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ﴾ لا نعلم ما هي، لأن كتبهم لم تكن بلغة، فأنزل الله تعالى كتاباً بلغتهم لتقطع حجّتهم^(٥).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٥٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/٣٦٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٣٠٧).

(٤) في (ر): (لا تقولوا).

(٥) انظر: المصدر السابق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام: ١٥٧].

قوله: ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: إنما كانوا يقولون هذا، لأنهم مُدِلُّون بالأذهان والأفهام، وذلك أنهم كانوا^(١) يحفظون أشعارهم وأخبارهم، وهم أميون لا يكتبون^(٢).

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ أي: ما فيه البيان وقطع الشُّبُهَات.

قال ابن عباس: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ أي: حجة، وهو النبي، والقرآن، والهدى، والبيان، والرَّحْمَة، والنُّعْمَة^(٣).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: أكفر.

﴿مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني محمداً والقرآن.

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض فلم يؤمن بها.

﴿وَسُوءَ الْعَذَابِ﴾ قبيحه.

(١) ليست في (ف).

(٢) هكذا جاء الكلام في معاني القرآن وإعرابه (٣٠٧/٢): لأنهم كانوا مُدِلِّين بالأذهان وحُسنِ الأفهام، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم وآثارهم.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣٤٠/٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِمْتِنَانًا تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون.

﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء.

وقرأ حمزة، والكسائي: «يأتيهم» بالياء^(١).

وهذا الإتيان لقبض أرواحهم.

وقال مقاتل: المراد بالملائكة: ملك الموت وحده^(٢).

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾.

قال الحسن: أو يأتي أمر ربك^(٣).

وقال الزجاج: أو يأتي إهلاكه وانتقامه، إمّا بعذاب عاجل، أو

بالقيامة^(٤).

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾.

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٧٣-٢٧٤)، والحقبة (٣/ ٤٣٧)، والمبسوط (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٥٩٨).

(٣) أورده الواحدي في الرسيط (٤/ ٤٨٤) بلفظ: وجاء أمر ربك، وقضاء ربك، لأن في يوم القيامة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٧).

روى عبد الوارث إلا القرَّاز تسكين ياء «أو يأتي»، وفتحها الباقون^(١).

وفي هذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنه طلوع الشمس من مغربها، رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ^(٢)، وبه قال ابن مسعود في رواية زرارة بن أوفى عنه، وعبد الله بن عمرو، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

وقد روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ، آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا»^(٣).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ، طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ»^(٤).

والثاني: أنه طلوع الشمس والقمر من مغربها، رواه مسروق عن ابن مسعود.

(١) في الكامل (٥٥٠ / ١) عن عبد الوارث.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣١ / ٣)، وعبد بن حميد (٩٠٢)، والترمذي (٣٠١٧) وغيرهم من طرق عن وكيع، عن ابن أبي ليلى، عن عطية العوفي، به، بنحوه قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، رواه بعضهم، ولم يرفعه.

(٣) البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٩٢ / ١)، والطبراني في الأوسط (٥٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨٢٠) وصححه العلامة أحمد شاكر.

والثالث: أنه إحدى الآيات الثلاث، طلوع الشمس من مغربها، والدَّابَّةُ، وفتح يأجوج ومأجوج، روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود. والرَّابِع: أنه طلوع الشمس من مغربها، والدَّجَال، ودَابَّةُ الأرض، قاله أبو هريرة. والأول أصح.

والمراد بالخير هاهنا: العمل الصالح، وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذ، لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان. وقال الضَّحَّاك: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه، قُبِلَ منه، كما يُقبل منه قبل الآية^(١).

وقيل: إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها، أن الملحدة والمنجِّمين، زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله تعالى قدرته، ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق، وليتحقَّق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(١) رواه ابن جرير الطَّبْرِي في تفسيره (٢٩/١٠).

فصل

وفي قوله: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ قولان:

أحدهما: أن المراد به التهديد، فهو محكم.

والثاني: أنه أمر بالكف عن القتال، فهو منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٦) [الأنعام: ١٥٩].

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: ﴿فَرَّقُوا﴾ مشددة.

وقرأ حمزة، والكسائي: «فارقوا» بألف.

وكذلك قرءوا في «الرُّوم»^(١).

فمن قرأ: «فَرَّقُوا»، أراد: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. ومن قرأ: «فارقوا»، أراد: باينوا.

وفي المشار إليهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة.

والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والضحَّاك، وقتادة، والسُّدي.

والثالث: اليهود، قاله مجاهد.

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٧٤)، والحجة (٣/ ٤٣٨)، والتيسير (١/ ١٠٨).

والرَّابِع: جميع المشركين، قاله الحسن.

فعلى هذا القول، دينهم: الكفر الذي يعتقدونه ديناً، وعلى ما قبله، دينهم: الذي أمرهم الله به.

و«الشَّيْع»: الفرق والأحزاب.

قال الزَّجَّاج: ومعنى «شَيَّعْتُ» في اللُّغة: اتَّبَعْتُ. والعرب تقول: شاعكم السَّلام، وأشاعكم، أي: تبعكم.

قال الشاعر^(١) [من الوافر]:

أَلَا يَا نَخْلَةَ مَنْ ذَاتِ عِرْقٍ بَرُّودِ الظِّلِّ شَاعَكُمْ السَّلَامُ

وتقول: أتيتك غداً، أو شِيعَةً، أي: أو اليوم الذي يتبعه.

فمعنى الشَّيْعَة: الذين يتبع بعضهم بعضاً، وليس كلهم متَّفِقِينَ.

وفي قوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قولان:

أحدهما: لست من قتالهم في شيء، ثم نُسخ بآية السَّيف، وهذا مذهب السُّدِّي.

والثَّاني^(٢): لست منهم، أي: أنت بريء منهم، وهم منك برآء، إنما أمرهم إلى الله في جزائهم، فتكون الآية محكمة.

(١) البيت للأحوص في ديوانه (ص: ١٩٠)، وخزانة الأدب (٢/ ١٩٣)، وبلا نسبة في معاني

القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٩)، ولسان العرب (٨/ ١٩١)، وتاج العروس (٢١/ ٣٠٤).

(٢) في (ف): (والثالث).

قَوْلُهُ نَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) [الأنعام: ١٦٠].

قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

[٢٦٠/ب] وقرأ يعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: «عَشْرُ» بالتنوين، «أَمْثَالُهَا» بالرفع^(١).

قال ابن عباس: يريد من عَمَلِهَا، كتبت له عشر حسنات^(٢).

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى﴾ إِلَّا جِزَاءُ مِثْلِهَا.

وفي الحسنة والسيئة هاهنا قولان:

أحدهما: أن «الحسنة»: قول لا إله إلا الله. و«السيئة»: الشرك، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والنخعي.

والثاني: أنه عامٌّ في كل حسنة وسيئة.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٧) عن الحسن، وفي الكامل (١/ ٥٥٠) قراءة عبد الوارث، ومحبوب، وهارون، ويونس عن أبي عمرو، ويعقوب، وسهل، والجحدري، والحسن، ومجاهد، والأعمش، والزعفراني، وابن مقسم، وأبو حنيفة، وفي التَّحْصِيل (١/ ٧٠٣) الحسن ويعقوب الحضرمي.

(٢) يشير لحديث ابن عباس الذي رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) عن النَّبِيِّ ﷺ: «يَمَّا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضَعِيفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي ذرٍّ عن النبي ﷺ قال: يقول الله ﷻ: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ زَيْدٌ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ»^(١).

فإن قيل: إذا كانت الحسنة كلمة التوحيد، فأبي مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها؟

فالجواب: أن جزاء الحسنة معلوم القدر عند الله، فهو يجازي فاعلها بعشر أمثاله، وكذلك السيئة.

وقد أشرنا إلى هذا في «المائدة» عند قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية: ٣٢].

فإن قيل: المثل مذكّر، فلم قال: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والهاء إنما تسقط في عدد المؤنث؟

فالجواب: أن الأمثال خلقت حسنات مؤنثة، وتلخيص المعنى: فله عشر حسنات أمثالها، فسقطت الهاء من عشر، لأنها عدد مؤنث، كما تسقط عند قولك: عشر نعال، وعشر جباب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

قال الزَّجَّاج: أي: دلّني على الدِّين الذي هو دين الحق. ثم فسّر ذلك بقوله: ﴿دِينًا قِيمًا﴾^(٢).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «قِيمًا» مفتوحة القاف، مشددة الياء. والقيّم: المستقيم.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «قِيمًا» بكسر القاف وتخفيف الياء^(٣).

قال الزَّجَّاج: وهو مصدر، كالصَّغَر والكِبَر^(٤).

وقال مَكِّي: من خَفَّفه بناه على «فَعَلَ»، وكان أصله أن يأتي بالواو، فيقول: «قَوْمًا» كما قالوا: عَوْض، وَحَوْل، ولكنه شذَّ عن القياس^(٥).

قال الزَّجَّاج: ونصب قوله: ﴿دِينًا قِيمًا﴾ محمول على المعنى، لأنه لما قال: «هداني» دلَّ على عَرَفني دينًا، ويجوز أن يكون على البدل من قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فالمعنى: هداني صراطًا مستقيمًا دينًا قيمًا.

(١) قوله: (إلى صراط مستقيم)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٠).

(٣) انظر: السبعة (١/ ٢٧٤)، والحجة (٣/ ٤٣٩)، والتيسير (١/ ٢٢٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٠).

(٥) انظر: مشكل إعراب القرآن (١/ ٢٧٩).

و﴿حَنِيفًا﴾ منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى: هداني ملّة إبراهيم في حال حنيفيّته.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قوله: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي﴾ يريد: الصّلاة المشروعة.

و«النّسك»: جمع نسيكة.

وفي النّسك هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنها الذّبائح، قاله ابن عبّاس، وسعيد بن جبّير، ومجاهد، وابن قتيبة^(١).

والثاني: الدّين، قاله الحسن.

والثالث: العبادة.

قال الرّجّاج: «النّسك» كلّ ما تُقرب به إلى الله ﷻ، إلا أن الغالب عليه أمر الذّبح^(٢).

والرّابع: أنه الدّين، والحجّ، والذّبائح، رواه أبو صالح عن ابن عبّاس. [١/٢٦١]

قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾.

الجمهور على تحريك ياء «محيائي»، وتسكين ياء «مماتي».

(١) انظر: غريب القرآن (١/١٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٣١١).

وقرأ نافع: بتسكين ياء «محيي»، ونصب ياء «مماتي»^(١).

ثم للمفسرين في معناه قولان:

أحدهما: أن معناه: لا يملك حياتي ومماتي إلا الله.

والثاني: حياتي لله في طاعته، ومماتي لله في رجوعي إلى جزائه.

ومقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده، لا لغيره كما
تشركون أنتم به.

قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

قال الحسن^(٢)، وقتادة^(٣): أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا
عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾
[الأنعام: ١٦٤].

قوله: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَّ رَبًّا﴾.

سبب نزولها:

أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ونحن لك
الكُفلاء بما أصابك من تبعة، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل^(٤).

(١) انظر: السبعة (١/ ٢٧٤)، والحجة (٣/ ٤٤٠)، والتيسير (١/ ١٠٨).

(٢) لم نقف عليه مسنداً.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٤٨/ ١٠)، وابن أبي حاتم (٨١٨٤) في تفسيرهما، من طريق
معمر، به، بنحوه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٦٠٠).

قوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا يؤخذ سواها بعملها.

وقيل: المعنى: إلا عليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها.

﴿وَلَا نَزْرُورَ وَزَرَ أُخْرَى﴾.

قال الزجاج: لا تؤخذ نفس آثمة بإثم أخرى^(١).

والمعنى: لا يؤخذ أحد بذنب غيره.

قال أبو سليمان: ولما ادّعت كل فرقة من اليهود والنصارى والمشركين أنهم أولى بالله من غيرهم؛ عرفهم أنه الحاكم بينهم يوم القيامة بقوله: ﴿فَيَنْتَعِمُ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾، ونظيره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الحج: ١٧].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٥) [الأنعام: ١٦٥].

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ﴾.

قال أبو عبيدة: الخلائف: جمع خليفة^(٢).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣١٢/٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢٠٩/١).

قال الشَّامُخ^(١) [من الوافر]:

تُصَيِّهُمُ وَتُخْطِئِي الْمَنَايَا وَأَخْلَفُ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعٍ

وللمفسرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم خلفوا الجن الذين كانوا سكَّان الأرض، قاله ابن عباسٍ.

والثاني: أن بعضهم يخلف بعضًا، قاله ابن قُتَيْبَةَ^(٢).

والثالث: أن أمة محمد ﷺ خلفت سائر الأمم، ذكره الزَّجَّاجُ^(٣).

قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي: في الرِّزْقِ، والعلم، والشَّرَفِ، والقُوَّةِ، وغير ذلك.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: ليختبركم، فيظهر منكم ما يكون عليه الثَّوَابُ والعقاب.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه سَمَاهُ سَرِيعًا، لأنه آتٍ، وكلُّ آتٍ قَرِيبٌ.

والثاني: أنه إذا شاء العقوبة، أسرع عقابه.

آخر تفسير سورة الأنعام^(٤).

(١) البيت للشَّامُخ بن ضرار في ديوانه (ص: ٢٢٤)، ولسان العرب (٨ / ١٠٢ - ٩ / ٨٩)، وتهذيب اللغة (٢ / ٣٦٩)، وتاج العروس (٢١ / ٢٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (١ / ١٦٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٣١٢).

(٤) قوله: (آخر تفسير سورة الأنعام)، ليس في (ف).

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية
سورة المائدة	
٥	١
٩	٢
٢١	٣
٣٣	٤
٣٩	٥
٤٥	٦
٥٣	٨،٧
٥٥	١١،٩
٥٧	١٢
٦١	١٣
٦٥	١٤
٦٧	١٦،١٥
٦٩	١٨،١٧
٧١	١٩
٧٣	٢٠
٧٧	٢١
٧٩	٢٢
٨١	٢٣



٨٣	٢٤
٨٥	٢٦، ٢٥
٨٩	٢٧
٩٣	٢٩، ٢٨
٩٥	٣٠
٩٩	٣٢، ٣١
١٠٥	٣٣
١٠٩	٣٤
١١١	٣٨، ٣٥
١١٧	٤١، ٣٩
١٢٣	٤٢
١٢٧	٤٤، ٤٣
١٣٥	٤٥
١٣٩	٤٨، ٤٦
١٤٥	٤٩
١٤٧	٥٠
١٤٩	٥١
١٥١	٥٢
١٥٥	٥٣
١٥٧	٥٤
١٥٩	٥٦، ٥٥
١٦٣	٥٨، ٥٧

۱۶۵	۶۰,۵۹
۱۷۳	۶۲,۶۱
۱۷۵	۶۴,۶۳
۱۸۱	۶۷,۶۵
۱۸۵	۶۸
۱۸۷	۷۰,۶۹
۱۸۹	۷۱
۱۹۱	۷۲
۱۹۳	۷۳
۱۹۵	۷۴
۱۹۷	۷۶,۷۵
۱۹۹	۷۸,۷۷
۲۰۱	۸۱,۷۹
۲۰۳	۸۳,۸۲
۲۰۷	۸۸,۸۴
۲۱۱	۸۹
۲۱۷	۹۰
۲۲۱	۹۲,۹۱
۲۲۳	۹۳
۲۲۷	۹۴
۲۲۹	۹۵
۲۳۷	۹۶



٢٣٩	٩٨،٩٧
٢٤٣	١٠٠،٩٩
٢٤٥	١٠١
٢٤٩	١٠٣،١٠٢
٢٥٥	١٠٥،١٠٤
٢٥٩	١٠٦
٢٦٧	١٠٧
٢٧٣	١٠٩،١٠٨
٢٧٥	١١٠
٢٧٧	١١٢،١١١
٢٧٩	١١٣
٢٨١	١١٤
٢٨٣	١١٥
٢٨٩	١١٦
٢٩١	١١٧
٢٩٣	١٢٠،١١٨

الصفحة	رقم الآية
سورة الأنعام	

٢٩٧	١
٢٩٩	٢
٣٠١	٦،٣

၃၀၀	၇
၃၀၇	၁၁.၈
၃၀၉	၁၃.၁၂
၃၁၁	၁၀.၁၄
၃၁၃	၁၇
၃၁၀	၁၉.၁၇
၃၁၇	၂၀
၃၁၉	၂၂.၂၁
၃၂၁	၂၃
၃၂၃	၂၄
၃၂၀	၂၇.၂၀
၃၂၉	၂၇
၃၃၃	၃၀.၂၈
၃၃၀	၃၁
၃၃၇	၃၂
၃၃၉	၃၃
၃၄၃	၃၄
၃၄၀	၃၀
၃၄၇	၃၇
၃၄၉	၃၈.၃၇
၃၀၃	၄၁.၃၉
၃၀၀	၄၄.၄၂
၃၀၉	၄၇.၄၀
၃၇၁	၀၀.၄၇
၃၇၃	၀၂.၀၁



٣٦٩	٥٤,٥٣
٣٧٣	٥٦,٥٥
٣٧٥	٥٧
٣٧٧	٥٩,٥٨
٣٨١	٦١,٦٠
٣٨٣	٦٤,٦٢
٣٨٧	٦٥
٣٨٩	٦٦
٣٩١	٦٨,٦٧
٣٩٣	٦٩
٣٩٥	٧٠
٣٩٩	٧٢,٧١
٤٠١	٧٣
٤٠٥	٧٤
٤٠٧	٧٦,٧٥
٤١٣	٨٠,٧٧
٤١٥	٨٢,٨١
٤١٧	٨٧,٨٣
٤٢١	٨٩,٨٨
٤٢٣	٩١,٩٠
٤٢٧	٩٢
٤٢٩	٩٣
٤٣٣	٩٤
٤٣٧	٩٦,٩٥
٤٤١	٩٨,٩٧

Σ 43	99
Σ 49	100
Σ 51	102, 101
Σ 53	103
Σ 55	105, 108
Σ 59	108, 107
Σ 61	109
Σ 65	110
Σ 67	111
Σ 69	112
Σ 71	113
Σ 73	115, 118
Σ 75	117, 117
Σ 77	119, 118
Σ 79	120
Σ 81	121
Σ 83	122
Σ 85	123
Σ 87	124
Σ 89	125
Σ 93	127, 127
Σ 95	128
Σ 97	130, 129
501	134, 131
503	137, 135



٥٠٧	١٣٧
٥٠٩	١٣٨
٥١١	١٣٩
٥١٥	١٤١، ١٤٠
٥١٩	١٤٢
٥٢١	١٤٤، ١٤٣
٥٢٣	١٤٥
٥٢٥	١٤٦
٥٣١	١٤٨، ١٤٧
٥٣٣	١٥٠، ١٤٩
٥٣٥	١٥١
٥٣٧	١٥٢
٥٤١	١٥٣
٥٤٣	١٥٤
٥٤٧	١٥٦، ١٥٥
٥٤٩	١٥٨، ١٥٧
٥٥٣	١٥٩
٥٥٥	١٦١، ١٦٠
٥٥٧	١٦٣، ١٦٢
٥٥٩	١٦٥، ١٦٤